

بحوث ومقالات

حياتنا الفكرية في نصف القرن الأخير

(٢)

للكتور إبراهيم سكر

اللغة الوطنية :

وأوائل هذا القرن ، فنحن نريد لها أن تكون ملائمة لروح العصر . تمقت الغرابة والتعقيد ، وتتخلص من الصنعة والزخرف اللفظي ، وتبدو سهلة سائغة . ويراد لها أيضاً أن تكون يسيرة في تعليمها وتعلمها ، فيتخفف ما أمكن في نحوها وصرفها ، ويسلك في كتابتها وإملاؤها أيسر السبل ويراد بها في اختصار أن تكون لغة الخاصة والعامة على السواء ، لأننا أصبحنا لا نستطيع الامتيازات الثقافية والاجتماعية ، ولا نسلم بما كان يسمى : « الأرستقراطية الفكرية » ، ورددت تلك العبارة الشهيرة ، وهي « أن التعليم للإنسان كالمساء والهواء » .

ويلحظ أن العامية عادت فشمخت بأنفها بعض الشيء في ربع القرن الأخير ، وذلك راجع في الغالب إلى قصور في التعليم ، وضعف لدى بعض من يحترفون الكتابة : وربما كان للغة السياسة دخل في هذا أيضاً ، وقد قيل يوماً : « إن العامية أصبحت لغة الدولة الرسمية » ، وبقدوما عزز سعد زغلول

ولغتنا نفسها كانت موضع أخذ ورد ، فقليل : هل نفسح فيها المجال للفظ الأجنبي والدخيل ، أو نقاطعه ونحرمه ؟ ودار حول ذلك نقاش وجدل طويل ، ثم انتهينا إلى أنه ليس ثمة غضاضة في أن نعرب كما عرب الأقدمون ، وأن نضيف إلى ثروتنا اللغوية الموروثة ثروة جديدة مكتسبة تسد حاجة العلم والحضارة . وتساءلنا أيضاً أنقف عند العامية أو نحل محلها الفصحى ؟ وكان لكل من الجانبين أنصار وأعوان ، ولم يبق اليوم شك في أن العربية هي اللغة الوطنية ، وفي وسعها أن تحل محل العامية واللغات الأجنبية . وسبق لسعد زغلول أن خطا في العقد الأول من هذا القرن خطوة في سبيل تعريب التعليم الابتدائي والثانوي ، ثم تابعنا السير وخطونا خطى بعيدة ، فعُرِّبت مرحلة التعليم العام جميعه في الربع الثاني من هذا القرن ، فيما عدا مدارس اللغات ، وقُطِّع شوط كبير في تعريب التعليم العالي والجامعي . والعربية التي ننادي بها تختلف عن عربية القرن الماضي

الفصحى فى ثورة سنة ١٩١٩ . أصابها
ما أصابها فى ثورة عام ١٩٥٢ . ولكنى
على يقين من أن تلك أمور عارضة ، وأنه
لا معدل عن الفصحى بحال .

وتدور حياتنا الفكرية بوجه عام حول
أبواب ثلاثة رئيسية ، هى التحقيق والنشر ،
والترجمة والتعريب ، والبحث والتأليف ،
وسنقف عند كل واحد منها وقفة قصيرة .
ولن نعرض للجوانب السياسية والاجتماعية ،
لأنها تتطلب حديثاً خاصاً ، بل أحاديث .

(١) التحقيق والنشر :

اعتداداً بترائنا رغبنا فى إحيائه . وقد
سبقنا إلى ذلك بعض المستشرقين فى القرن
الماضى ، ورسموا له مناهج علمية دقيقة .
وحاولنا أن نسهم معهم ، ونخطونا فى ذلك
خطوات فسيحة فى نصف القرن الأخير .
وبخاصة يوم أن سلمت جامعاتنا بأن تحقيق
النصوص يدخل عن جدارة فى الدراسات
الجامعية . وترائنا نخصب فسيح ، فيه علوم
دين ودنيا ، فيه تفسير وحديث وفقه . فيه
أدب ولغة ونحو وصرف ، فيه تاريخ ،
وقصص ، فيه كلام وفلسفة ، ورياضيات
وطبيعات . وهو بلا شك من أغنى مخلفات
الحضارات القديمة والوسطى ، ولا أدل على
هذا من إحصاء قام به حاجى خليفة إبان
القرن السابع عشر ، وقدمه فى كتابه :
« كشف الظنون فى أسماء الكتب والفنون » .

ويشتمل هذا الكتاب الضخم على ٣٠٠ فن ،
وعلى عدة آلاف من المؤلفين ، وعلى نحو
خمسة عشر ألف كتاب ، وأيد هذا إحصاءات
وكشوف أخرى حديثة ومعاصرة . وأصبح
هذا التراث الوفير جانباً هاماً من جوانب
حياتنا الفكرية ، وله نسبة ملحوظة فيما تخرجه
المطبعة العربية كل عام . وبذلت فى سبيله
جهود مختلفة ، للكشف عنه وجمعه ،
أو تحقيقه ونشره . ودارت حوله دراسات
متصلة لشرحه والتعليق عليه ، واستطعنا فى
ضوئه أن نندارك نقصاً ، ونصحح خطأ ،
أو نوضح غامضاً فى تاريخ الفكر الإسلامى .
بدأنا فى إحيائه منذ أخريات القرن الماضى ،
وأخرجنا منه على عجل قدرأ لم يؤخذ فيه
بمنهج التحقيق العلمى . وأجوده ما اضطلعت
به هيئات متخصصة أو كان ثمرة دراسات
جامعية للماجستير أو الدكتوراه . ومما يؤسف
له أن قدرأ من هذا التحقيق الجامعى لم ير
النور بعد .

وللعلوم الإنسانية ، وبخاصة الأدب
واللغة ، نصيب ملحوظ فيما حقق ونشر .
وما أخرجنا أن نغنى بالعلوم الطبيعية والرياضية
التي شغل بها الغرب قبلنا ، وكان لها شأن
فى تاريخ الفكر الإنسانى ، ومنها ما ترجم
قديماً إلى اللاتينية والعبرية ولم نقف بعد على
أصله العربى ، وفى وسع مجمعكم أن يسهم
فى هذا بنصيب .

(ب) الترجمة والتعريب :

الترجمة وسيلة هامة من وسائل ربط الثقافات بعضها ببعض ، وتبادل الآراء ، والأفكار وقد أخذ بها قديماً وحديثاً ، وهي اليوم أداة اتصال سريع ومباشر . وفي صدر الدولة العباسية قامت حركة ترجمة إلى العربية تعد من أنحصب الحركات الفكرية في التاريخ القديم والمتوسط ، كانت نخبة في موضوعاتها ، ففيها أدب وعلم وفلسفة ، ونخبة في أصولها ومراجعها ، فنقلت عن الهندية والفارسية ، كما نقلت عن السريانية واليونانية واللاتينية ، ونخبة أخيراً فيمن اضطلعوا بها ، فلم تفرق بين مسلم ومسيحي بل كان أغلبهم من المسيحيين ، ولا بين عربي وعجمي ، بل كان أغلبهم غير عربي . وآتت أكلها على أكمل وجه ، وكان لها أثر واضح في النهضة العلمية الإسلامية .

وفي التاريخ المعاصر صاحب نهضة محمد علي التعليمية حركة ترجمة تزعمها رفاعة الطهطاوي ، واحتفظ لنا الزمن بقدر من ثمارها . ثم توقف السير أو كاد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . وكأنما شاء لطف السيد في الربع الأول من القرن العشرين أن يوجه النظر مرة أخرى نحو الأصول اليونانية القديمة ، وكان معجباً بمولاه أرسطو . فترجم سلسلة من كتبه ، بدأها بكتاب الأخلاق ، وعول فيها على ترجمة بارتلمي سانتيلير الفرنسية . وبصرف النظر عما يؤخذ على صنيعه من مأخذ ، فإنه جاء مؤشراً

للاتجاه نحو الترجمة والعناية بها . وقد دُفِعت الدراسات الجامعية في الربع الثاني من هذا القرن نحو ترجمة متنوعة في الأدب والعلم والفلسفة ، نقلت عن الفرنسية والإيطالية ، أو عن الألمانية والإنجليزية ، وانصبَّ معظمها على دراسات حول آراء ومذاهب ، أو حول أشخاص ومدارس ، ووقف قسط ضئيل منها على النصوص ، واضطلع بمعظمها متخصصون يفقهون ما يترجمون ، ويعرفون كيف يؤدونه بالعربية أداء حسناً إلا أن هذه جميعها إنما كانت ثمرة جهود فردية ومحدودة وكأن باحثينا يؤثرون التأليف على الترجمة ، ولست أدري إن كنا لا نزال نحصر اليوم على التمكن من لغة أجنبية واحدة على الأقل ، كما كنا نفعل بالأمس ؟ والتمكن من اللغات المنقول منها والمنقول إليها هو السلاح الأول للترجمة السليمة .

وعلى كل حال لا نزال في حاجة ماسة إلى حركة ترجمة أنشط وأوسع تضطلع بها هيئات تسهر عليها ، وتسهم فيها الدولة إسهاماً أكبر . وقد رسمت في ذلك خطط ، ووضعت مشروعات لم تأخذ في جد سبيلها إلى التنفيذ . وهناك كتب أمهات تتبادلها اللغة الحية فيما بينها ، وما أجدرها أن تترجم وتزود بها المكتبة العربية . ولست في حاجة أن أشير إلى أن هناك بحوثاً تنقل من لغة حية إلى أخرى ولما يمحض على ظهورها بضعة أشهر .

وإذا كنت أدعو إلى تزويد المكتبة العربية
بثمار الفكر الإنساني في اللغات الحية ، فإني
أمل أن يكون لنا إنتاج تتسابق هذه اللغات
إليه ، وتسعى إلى ترجمته ، أو نضطلع نحن
بالتأليف في هذه اللغات على نحو ما صنع بعض
مفكرينا ومبعوثينا .

(ج) البحث والتأليف :

لنا في نصف القرن الأخير بحوث ومؤلفات
متعددة ومتنوعة ، وفي كثير منها عمق ودقة ،
وابتكار وأصالة ، ويمكن أن يقارن بنظائره
في اللغات الحية . وتكاد تستوعب بحوثنا
أبواب الفكر الإنساني جميعها ، فشغلت
بالعلوم الإنسانية كما شغلت بالعلوم الرياضية
والطبيعية . والعلوم الدينية من تفسير وحديث
وفقه وأصول في قمة الدراسات الإنسانية ،
وقد اضطلع بها أساتذة أجلاء كشفوا عما فيها
من عمق وأصالة . وعُسي مؤرخونا بالحضارة
الإسلامية عناية كبيرة ، فوضحو كثيراً
من جوانبها . وقام مؤرخون آخرون بحفريات
حول الحضارات القديمة من فرعونية ،
ورومانية ، أو بابلية وآشورية . وحاول مؤرخو
الفكر والفلسفة أن يعرفوا بمدارس إسلامية
غفل الناس عنها ، وأن يترجسوا لرجال
بقوا مستورين في غياهب التاريخ . وقام بعض
علماء الاجتماع بدراسات عقلية هامة ، ومن
بين علماء النفس من اضطلع بحوث وتجارب
دقيقة .

ونحس اليوم إحساساً صادقاً بأننا نعيش
في عصر العلم والتكنولوجيا ، في عصر

الملاحظة والتجربة . وأعددنا لذلك عدته من
معامل ومراصد ، من محطات تجارب ومراكز
بحوث ، من معاهد ومؤسسات وأكاديميات
علمية ، وأنشئت جامعات مستقلة للتكنولوجيا
أو للبترول والمعادن ، واستكملت فروع
الدراسات الطبيعية والرياضية على اختلافها ،
من طب وفسيولوجيا ، وكيمياء وصيدلة ،
ونبات وحيوان ، وجيولوجيا وبترول ،
وطبيعة ورياضة ، وهندسة وميكانيكا ،
وكهرباء وإلكترونيات . وفي كل فرع
من هذه الفروع أساتذة متخصصون لهم
آراؤهم وأبحاثهم بالعربية أو الإنجليزية ،
ومنها ما نشر في بعض المجلات العلمية العالمية ،
أو ما كان محل تعليق وتنويه في المؤتمرات
الدولية . ومن بين هؤلاء الأساتذة أعلام
يُعدُّون في مصاف الأطباء والعلماء العالميين
ويرأسون أقساماً متخصصة تخصصاً دقيقاً في
جامعات إنجلترا والولايات المتحدة . ولدينا
ما يزيد على أربعين جمعية علمية تتابع نشاطها
وتنظم لقاءاتها ، وتنشر أبحاثها ، وقد تكون
لبعضها صحيفة خاصة بها ، وعلى رأس هذه
الجمعيات الاتحاد العلمي المصري الذي يربطها
بالاتحادات العلمية العربية والعالمية . ومما يؤسف
له أن قدراً غير قليل من بحوثنا في ربع القرن
الأخير ينحو نحو الجمع والتلخيص ويتم
بطابع السطحية ، ولا يعنى كثيراً بالأصالة
والتحقق ، وكثيراً ما جنت عليه السرعة
والتعجل .

مسار الفكر الاسلامي :

لا سبيل لأن ندخل في تفاصيل هذه البحوث والدراسات ، ويعيننا أن نوجه النظر إلى جانب واحد منها ينصب على الفكر الإسلامي ومساره . ولا شك في أن هذا المسار قد تغير وتبدل على مر الزمن ، وكسته عصور الانحطاط والظلمة بجمود وعمق عشنا معهما زمناً طويلاً ، ففقدنا بصرنا وبصيرتنا ، وأهملنا عقولنا وتفكيرنا . وفي أخريات القرن الماضي وأوائل هذا القرن عدنا إلى أنفسنا ونعمنا بوعى جديد ينادى بفهم الإسلام على وجهه والعودة به إلى أصوله الأولى ، وصورته الخلقية التي عرف بها في عصور النهوض والازدهار . وسبق أن أشرنا إلى ما كان لحمد عبده من شأن في توجيه هذه الدعوة وحمل رايتها ، وقد حملها من بعده تلاميذ له وخلفاء فكشفوا بوضوح عن سماحة الإسلام ويسره ، واتساع آفاقه وقبوله للجديد النافع ، ودعوته إلى النظر والتأمل ، وإفساحه المجال للعقل ، وحثه على تحكيمه وحسن استخدامه . وفي ثقة هؤلاء الرواد والمصلحين بأنفسهم لم يخشوا مطلقاً طغيان الحضارة الغربية ، ولم يروا بأساً أن يأخذوا عنها ويفيدوا منها . وبالأمس البعيد قامت الحضارة الإسلامية الكبرى التي بزت الحضارات الأخرى وسمت عليها ، وتقبلت أفكاراً أجنبية كثيرة وفي وسعنا أن نستعيد مجدها ، وأن نطور ونجدد في ضوء مثلها وقيمتها .

وفي الربع الثاني من هذا القرن تضافرت جهود صادقة على رسم هذه الصورة وتوضيحها وبيان حقيقتها ومعالمها الأصيلة : فبرهن أمثال مصطفى المراغي ، ومصطفى عبد الرازق ، ومحمود شلتوت ، على أن في التشريع الإسلامي مرونة تمكنه من متابعة التطور والتجديد ، وتسمح له بمواجهة متطلبات كل عصر وحاجاته وتشريع الكتاب والسنة نفسه إنما ينصب أساساً على الأصول والمبادئ العامة ، وعلى الفقهاء والمشرعين أن يعالجوا كل جديد في ضوء ظروفه ، على أن يضعوا المصلحة العامة موضع الاعتبار وقد أدوا في الماضي رسالتهم على وجه سديد . وحتى الجرائم وقفت الشريعة الإسلامية فيها عند الأصول والقواعد التي تحدد مفهوم الجريمة والمخالفة ، تاركة للقاضي والحاكم تقدير العقوبة الملائمة . ولم تشر إلا إلى عقوبات ثلاث جرائم كبرى هي : القتل والزنا ، والسرقه ، فاتحه الباب لدرء الحدود بالشبهات وبهذه الروح صيغت في الربع الثاني من هذا القرن قوانين الوقف والوصية والميراث وعنى في الرقف خاصة بالوقف الخيري ، وأخذ في الميراث بالوصية الواجبة التي فتحت باب الإرث لأبناء الأبناء ، كي يخلوا محل آبائهم الذين ماتوا قبل المورث . وقننت حقوق الأسرة من زواج ونفقة ، وطلاق ووصاية ، وقيدت بقيود تلأم العصر وتحترم حقوق المجتمع ، ونخطونا أخيراً في هذا السبيل خطوات فسيحة . وصيغ القانون

المدني جملة على أيدي عبد الرازق السهري صياغة تلائم بين مبادئ المعاملات في الإسلام ، وما أخذ به التشريع المدني المعاصر في أرقى صورته وأحكمها . وأصل على الخفيف التأمين في الإسلام ، ووجد لشهادات الاستمرار سندا في الفقه الإسلامي ولست في حاجة أن أشير إلى أن القائلين باطراح قوانيننا جميعاً ، والعودة إلى الفقه الإسلامي يغفلون ماضيها القريب والبعيد .

واستكمالا لهذه الصورة اتجه فريق آخر نحو سيرة الأعلام في الإسلام ، وفي هذه السيرة هداية وإرشاد ، ودحض لشبه باطلة ، ورفض لقصص وروايات لا أساس لها ، وتقديم نماذج حية لما كان عليه الإسلام في ثوبه الصافي ومظهره الحقيقي . ويكفي أن أشير في هذا إلى كتب ثلاثة لميكيل هي : « حياة محمد » ، « وأبو بكر الصديق » ، « والفاروق عمر » ، وإلى كتابين للعقاد : وهما : « عبقرية محمد » ، و « عبقرية عمر » ، وإلى آخرين لطف حسين ، وهما : « الفتنة الكبرى » ، و « على هامش السيرة » . ونحنا أحمد أمين نحواً آخر ، فوقف نفسه في العشرين سنة الأخيرة من حياته على تاريخ الحياة العقلية في الإسلام ، ووضع في ذلك على التوالي : « فجر الإسلام » ، و « ضحى الإسلام » ، « وظهر الإسلام » ، وفي هذا التوالي نفسه ما يؤيد فكرة التطور والتبدل ، وتلك سنة الحياة .

وتلتقي هذه المحاولات على اختلافها عند هدف واحد ، هو عرض تعاليم الإسلام في صورها الحقة ، وهي لا تتناقى بحال مع النهوض والتقدم ، وتفسح المجال لحرية الفكر ويسلم بما للعقل من سلطان :

خاتمة :

كل تلك جهود عشنا معها زمناً رغداً ، وسعدنا فيها بالمواعمة بين القديم والحديث ، ولم ترفض من ثمار الحضارة الغربية إلا ما يتناقى مع أصولنا ومبادئنا ، وسرنا فعلا إلى الأمام في ثقة وطمأنينة ، وقطعنا شوطاً لا بأس به . ولكننا مع الأسف الشديد بلينا في الخمسينيات والستينيات بنكسة تهدم ولا تبنى . وتتناكر لكثير مما بفيناه في النصف الأول من هذا القرن . تندد بما سمته الغزو الأوربي وتحاول ما استطاعت أن تضيق النافذة المفتوحة على الغرب . وتصور الإسلام بصورة قائمة ، وتنادى بالرجوع إلى ما ليس من الدين في شيء ، ولا يتلاءم مطلقاً مع سنن النشوء والارتقاء . ويمكن السكبت والفهر لمثل هذه الاتجاهات أن تثبت في منبت السوء ، وأن تعيش وتحيا تحت كنف الجمعيات السرية والحلايا الخفية ، وأن يتعصب لها عملاء أو جهلاء ، واختلط الفكر والدين بالسياسة ، فضلاً معها الطريق . ولا يخلو هذا الضلال والزيف من تيارات خفية ومؤثرات خارجية ، هدفها الأول الهدم والتخريب برغم ما تزعمه من رغبة أكيدة في البناء والتشييد . ولا سبيل

لحياة حقة ، فكرية كانت أو عملية ، إلا في
وضوح النهار .

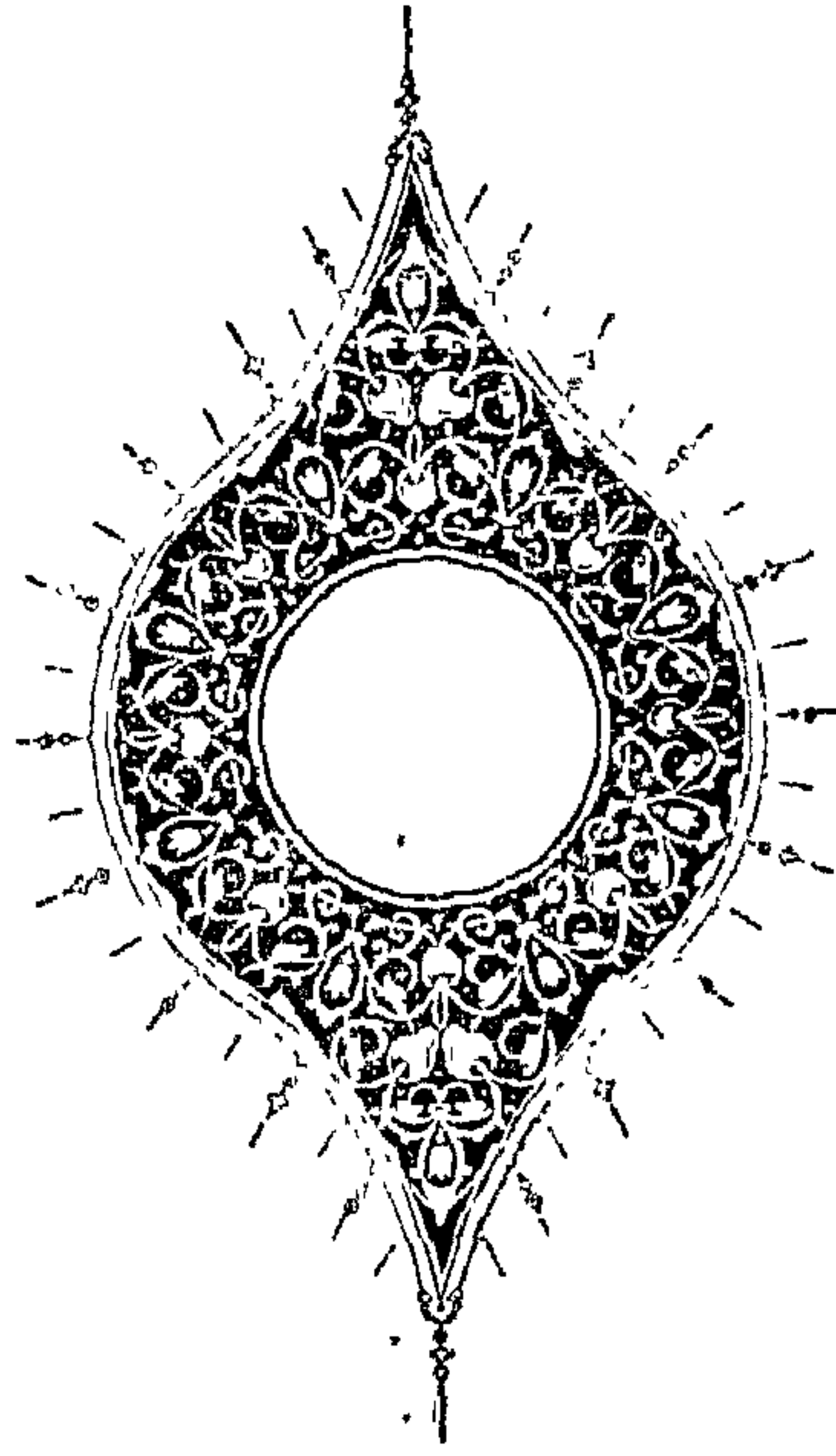
ولنحارب التستر وبث السموم في الظلام ،
« ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره
المجرمون » .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ابراهيم مدكور

رئيس المجمع

فلنعد لأنفسنا ، ولنستفد من تجاربنا
القريبة ، ولنثبت أقدام الحرية ما استطعنا ،



المساحرون في إحياء التراث

للكاتب أحمد الحوفي

وأريد أن أنبه على أن بعضهم كانوا من العلماء والأدباء الكبار ، وكان آخرون من ذوى الوظائف العالية في الدولة ، حتى إنهم تولوا القضاء والوزارة .

فمثلاً كان في مكتبة المأمون كثير من النساخ ، وكثير من التراجمة ، على رأسهم ثابت بن قرة وحنين بن إسحاق . أذكر من أولئك النساخ على سبيل التمثيل :

١- أبو علي محمد بن علي المعروف بابن مقلة (٣١٦ هـ) كان جيد الخط ، يضرب بخطه المثل ، لا ينازعه في ذلك منازع .

وكان عند سيف الدولة ابن حمدان خمسة آلاف ورقة بخط أبي علي ، لأنه كان منقطعاً إلى بني حمدان سنوات كثيرة ، يقومون بأمره أحسن القيام ، وقد تولى الوزارة للمقتدر سنة ٣١٦ هـ .

٢- أبو عبد الله الحسن بن علي بن مقلة سنة (٣٣٨ هـ) ، كان أكتب من أخيه الوزير أبي علي ، وقد ولاه أخوه ديوان

المقال السابق بطائفتين من العلماء الذين بذلوا

أسماء

جهوداً عظيمة محموددة في الحرص على تراثنا وإحيائه هما طائفة العلماء والأدباء الذين كانوا يسهرون الليالي ، ويضطربون لصيرير أقلامهم كما يضطرب الموسيقار لألحانه وأنغامه ، وطائفة الأثرياء أرباب المكتبات العامة والخاصة ، الذين كنزوا في مكتباتهم عشرات الألوف من المخطوطات ، التي وصياتنا بماضيها العريق ، وأروتنا بنميره العذب .

وأما الطائفة الثالثة فهم النساخ الذين سكبوا نور عيونهم على الأوراق ، فحفظوا هذه المخطوطات من الضياع والفناء ، إذ نهضوا بأعباء النسخ ، وبلغوا درجة عالية في تجويد الخط وزخرفته ودقة النقل وأمانته ، سواء أكانوا ينسخون المخطوط من الأصل الذي كتبه المؤلف نفسه ، أم من نسخ آخر منقولة منه ، ولم يكن تكرير العمل ومشقته لتعادل بهم عن تجويد الخط ومراعاة أصول الضبط :

الضياع الخاصة وديوان الضياع المستحدثة
و ديوان الدار الصغيرة ، وكان أبوهما الملقب
بابن مقالة كاتباً مليح الخط .

٣- أبو سعيد السيرافي النحوي الحسن
ابن عبد الله المرزباني (٣٦٨ هـ) كان عالماً
كبيراً تولى القضاء ببغداد ، وكان زاهداً لم
يأخذ على القضاء أجراً ، أفق في مسجد
الرصافة خمسين سنة على مذهب أبي حنيفة ،
فما وجد له خطأ ، وقد وصفه أبو حيان
التوحيدى في كتابه (محاضرات الأدباء)
بأنه شيخ الدهر ، وقرع العصر ، العديم
المثل ، المفقود الشكل .

كان أبو سعيد يعتمد في نفقاته على أجر
النسخ ، وكان لا يخرج من بيته إلى
مجلس القضاء ولا إلى مجلس التدريس حتى
ينسخ عشر ورقات ، يأخذ أجرها عشرة
دراهم ، تقوم بمؤونته ، ثم يخرج إلى مجلسه .
وله مؤلفات كثيرة ، منها شرح كتاب
سبويه ، وكتاب أخبار النحويين ، وكتاب
شرح مقصورة ابن دريد .

٤- علي بن محمد بن عبيد بن الزبير
الأسدي (٣٤٨ هـ) ، صاحب الخط المعروف
بالصححة المشهور باتقان الضبط وحسن الشكل ،
كان من أجل أصحاب العلامة ثعلب ، ومن
جماعي الكتب ومحبيها ، وله تأليف كثيرة .

٥- أبو الحسن علي بن عيسى الرماني
سنة (٣٨٤ هـ) كان إماماً في العربية والأدب
وله مؤلفات كثيرة :

٦- ابن البواب (علي بن هلال)
سنة (٤١٠ هـ) صاحب الخط المليح والأدب
الفائق ، كان ناثراً شاعراً وقيماً على خزانة
كتب بهاء الدين بن عضد الدولة بشيراز :

٧- أبو حيان التوحيدى (٤١٤ هـ)
كان يحترف بالوراقة ، ولما اتصل بالصاحب
ابن عباد قال له الصاحب : الزم دارنا ،
وانسخ هذا الكتاب ، فقال أبو حيان :
أنا سامع مطيع .

ثم شكوا لبعض الناس أنه جاء من العراق
إلى الصاحب ليتخلص من حرفة الشوئم ، فإن
الوراقة لم تكن ببغداد كاسدة . فنقل هذا
الكلام إلى الصاحب كاه أو بعضه أو على
غير وجهه ، فازداد تنكراً لأبي حيان .

وحدث أبو حيان فقال فيما بعد : قدّم إلى
نجاح الخادم وكان ناظراً على خزانة كتب
الصاحب ثلاثين مجلدة من رسائل الصاحب ،
وقال : يقول لك مولانا : انسخ هذا ،
فإنه طلب منه بخراسان ، فقلت بعد ارتياد
(تدبر وإمعان) : هذا طويل :

٨- موهوب بن أحمد بن الحسن الجواليقي
سنة (٥٣٩ هـ) ، إمام اللغة والأدب ، مليح
الخط ، تنافس الناس في الحصول على خطه ،
وتغالوا به :

٩- كمال الدين علي بن حمزة البغدادي
سنة (٥٥٦ هـ) ، صاحب الخط المليح غاية
الملاحظة على طريقة علي بن هلال بن البواب ،

وبخاصة علم المصاحف ، فإنه لم يكتبه أحد مثله فيمن تقدم أو تأخر :

كان من الأعيان الأمثل ، ولاء الخليفة العباسي المسترشد الحجابة ، ووكاه وكالة مطلقة ، ثم ولاء الخليفة المقتضى لأمر الله صدرية المخزن

وأما الطائفة الرابعة فهم المحققون الذين نهضوا بنشر هذا التراث يعد ظهور المطابع . فصححوا نسخه . وقابلوا بعضها ببعض . وأكملوا ما نقص . وشرحوا ما غمض . وعقبوا بما ينبغي أن يعقبوا به : وفهرسوا الكتب فهارس متعددة تيسر البحث والاطلاع وعرفوا بالمؤلفين ومناهجهم .

أذكر من هؤلاء على سبيل المثال هيئات في مصر وفي العالم العربي . كالجامعة العربية والمجلس الأعلى لرعاية الآداب والعلوم والفنون ، والجامعات ، والمعاهد العليا ، ومجمع اللغة العربية ، والمجاس الأعلى للشئون الإسلامية .

ولا ننسى الأفراد الذين بذلوا جهوداً حميدة مشكورة في إحياء التراث وتحقيقه ونشره ، وفي مقدمتهم أحمد تيمور باشا (ت سنة ١٣٤٩ هـ - ١٩٣٠ م) فقد احتوت مكتبته على اثني عشر ألف كتاب ومخطوط .

وأحمد زكي باشا شيخ العروبة (ت سنة ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م) فقد جمع أكثر من ستة آلاف مخطوط .

والأب أنستاس مسارى الكرمل (ت سنة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٧ م) وغيرهم :

هذا التراث الذي نعى به يوحى إلينا بأثاره العظيمة في نهضة أوروبا ، لأنه هو الأساس الذي قام عليه المذهب العلمي التجريبي ، ولأنه أحد الأصول التي دعت عليها أوروبا نهضتها العلمية .

فقد سرت الحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا في عدة غدران ، منها أسبانيا وصقلية وإيطاليا ، ومنها الحروب الصليبية ، وذلك أنه منذ سنة (٥٥٥ هـ - ١١٣٠ م) بدأ مكتب للتراجمة في طليطلة ينقل - برعاية رئيس الأساقفة ريمون - أهم كتب العرب إلى اللغة اللاتينية ، فنجح نجاحاً باهراً ، وحسبنا أن نشير إلى أن علم الضوء مدين لكتاب (المناظر) للعلامة ابن الهيثم .

كما أن أصول الرياضيات مدينة للعلامة الخوارزمي ، وإليه ينسب علم الجبر :

وكما أن أصول الهيئة والنجوم والفلك ترجع إلى كتاب (القانون) للمسعودي :

كذلك كان لمكتب ابن سينا في الطب أثرها العظيم إلى أواخر القرن الثامن عشر . ولقد قضت أوروبا ثلاثة قرون من القرن الثاني عشر إلى القرن الرابع عشر وهي تترجم كتب العرب إلى اللغة اللاتينية ، ولم تقتصر

على مؤلفات ابن سينا وابن رشد والرازي ونظرائهم ، بل إنها ترجمت عن العربية كتب اليونان التي كان العرب قد ترجموها ، مثل كتب جالينوس وبقرات وأفلاطون ، وأرسطو وإقليدس وبطليموس ، فزاد عدد ما ترجم من كتب العرب إلى اللغة اللاتينية على ثلاثمائة كتاب .

ولم يظهر في أوروبا قبل القرن الخامس عشر عالم لم يستنسخ كتب العرب ولم ينتفع بها ، مثل روجر بيكون وألبرت الكبير وسان توما وغيرهم . قال مسيورينان : إن ألبرت الكبير مدين لابن سينا . وإن سان توما مدين لابن رشد .

وقد ظلت ترجمات الكتب العربية ولا سيما الكتب العلمية هي المصدر الوحيد تقريباً للتدريس في جامعات أوروبا خمسة قرون أو ستة .

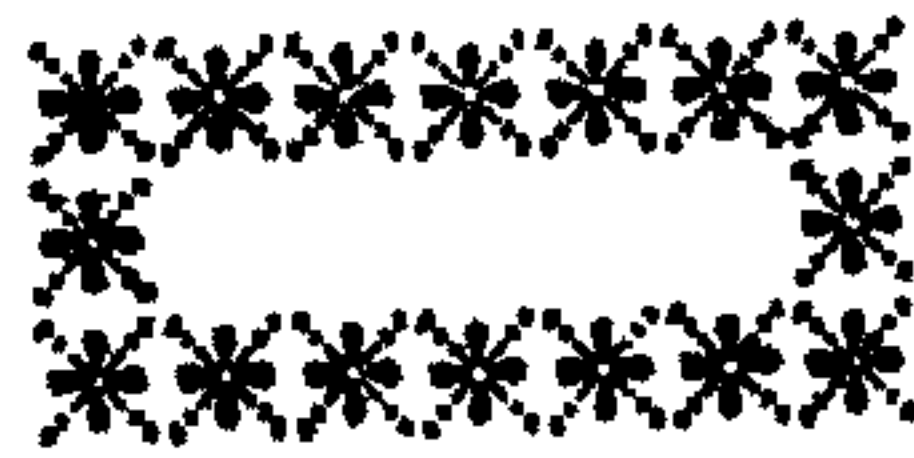
وبفضل هذه الترجمات عرف الغرب كتب اليونان التي ضاع أكثرها ، مثل : كتاب جالينوس في الأمراض السارية ، وكتاب أرسطو في الحجارة ، وكتاب أبولونيوس في المخروطات ، كما ذكر الدكتور لوكير في كتابه (تاريخ الطب العربي) .

وقد عتّب جوستاف لوبون على هذا بقوله : « إذا كانت هناك أمة نقرأ بأننا مدينون لها بمعرفتنا لعالم الزمن القديم فالعرب هم تلك الأمة ، لا رهبان القرون الوسطى الذين كانوا يجهلون حتى اسم اليونان ، فعلى العالم أن يعترف للعرب بحميل صنعهم في إنقاذ تلك الكنوز الثمينة . قال مسيو ليبري : « لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوروبا في الآداب عدة قرون » .

فإذا ما رجعنا إلى ورق الكتابة حدثنا التاريخ بأن العرب عرفوه من الصين في القرن الثاني للهجرة ، لكنهم لم يثبتوا أن أنشأوا المصانع لإنتاجه منذ القرن الثالث في مصر والأندلس والمغرب ، وباغت صناعة الورق على أيديهم درجة عالية من الجودة ، سواء أكان أبيض ناصعاً أم ملوناً ، وعن العرب نقلت أوروبا هذه الصناعة في القرن السادس للهجرة ، إذ كانت حضارتهم تعمر الأندلس وإيطاليا وجنوبي فرنسا .

أما بعد ، فقد آن للذين يتساءلون عن بواعث حفاوتنا بترائنا العربي أن يعلموا قيمته وآثاره وأسباب عنايتنا به وحرصنا على إحيائه .

أحمد الحوفي
مضو المجمع



من التراف الذرمى :

حول الألف اللينة

لرؤساء محمد شرفى أمين

وأما أن ذلك يعد من التراث ، فلأنه قد مرّ على إذاعته خمس وسبعون من السنين — وأنه منذ أذيع فى نشرة دورية طوتها الأيام ، لم يعد له — فيما أعلم — بين الباحثين ذكر ، إلا ما كان من إشارة منى إليه فى مذكرة قدمتها إلى «مجمع اللغة العربية» بالقاهرة منذ خمس عشرة سنة .

٢ — ولقد كان أول عهدي بهذا التراث الدرعى فى حديثلى مع الشيخ «حسين والى» وهو ذو باع وسبع فى الدراسات الإملائية خاصة ، سألته فى شأن «الألف اللينة» ومصاعبها ، وكان ذلك فى أول دورة «لمجمع اللغة العربية» سنة ١٩٣٤ فأنخبرنى بأن زميله فى التدريس بمدرسة القضاء الشرعى المرحوم الشيخ «المهدى زيكو» له فيها رأى أولع به ، ودعا إليه ، وهو أن تكتب ألفاً فى كل حال . ولم أدر سر كلمة «زيكو» اللاحقة لاسم الرجل إلا حين علمت من بعد أن جده اسمه «زكيرأغا» فلعل «زيكو» مبدول

١ — هذا طرّف من تراث درعى : . . . وأقول : «درعى» محاكياً النسبة إلى النحت من «دار العلوم» التى تعد مع «الأزهر» أقدم معاهد العربية فى «مصر» . وصاحب هذا التراث هو «محمد المهدي» أحد أقطاب العلماء الأزاهرة الدراعمة المخضرمين ، أعنى الذين عاشوا فى القرن التاسع عشر والقرن العشرين .

وإنما أثرت تسمية هذا التراث «درعياً» لأنه محاضرة ألقىت فى «نادى دار العلوم» ، وشهد بها أساتذة العربية من أعضاء النادى ورواده ، وأسفرت المحاضرة عن إجراء اتخذها النادى بعد أن أمضى جلسيتين فى دراسة وتمحيص للوضوع ، وهو علاج مشكلة «الألف اللينة» ، وكان هذا الإجراء توجيه تقرير إلى من له ولاية الأمر فى التعليم المدرسى يطالب باتباع الطريقة التى بنى عليها المحاضر بحثه ، وهى كتابة الألف اللينة ألفاً على الإطلاق :

عن « زكير » للتماييح والتعقيب على نحو ما
نفعل في بعض الأسماء :

وبعد ذلك بأكثر من ربع قرن ،
والجمع يتابع دراساته لموضوع الإملاء ،
ذكرت للشيخ « أمين الخولي » حديثي
مع الشيخ « حسين والي » ، فأفادني
بأن « محمد المهدي » كان من أساتذته في
مدرسة القضاء الشرعي . وأن له محاضرة
بجامعة في موضوع الألف اللينة كان
لها صداها وقت إلقائها ، في نادي
دار العلوم ، وأن معظم أعضاء النادي
أقروه على رأيه في كتابتها ألفا ، وكتبوا إلى
وزير المعارف بما استقر عليه الرأي . وبعد
أسبوع تفضل الشيخ « أمين الخولي »
فأهدى إلى نسخة العدد الثاني من صحيفة
« نادي دار العلوم » الصادر في غرة ربيع
الثاني سنة ١٣٢٧ هـ - ٢١ إبريل سنة ١٩٠٩ م
وقد خصصت صفحاته إلا قليلا للخطبة
التي ألقاها الأستاذ « محمد المهدي »
المدرس بمدرسة القضاء الشرعي على أعضاء
نادي دار العلوم يوم الخميس ١١ مارس
سنة ١٩٠٩ في الإملاء وتاريخه وتذليل
أكبر صعوبة فيه . ولتقرير مرفوع إلى صاحب
السعادة « ناظر المعارف العمومية » لطلب
الترخيص للمعلمين أن يتبعوا في التعاليم
طريقة كتابة الألف ألفا في جميع أحوالها .

ولقد ظلت هذه النسخة عندي ، حتى
بدالي اليوم أن أنشر ماحوت من الخطبة
والتقرير بنصهما ، على رأس سبع عشرات

وخمس من السنين ترادفت على النشر الأول ،
إحياء لذلك التراث العامي الدرعي .

وبالبحث لي على هذا الإحياء أمور :
أولها : أن مشكلة الألف اللينة مازالت
قائمة ، لم ينته الرأي فيها إلى علاج ، ومن الخير
أن يبعث فيها ذلك الصوت القديم ، من جديد !
الثاني : أن المحاضرة دراسة علمية وثيقة
وأنها هي وتقرير أعضاء النادي ، ياقين
ضوءا على الحركة العلمية والاتجاه التقدمي
إلى الإصلاح والتقويم ، في ذلك العهد
المبكر الذي كان يعرف بأنه عهد المحافظة
والسلفية والتقليد .

الثالث : أن هذا البحث للشيخ « محمد
المهدي » لم يذكره الذين ترجموا له ، وفي
مقدمتهم صاحب « تقويم دار العلوم » ،
وصاحب موسوعة « الأعلام » وما أجدره
بالذكر :

٣ - ومجمل تاريخ الشيخ « محمد المهدي »
أنه عاش فيما بين سنة ١٨٦٨ م و ١٩٢٤ م :
وأن جده لأبيه « زكراغا أرناؤوط » من قبيلة
زوغو الألبانية ، وأن أمه كردية ، وأنه
تعلم في الأزهر ودار العلوم ، وتلمذ
للشيخ « محمد عبده » ، وناصر « مصطفى
كامل » في دعوته الوطنية ، وقد قام بتدريس
العربية والأدب والفقه والتاريخ الإسلامي في
مدرسة القضاء الشرعي وفي الجامعة الأهلية ،
وله سفرة إلى أوربة ، وكان كاتباً مجيداً ،
وكان لا يعدل بالفصحى في حديثه بديلاً ،

وكان حسن الهندام ، حتى إن أصحابه كانوا
يلقبونه في زيه العربي : ملك العرب :

وهو في بحثه الذي نعيد نشره اليوم ، يعرض
مشكلة الكتابة العربية ، وبخاصة الألف
اللينية ، ويبين أن اتباع ما يفرض من قواعد
كتابتها لا يتسنى إلا للمنتهين في العلم ،
وقد عني بأن يبسط الشبهات التي تعرض
للمعارضين في كتابتها بالألف ، ويفيض
في تفنيدها واحدة واحدة ومن الطريف
في بحثه قوله : « لا أدري لم لا يقولون
لتلاميذهم تعلموا كل شيء في اللغة قبل أن
تتعلموا كتابتها » . ولم يفته أن يشي في بحثه
إلى مشكلة إهمزة أيضا ، فقال : إنه أعد العدة
لبقية نواحي الإصلاح للإملاء ، ولكنه أثر أن
أن يتربص بها حتى يعلم ما يصير إليه الرأي
فيما ينادى به ، علاجا لمشكلة الألف اللينة .

٤ - والحق أن كتابة الألف اللينة بحسب
الضوابط التي يسوقها علماء الإملاء باللغة الصعوبة
فهي تختلف في أحكام كتابتها ألفا أو ياء بين
وقوعها متطرفة أو متوسطة ، سواء أكان
توسطها أصايا أم عارضا ، والخطب كل
الخطب في المتطرفة ، فهي على تعدد وجوهها
تقتضي تفصيلا وتفرقة بين الاسم والفعل
والحرف ، وبين الأعجمي وغير الأعجمي ،
وبين المعرب والمبنى ، وبين المنقلب عن واو
وعن ياء ، وبين ما هو واوى يائى معا ، وبين
كون الألف ثالثة أو ما فوقها ، وبين
ما قبله ياء وما ليس كذلك ، وبين كون عين

الفعل مهموزة وغير مهموزة . على أن الضوابط
بعد هذا كله تجر وراءها قافلة من المحترقات
والمستثنيات ، وهي فوق ذلك كله ليست بين
أعلام الإملاء محل اتفاق باطلاق !

ولبعض القدامى من النحاة رأى في
كتابة الألف اللينة ألفا ، حملا للخط على اللفظ
فقد اختار هذا الرأي « أبو علي الفارسي » ،
و« الزجاج » ولبعض النحاة رأى في تجويز
كتابتها ألفا أو ياء ، مع تفضيل كتابتها
بالياء ، وقد ذكر ذلك « أبو حيان » .

٥ - أما في عصرنا الحديث ، فكان
الشعور بمشكلة الألف اللينة عميقا ، ومن ثم
اهتمت بها الهيئات والمعاهد والجامع في
البلاد العربية . وفي « مجمع اللغة العربية »
بالقاهرة عنت بها لجنة الإملاء ولجنة
الأصول ، في دورات شتى ، وأصدرت
كلتاهما في شأنها قرارات متعاقبة . وما أكثر
ما تعددت آراء الباحثين هيئات وأفرادا
في شأن هذه الألف اللينة هناك قائل بكتابتها ألفا
مطلقا دون استثناء ، أو باستثناء الحروف ،
أو باستثناء ما يلتبس من الكلم ، وهناك قائل
بكتابتها ياء مطلقا ، أو باستثناء طائفة من
الألفاظ ، وثمة قول بكتابة الأسماء بالياء ،
وكذلك الأفعال إلا أفعالا بأعيانها تحفظ
وثمة أيضا قول بأن الثلاثي يكتب بالألف ،
وغيره يكتب بالياء .

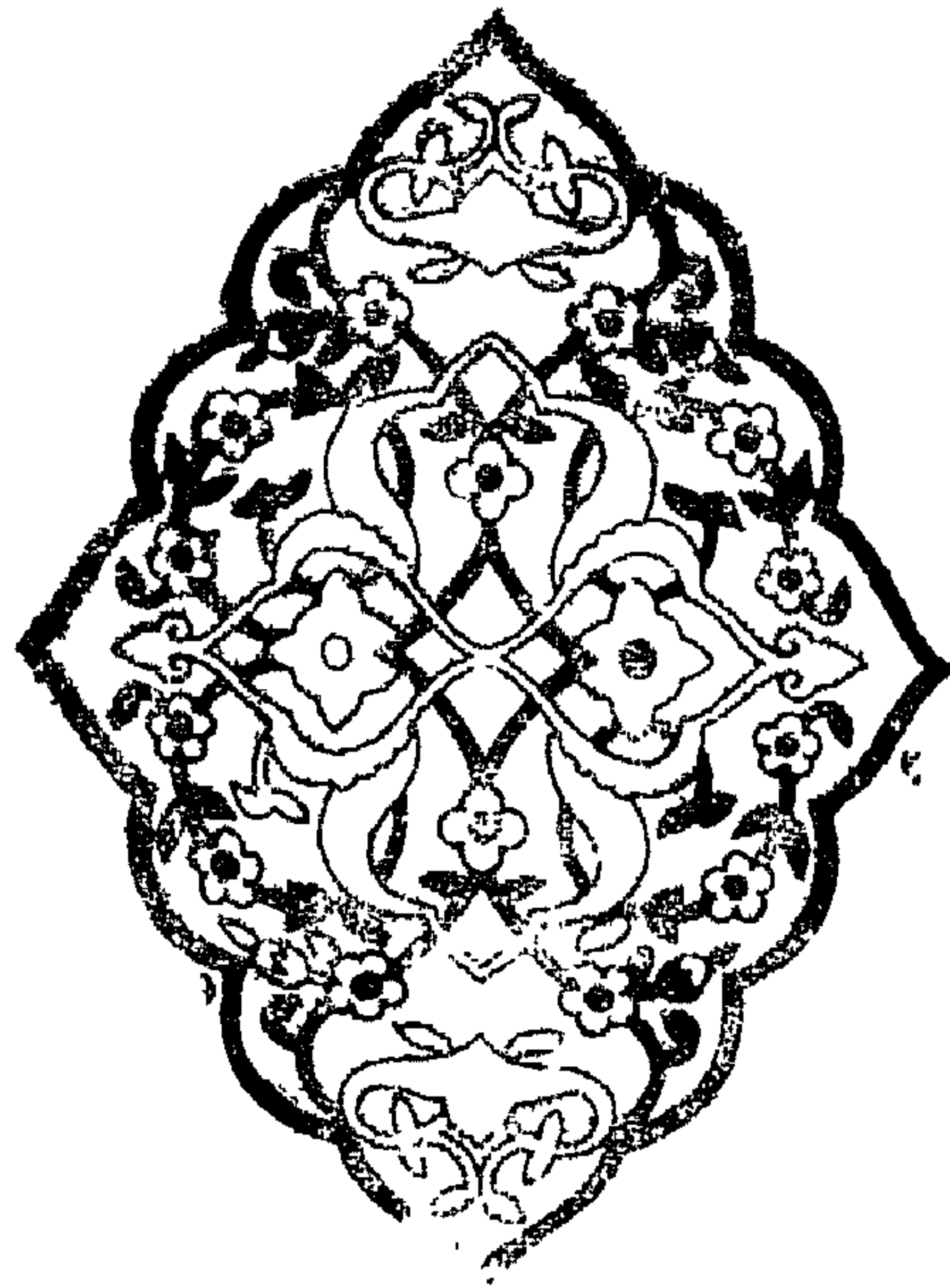
جاسة المؤتمر الختامية في الدورة الخامسة
والثلاثين ، قائلاً :

« إنا نرجو أن نفصل في موضوع
الألف اللينة ، تيسيراً لها ماوسعنا التيسير ،
وتعطينا اليوم بأعبائه الثقال أصبح لايسمح
أن يقف الناس طويلاً عند كتابة الحروف
ورسمها » (١) .

محمد شوقي أمين
عضو المجمع

٦ - من هذا التباين في الآراء - قديماً
وحديثاً - حول « الألف اللينة » يتبين أنها لم
تكن - ولو بعض اللين - حتى اليوم
للباحثين ، ولم ياتقوا فيها على رأى جميع ،
وما أحققها بأن تسمى الألف الصعبة ،
لا الألف اللينة .

ولعل ذلك مادعا للدكتور « إبراهيم
مذكور » رئيس مجمع اللغة العربية منذ عشر
سنين ، إلى أن يخاطب أعضاء المجمع في



(١) أصدر المجمع فيما بعد قراراً في تيسير كتابة الألف اللينة . يرجع إليه من يشاء استكمال البحث .

صحيفة نادى دارالعلوم

﴿ مصر في غرة ربيع الثاني سنة ١٣٢٧ - ٢١ ابريل سنة ١٩٠٩ ﴾

الخطبة التي ألقاها الاستاذ محمد المهدي المدرس بمدرسة القضاء الشرعي على أعضاء نادى دارالعلوم يوم الخميس ١١ مارس سنة ١٩٠٩ في الموضوع الآتي

﴿ الاملاء وتاريخه وتذييل أكبره مربية فيه ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم هي لنا من أمرنا رشداً

سأدتي

طال الامد على وقوف امتنا وسير المدنية فينا سيراً حثيثاً حتى اتسعت مسافة الخلف بينهما وضعج بالشكاة من اعواز اللغة وصعوبة قواعدها الكتاب المجيد والعالم النحرير والشاعر الفحل والخطيب المفوه والمعلم الماهر والمترجم المتعزن كلهم متألم لذلك ولأن سلفهم كانوا افراداً متقاطعين بعيدين عن روح الجامعة العلمية الاصلاحية ولا يكادون يجتمعون حتى يفترقوا وهذا تاريخ فن الاملاء اصدق شاهد على ما أقول وعلى أن الايدي العاملة فيه أيدي

افراد لا أيدي جماعات •

ذلك ان الخط العربي من عهد عاد الاولى كان حروفا منفصلا بعضها عن بعض ولم تكن الحروف على هذا الترتيب ولا بهذه الاشكال وكان تعلم الكتابة مخفورا على الناس الا باذن من أهلها فلما نقله الى آل المنذر نسبها التابعة مرمر بن مرة وعامر بن جدرة وأسلم بن سدره تصرف فيه الاول واقتطع منه خطا سماه خط الجزم ووصل بعضه ببعض وتبعه في ذلك من بعده • والدليل على أن الاول من هؤلاء الثلاثة هو واضع خط الجزم ما رواه ابن خلكان أنه قيل لابي سفيان بن حرب ممن أخذ ابوك هذه الكتابة فقال من أسلم بن سدره وقال سألت أسلم ممن أخذت هذه الكتابة فقال من واضعها (١) مرمر بن مرة فكان مرمر فيما نقل اليه اول مختزل في اشكال الحروف العربية ثم نقل هذه الكتابة حرب بن أمية القرشي الى أهل الحجاز ومن جاورهم من الأميين وقد كانت على حالتها البدوية خالية من النقط والشكل والشذات والمدات وكثير من الألفات خصوصا منها المتوسطات وقد كتب القرآن الكريم بها على هذه الصورة ولم يكن للعرب كتب اذ ذاك غير القرآن وهو محفوظ في الصدور متاقى بالسند الشفوي المتصل المتواتر فلم يسألوا باللبس في رسم المصحف ولم يعنوا باصلاح الخط لمكانة السليقة فيهم من جهة والبداءة من جهة أخرى فلما كثرت الموالى والمولدون أخذ أفراد من العلماء في عصور مختلفة يزيلون اللبس بالتدريج اشفاقا على الناس ومحافظة على كتاب الله من تحريف غير القراء فان كلمة عبد مثلا كانت مرسومة هكذا (عبد) ولا تكاد تجد فرقا بينها وبين عند وعندو وعبد وعباد وعناد وعناد وعبد وعبد وعناد الى غير ذلك وكثير من أمثال هذه الكلمة فوضع ابو الاسود علامات الأعراب آخر كلمات المصحف في خلافة معاوية وهو يعلم اولاد زياد بن أبيه أخى معاوية بالبصرة فلما انتشر اللحن بالعراق في خلافة عبد الملك بن مروان وولاية الحجاج طلب

(١) هذا رأي مؤرخي العرب ويرى علماء الآثار الآن ان تاريخ الخط العربي المتصل الحروف أقدم من هذا التاريخ •

الحجاج من كتابه ان ينقطوا ازواجاً وافراداً ويكملوا ما وضعه ابرو الاسود فقام بذلك نصر
ابن عاصم وجري على طريقة تخالف طريقة ابي الاسود ثم جاء الخليل بن احمد فتم ما نقص
من اصلاح نصر بن عاصم وحسن ما وجدته منه واخترع الشدة والصلة والقطعة وعلامة
الامالة وبقى الناس يكتبون بخط الجزم وهو الذي سموه الخط الكوفي الى ما بعد الهجرة
بنحو ثلاثة قرون حتى جاء الوزير ابن مقلة وزير المقتدر بالله من خلفاء بني العباس فحول
صورته الكوفية الى الصورة الحاضرة هذا ولقلة الكتابة في صدر الاسلام وانتشار الامية
وكثرة اللبس في الخط العربي بقيت دواوين العرب باللغات الاجنبية الى سنة ٨٧ فقد
كان ديوان العراق بالفارسية وديوان الشام بالرومية وديوان مصر بالقبطية (١) فعلوا ذلك
للضرورة ولكنهم ما لبثوا ان كشفوا تلك الازمة الكتابية بالخروج عن خط المصحف
الى خط اصطلاحى اشتغل به كثير من علماء البصرة والكوفة فدووا له القواعد على
مقتضى الاقيسة الصرفية وأمن اللبس وان الرسم تصوير للفظ فزادوا فيه وتقصوا ووصلوا
وقطعوا وقد كان ذلك على حسب سماعهم من العرب ولما كان السماع مختلفا كان الاستنباط
كذلك فلم يعمض غير قليل حتى ظهر للناس مذهبان بصرى وكوفى بل مذاهب عدة
ولسكل شيعة وانصار وقد أخذ الناس عن علماء البلدين طرائق شتى في رسم الحروف
مخصوصا منها الالف اللينة حتى كاد يكون لكل عالم في ذلك العصر مذهب خاص
مثل ميمون الاقرن وابى عمرو بن العلاء ويونس والاخلش والخليل وابى زيد وابى عبيدة
والاصمعي وحماد بن سلمة وشيبويه وقطرب والمازني وابن دريد من علماء البصرة ومثل
السكائى والفراء وابن الاعرابى والمفضل الضبي وشعاب من علماء الكوفة ولقد كان
غيرهم من تجماعة الاء صار يحذو حذوهم في تشعب الخلاف وكثرة العلل ولقد كان ذلك
في اول الامر محتملا لاعتماد الناس على الحفظ ولقلة المشتغلين بالعلم وقلة العلوم نفسها

(١) نقل الاول صالح بن عبد الرحمن كاتب الحجاج بأمر منه ونقل الثاني صالح بن سعد
والى الاردن من قبل عبد الملك بن مروان ونقل الثالث عبد الله بن عبد الملك بن
سروان في خلافة الوليد بن عبد الملك وجعل عليه ابن يربوع الفزارى من أهل حمص

وصلاح حياة أكثر علمائهم الى الاتطاع لمثل ذلك فاما بعد تدوينهم العلوم وسير المدنية فيهم وانتشار القراءة والكتابة في غير العلماء فلم يكن من حقهم البقاء في هذه الفوضى ولكن التقليد ضرب بجرانه على كل شيء حتى ما ليس بدين فان الذي وسع المتقدمين في الخروج عن رسم المصحف كان يسمي في الخروج عن رسم اسلافهم للاتفاق على طريقة واحدة قريبة المأخذ بعيدة اللبس ولكن الجود والتقاطع فيما بينهم كانا ولا يزالان عقبة كثودا في سبيل العلم والمدنية لتخالف رسم الكتب وكثرة الخطأ والتصحيف فيما روي عن العرب من اشعارها وفيما دونوا من المؤلفات وحسبنا ان يخطئ ذلك العالم اللغوي الكبير أبو محمد عبد الله البطليوسي في اسم أدب الكاتب لابن قتيبة فيقرأه أدب الكتاب ويسمى شرحه عليه الاقتضاب في شرح أدب الكتاب وذلك لان كلمة الكاتب كانت مرسومة على الطريقة القديمة هكذا (الكاتب) وهي ان جعلت الفها بعد الكاف قرئت الكاتب وان جعلتها بعد التاء قرئت الكتاب ولا يزال مخطوطات العصور الماضية بين أيدينا تشكو من تخالفها وكثرة لبسها فتري في بعضها كلمة ادعو امامها الالف وهي فل الواحد وتجد في بعض آخر هذه الكلمة للجماعة وليس امامها الف واذا فتشت في المذاهب وجدت لكل مذهبا وتجد معها مرسومة تارة بالالف واخرى بالياء على طريقة المغاربة وتجد كلية الجزء تارة مكتوبة بواو واخرى بهمزة مرة بهمزة فوق الواو ومن الكتاب من يكتب الصلاة والمشكاة والزكاة بالواو متبعا في ذلك المصحف كابن حيان ومنهم من زاد الف في مثله للفرق بينها وبين منه كما زادت العامة عندنا الف في حنين لفرق بينها وبين حنين ومنهم من لم يزدها الى غير ذلك ولا يزال الخلاف الى الآن خلافا كبيرا في دور التعليم عندنا وعند سائر الامم العربية نجد ذلك في جرائدهم ومجالاتهم وكتبهم بل قد يتخالف الاساتذة في المدرسة الواحدة ويكون التعليم على طريقتين مختلفتين في الفرق الواحدة المقسمة الى فصلين وكما يكون الخلاف في التعليم يكون عند تصحيح أوراق الامتحان فبعض المصححين يكاد يجوز كل شيء وبعضهم يكاد يخطئ كل شيء وكل يدل بحجة

وينقل قولاً عن امام يكاد يراه معصوماً ولذلك كانوا يضطرون قبل التصحيح الى الاتفاق على الطريقة المشهورة وهي طريقة جمهور البصريين ولكنى كنت ولا ازال أرى ان تكليف التلاميذ الكتابة على مقتضى هذه الطريقة ظلم من الاساتذة لا يجوز البقاء عليه فان اللغويين أنفسهم اليوم لا يستطيعون ان يكتبوا على هذه الطريقة كتابة سليمة من الخطأ باطراد الا بعد مراجعة كتب الصرف والقراءات وكتب اللغة لان أكثر قواعد الفن مرتبط بتلك الكتب ارتباطاً وثيقاً فكيف نأخذ صبياننا بما لا يقدر عليه فضلاؤنا ومن العجب العجيب ان يشتكي العلماء قديماً وحديثاً من صعوبة الاملاء ولا تبلغ بهم الشكوى ان يعملوا على تسهيله فقد قال أبو محمد البطليوسى فى الاقتضاب صفحة ١٦٦ ما نصه وقد اضطربت آراء الكتاب والنحويين فى الهجاء ولم يلتزموا فيه القياس فزادوا فى مواضع حروفا خشية اللبس نحو واو عمرو والفاء مائة وحذفوا فى مواضع ما هو من نفس الكلمة نحو خالد ومالك فأوقعوا اللبس بما فعلوه لان الالف اذا حذفت من خالد صار خلدأً واذا حذفت من مالك صار ملكا وجعلوا كثيراً من الحروف على صورة واحدة كالذال والذال والجيم والحاء والحاء وعولوا على القط فى الفرق بينها فكان ذلك سبباً للتصحيف الواقع فى الكلام ولو جعلوا لكل حرف صورة لا تشبه صورة صاحبه كما فعل سائر الامم لكان أوضح للامانى وأقل للالتباس والتصحيف ولذلك صار التصحيف فى اللسان العربى أكثر منه فى سائر اللسان اهـ فأنتم ترون ان هذا العالم الجليل الذى أصلح كتاب ابن قتيبة وهو احدى أركان الادب الاربعة يجيز أن يضع الكتاب حروفاً أخرى غير الحروف التى عرفت من قبل الاسلام ليرفع بذلك اللبس ويقلل الخطأ ويشكى الناس وليسكنه لم يفعل ولم يبالغنا انه دعا معاصريه الى الفعل وأنا فى مقالى هذا لا أريد ان أعمل كما يريد البطليوسى ولا أريد ان ابتدع وانما أريد ان أحل الناس على مذهب سهل وطريقة متقبلة حتى لا يحمل على المحافظون حملهم المعهودة وقد فكرت أيها السادة فى صعاب الاملاء وذلكها بما بلغه وسعى ورأيت ان أصحبها على المتعلمين والمعلمين قواعد الالف اللينة ثم الهززة وان الخطيب فيما بعدها محتمل

أما قواعد رسم الالف اللينة فالظاهر أنها وضعت للعلماء المتبحرين لا للنشأ المبتدئين لأن منها تخلص الواو من الياء وهو من أصعب المباحث اللغوية التي افتخر بها محد الدين الفيروز آبادي في مقدمة قاموسه اذ يقول ومن أحسن ما اختص به هذا الكتاب تخلص الواو من الياء وذلك قسم يسم المصنفين بالعي والاعياء (أي بالعجز والكلال) وأنا أقول اذا كان يسم المصنفين بالعي والاعياء أقلاً يسم المتعلمين من باب أولى بالباس والشقاء اذ كيف يتأتى للأشئ الذي لا يعرف كيف يراجع كتب اللغة فصلاً عن التضلع منها ان يعرف ما يفتخر بمثله أئمة اللغة ليصحح كتابة الالف *

ومنها ان كل اسم أو فعل ثلاثي ممال تكتب الياء وكلكم يعلم ان الامالة أصبحت فيما بيننا مهجورة لا تكاد تعرف الا من بطون الكتب بل قد بطلت دراستها من أكثر المدارس اقله الحاجة اليها في الانشاء والخطابة ولم نعد نسمعها الا من بعض القراء الذين يقرءون نادراً بغير قراءة حصص المشهورة بينما فكيف نحيل الطلبة على الامالة في تعليم الاملاء بعد ان أصبحت خافية على كثير من المشتغلين بالعربية أفنطالب الصبي ان يرجع الى كتب القراءات وشرح لالفية ليعلم هل الكلمة التي يريد ان يكتبها ممالة في رسمها ياء أو غير ممالة في رسمها ألفا ذلك هو الارهاق

ومنها قولهم ان الكلمة اذا وردت ممدودة ولو مرة واحدة فان ألفها ترسم ألفاً قائمة ومعنى هذا ان يقب الطالب أو المعلم في أمهات الكتب على الكلمة ويستقصى جميع ما وردت فيه من نظم ونثر حتي يحكم بأنها لم تسمع ممدودة وحينئذ يرسمها بالياء ومن عجيب ما رأيت ان القاموس رسم كلمة سنا بالياء في النسخة التي عليها خطه مع انه قال في المادة نفسها (ويمد) ولم يهطن لها فيما رأيت الا صاحب اللسان فانه نص على رسمها بالالف فقاعدة هذا أثر التطبيق عليها بين لغويين كبيرين كيف يكون أثرها بين من دوماً في العلم والانقطاع الى اللغة بله التلاميذ وهل يصح ان يكلف الذي يريد القراءة والكتابة مثل هذا ان هذا التكليف بما لا يطاق .

ألم يقولوا للتلاميذ اذا أردتم ان تعرفوا الواوى من انبأى فاعرفوا ذلك بالثنية

والجمع والمصدر والمرّة والهيئة والفعل والمضارع والاسناد الى تاء الفاعل أو الف الاثنين ولا أدري لم لم يقولوا لتلاميذهم اعرّفوا ذلك بعلم الصرف واللغة بل لا أدري لم لم يقولوا لهم تعلّموا كل شيء في اللغة قبل ان تتعلّموا كتابتها ؟

ألم تكتب المطالع النصرية نحو تسع صفحات بالخط الدقيق في شروط حذف الف ابن ثم ختمت ذلك بعشرين بيتاً لجمع هذه الشروط وتسهيلها على طالبها وبني أناشيدكم الله أي صعوبة أصعب من هذا التسهيل ؟

أليس من قواعد الالف أنّها اذا كانت زائدة عن ثلاثة في كلمة أعجمية رسمت الفا واذا كانت في عربية رسمت ياء مع أنّ المتضلعين من اللغة بل من اللغات لا يقفون على أصل بعض الكلمات وتمييز عربيها من أعجميها الا بعد التقيب والبحث الدقيقين وقلما ينفعهم اليوم رجوعهم الى القواعد التي وضعها المتقدمون للفرق بين الكلمات الأعجمية والعربية لان أغلبها ملاحظ فيه اللغة الفارسية فاما اللغات المنتشرة بيننا الآن كالانجليزية والفرنسية والاطالية فلا تكاد تتعرض لها هذه القواعد ولا يذكر منها مثل في كتبنا لان معاجمتنا قديمة لا تتعرض بالضرورة للجديد ولان المشتغلين منا لا يحجون ان يزيدوا مثالا غير الامثلة الموروثة فهل هذه القاعدة التي تاء بحملها الكبار تلقى على الصغار ؟

لهذا كله عمد ناس من المتقدمين وبعض المتأخرين الى جمع الواوي واليائي وما وصل اليه من الكلمات الأعجمية وصاروا يعلمون تلاميذهم باملاء ذلك عليهم كلمة كلمة فراراً من هذه القواعد التي تكاد تقعد باللغة على اطلاعها القديمة ورسومها الدارسة

ومنهم من ظن انه يخفف على الناس بجمع المقصور في قصائد فجمع كثيراً منه في كلام غث ثقل فجعل للواوي من الافعال قصيدة واليائي قصيدة والمترشح بينهما قصيدة ثم ثلاثاً أخرى للاسماء ومع هذا لم يستقروا ولم يوفقوا للصواب في كل ما قالوا على ان هذه الطوائف من القصائد اذا ابتغى بها طالب وحفظها فان كلماتها لا نصير

ممسكة في يده بمجرد حفظها بل قلما تبقى محفوظة لان الشيء الثقيل القليل الفائدة سريع الزوال
وهل يجوز أن يضع الطالب زمنه ويكد ذهنه ويملأ حافظته بكلام سحيق لاجل
أن يتأتى له رسم الالف اللينة في بعض صورها مع أنه لقنها في الهجاء وعلم أن شكلها
أسهل الاشكال وابعدها عن الاشكال وهل في استطاعة اية حكومة ان تجعل التعليم
عاما في أمنها مع نفاء مثل هذه القواعد الممذرة التطبيق لاجل كتابة حرف واحد من لغتها
وهو الالف اللينة * ياسبحان الله ما اقسى هذه الالف اللينة وما اشد مصيبة التعليم بها

لهذا كله رأيت ان أطوح بهذه الاحمال الثقال وافرح عن المعلمين والمتعلمين
واطلق يد الكاتبين وارفع صوني ماديا تترك هذه القواعد وهذه المنظومات وكل ما خط
في رسم الالف اللينة والاستغناء عن هذا كله برسم الالف اللينة القائمة كما ننطق بها
وكما علمناها في الهجاء سواء كانت في حرف او اسم او فعل ثلاثي او أكثر علم او غير علم
مختوم بياء او غير مختوم * واني أقول للمحافظين لا يرتدحكم هذا النداء فاني راعيت جانبكم
وتقيت في الاقوال الماثورة عن المتقدمين فوجدت كثيرا من علماء النحو يقول بهذه المقالة فلم
أك والحمد لله عندكم بدعا فيما أقول واليكم ذلك فقد جاء في صفحة ١٧٣ من الاقتضاب مانعه
(ومن النحويين من يرى ان يكتب كل هذا بالالف حملا للحظ على اللفظ.
وهو الذي اختاره أبو علي الفارسي في مسائله الخالية) بل قد جاء في الكتاب الذي تتداولونه
وهو المطالع النصرية في صفحة ستة ١٢٠ ما نصه * واما المسوغ لكتابتها الفا مع وجود
المقتضى للياء فسبعة وسر ستة منها (ثم قال) وسابعها اتباع جماعة من النحاة مشوا
على كتابة الباب كله بالالف حملا للحظ على اللفظ سواء كانت الالف ثالثة او فوقها
ولو منقولة عن ياء في علم او غيره كما في الشافية ووجهه شيخ الاسلام بانه القياس ولانه
اتفى للفاظ اه

فان كان لابد من فتوى فناهيكم بفتوى شيخ الاسلام زكريا الانصاري وان كان لابد
من قاعدة فالقاعدة ان كل مسألة فيها قولان ينبغي ان يرجح منها ما يوافق القياس
اخواني هذه الطريقة يوجبها القياس والسهولة وادخار الزمن لعمل انفع وتيسرها للناس

كافة وهي التي تناسب تعميم التعليم ويستوى في معرفتها العالم الكبير والصبي الصغير وتخفف عنكم شيئاً من العناء الكبير الذي تجدون في تصحيح الكراسات وتمارين التلاميذ والطلبة على أن المسألة ليست من مسائل الاعتقاد حتى نخشى من مناجاة الناس بها بل هي مسألة اصطلاحية فنية بحتة وقد خرج الناس قبلنا في صدر الاسلام عن رسم المصحف الكريم الى خط اصطلاحى ولم يروا في ذلك غشاضة على انفسهم ولا خطأ من شأن الكتاب العزيز مع أن حاجتهم الى الخروج كانت أقل من حاجتنا اليوم فقد أصبحنا في حياة كلها منافسة وهي تستدعى علوماً جمّة وأعمالاً شتى وأصبحت اعمار الناس لا تنفصح لأن يصرف الواحد منهم سبع سنين في تعليم الاملاء ومع ذلك لا يجيده بل لا يزال يخطئ الى أن يموت على أن أهل العالم اذا تشددوا في التمسك بمثل هذه القواعد العقيمة فاني انذرهم وانذر نفسي بتخلف اللغة العربية عن سير المدنية تخلفاً ينسأل معه الناس من لغتنا لو اذا اما الى العامية وهي لهجة لا تنهض بعلم ولا باخلاق ولا بشيء من مقومات الحياة اللطيفة واما الى اللغات الاوربية وفي ذلك فناء الامة في سواها *

فاذا كان لى منكم عضد ووافقتهموني على هذه الطريقة وطلبتم أن يؤذن لكم بتعميمها في مدارسكم فاني لا اشك في اجابة طلبكم لانكم انتم لسان الحكومة العربى ويرجع تعليم اللغة العربية في مدارس الحكومة اليكم ومكم المدرسون والمفتشون والبطار واذا تم لكم ذلك مشى على اثركم المعلمون في القطر المصرى وانتقل الى الاقطار الاخرى اذ لا يعقل أن يكافؤا انفسهم الصعب بعد وجود السهل المقبول *

لعلكم تقولون اذا كنت مصلحاً ولا بد فضع الى عملك هذا تسهيل رسم الهمة بل اجعل الاصلاح عاماً واعرضه بعد ذلك على العلماء والكتاب وأهل الراى حتى اذا وافقوك نقلت الناس ثقلة واحدة بدل أن تقلهم كل حين الى مسألة واحدة فان هذا يبطئ بالاصلاح من جهة ويكثر ازعاج الجمهور من جهة أخرى بنقلهم من شىء الفوه الى شىء جديد *

(م ٦ من الصحيفة)

واني أجيبكم أيها السادة من وجوه . الوجه الاول ان الاصلاح الصغير لا يترك
لا انتظار الاصلاح الكبير . الثاني اني أردت التدرج مخافة الفشل اذا عملت كل
ما أريد وتريدون دفعة واحدة * وصعب على الانسان ما لم يعود . الوجه الثالث اني
أعددت بقية الاصلاح وتربصت به حتى أعلم رأيكم ورأي الجمهور في ذلك فاذا
أنست منكم ومنهم تقبل نادرت الى اعلانه كله في خطبة واحدة وارجو ان شاء الله ان
يكون ذلك قريبا

بقي على ان ارد الشبه التي سيوردها المحافظون فانهم سيقولون لا محالة *
(١) ان المتعلمين على طريقته التي اخترتها اذا قرءوا في كتبنا وجرائدنا ومجلاتنا
القديمة فانهم ينطقون بالالف المسكتوبة على صورة الياء فيقولون في رمي رمي وفي
على على وفي الى الى وفي المصطفى المصطفى الى غير ذلك ورد هذه الشبهة من وجبين
الاول ان الطريقة القديمة لا تعصم من مثل هذا بل توقع فيما هو شر منه لان الرسم
فيها لا يفرق بين المصطفى والمستغنى اسمى الفاعل والمفعول ولا يفرق بين هوى وهوى
وهوى وهوى ولا بين على وعلى الى غير ذلك ولان المعتلات الاواخر المرسومة فانها
على صورة الياء في الطريقة القديمة تزيد عن الفى كلمة مما يقع في عبارات الكتاب
والمؤلفين فالراجع الى الكتب القديمة واقع في لبس من هذا لا محالة ولا ينجيه منه
الا التضلع من علمي الصرف واللغة فالذي يجيه من هذا على كثرته ينجيه مما تخافون
عليه من اللبس اقليل في جانب ذلك فالطالب الذي يرجع الى الكتب القديمة ان
ن كان من صغار الطائفة فانه مخطئ ولا بد سواء جرى على الطريقة الجديدة أو القديمة
التي لا تنقط الياء لمطرقة فهو ينطق بالالف المقصورة كما ينطق بالياء ولا فارق فيها
يمصمه من هذا الخطأ فخير له على طريقتنا ان يقلل خطؤه جداً فان الكتب ستقسم
الى جديدة لا يخطئ فيها وقديمة يجرها الزمان يخطئ فيها كما كان يخطئ من قبل ان
دعته الحاجة الى ذلك على سبيل التدور وان كان عارفاً باللغة والصرف فان اعتراضكم
لا يجي لانه متى لاحظتم ما سهل عليه ان يعرف الصواب

الوجه الثانى ان الصدر الاول لم يبال بهذه الصعوبة حينما أحدث الخط الاصطلاحي ولم يبال ابن مقلة حينما غير الخط الكوفى الى الخط الذى تعرفونه الآن لان الزمان كفيل باظهار ما تدعو اليه الحاجة واضمار ما لا تدعو اليه فهو الذى يسير بالجديد الحاحى ويقف بالتقديم المفروغ منه على ان المطابع سيتعبد طبع النافع من الكتب القديمة فتطبعها على الطريقة الجديدة ولا يبقى بلا طبع غالبا الا الذى لا خير فى كثيره منه للناس وبهذا تذهب الشبهة الاولى

الشبهة الثانية ان كتابة المفصول كله بالالف تنفوت الطالب معرفة أصل الكلمة أمن بنات الواو هي أم من بات الياء فلا يدرى كيف يثنى الاسماء أو يجمعها جمع سلامة أو يسند الافعال المعتلة الى الضمائر وهذا شئ لا يستهان به

والجواب ان هذه مسألة دورية محالة وذلك ان الكاتب على الطريقة القديمة لا يكتب الالف الثالثة الا اذا عرف أصلها ومعرفة أصلها متوقفة على علم الصرف واللغة وعلم الصرف أو اللغة متوقف على الاملاء في رأى المشتبه فيجىء الدور حتما على ان تثنىة الاسماء وجمعها واسناد الفعل الى الضمائر كل ذلك له علم خاص به وهو الصرف فمن أراد ذلك فليطلبه ولا يجوز أن تكلف من لا يريد الصرف ان يعرفه من الاملاء معرفة ناقصة وتضيع عليه زمنه بادخال ما لم يرد فيما أراد فلا يتقن لاهذا ولا ذاك بل لا معنى لتكليفه ما لا يطيقه ولا فائدة له منه

الشبهة الثالثة ان الجرى على الطريقة الجديدة غير مأمون اللبس بل يوقع الطالب في اشتباه كان ينجو من مثله على الطريقة القديمة مثال ذلك الى فانها تشبه بالا وعلى فانها تشبه بعلا الفعلية

وجواب هذه الشبهة ان الالتباس فى الفاظ قليلة جداً وتميزها بالقرائن أسهل من تميز سواها على الطريقة الاولى فاذا قلت أرسلت الى فلان أو سميت الى ريارته ورسمت الى بالالف لم يشبه الامر على الناظر خصوصاً بعد ان تبلغه الطريقة الجديدة ولا يفوتك أيها المشتبه ان تميز الا من ألا وألاً أصعب وأحق من تميز الى من احدى هذه الثلاث

على انى أجيز للكاتب الذى يضبط بعض الكلمات اذا ظن فيها اللبس وأقول للمشبهة
اذا رضيت باللبس على الطريقة القديمة في نحو ثلاثة آلاف كلمة ألف سنة أفلا ترضى
به على الطريقة الجديدة في كلمات لا تكاد تستحضر منها بصع عشرة كلمة واذا رضيت
بالاشتق الاعداد عن القياس أفلا ترضى بالايسر الاقيس

الشبهة الرابعة اذا كنت تقول بالقياس وهو ان تكتب كما ننطق اذ ان اددان
والا الاوادعى اددعى واطمان اطمان وانك ان فعلت ذلك أوقعت الناس في لبس لم
يقعوا فيه من قبل

والجواب انى أقول بالقياس اذا كان مع المصاحفة وكلامى اليوم فى الالف اللينة
دون سواها والقياس فيما جلى واضح المنفعة واما فى سواها فاني أكون مع المصاحفة
أينما كانت

الشبهة الخامسة ان الانسان لا يكتب الا ما هو متمكن من معرفته والكلمات
التي تدور على ألسنة الناس وفي حاجاتهم قليلة يمكن حصرها وتعليمها اياهم على الطريقة
القديمة ولا حاجة الى هذا التغيير

والجواب ان الدعوى الاولى غير صحيحة فقد يكتب الكاتب ما لا يعرف اذا
أملى عليه من يعرف وقد رأيت علما أعشى يملى على تلميذه تأييدا له فى علم لم يلقنه اياه
فكان يخطئ فى ذلك خبط عشواء وهؤلاء النساخون الذين نشكوا منهم كل يوم هل
يكتبون ما يعرفون

وأما كون الكلمات المستعملة قليلة فهذا كلام مقول بالتشكيك وما ذا تريدون
من القلة فان كانت ألف كلمة فهي كثيرة وان كانت ألفا فكذلك على ان كلمات
التأليف والتحرير غير واقعة عند الحد الذي يحى في اذهانكم لاول نظره ولقد عبت
بالنظر فى ذلك فرأيت المستعمل فى التأليف لا يقل عن ألفي كلمة هذا عدا ما ظننت انه
ميجوز ويجوز الا ميجره غيرى

الشبهة السادسة انه يشق على الناس ان يخرجوا من عادتهم فى مثل ذلك وتكليفهم

الخروج عما أنفوه ضرب من الارهاق وربما كان منه مالا يحب
والجواب ان الخروج من العادات الضارة واجب وليس في مثل هذا الاصلاح
المسهل ارهاق على أنى معتقد ان الناس متى علموا جواز الرسم على هذه الطريقة وأنه لا يعتبر
خطأ في الكتابة العلمية والرسومية والادبية سارعوا اليها وندوا القديم الذى لا يكاد يسلم
من الخطا به صغير ولا كبير
وسيقول من يحسن ظنه في لم لا يشتغل بتأليف كتاب في آداب اللغة والحاجة
شديدة بدل اشتغاله بموضوع صغير كهذا وما هذه الالف اللينة التى يعنى بها كل
هذه العناية *

والجواب انى مشتغل بما يريد من جهة ومعتقد ان هذا الموضوع الآن افيد الأمة
من الموضوع الذى يقترحه على فان اصلاح الاملاء أمر يرتبط من جهة أخرى في مصر
ناثني عشر مليوناً يراد ان يعمهم التعليم وهذا أمر حاجي لا يتأتى تعميم التعليم الا به واما
كتاب آداب اللغة فانه يؤلف لطبقة قليلة مخصوصة على أنه الى الآن من كاليات اعتنا
فهل يحملك أيها الاخ العزيز حس اعتقادك في على أن نصرفنى عن الانفع الى النافع
وعن الضروري الى الكمالي ذلك مالا ارضاه اصداقتك وحبك الخيرى وللناس
نقيت كلمة يقولها كثير من الناس حينما يسمعون باصلاح جديد وهى هل اصلحت
كل شئ حتى لم يبق الا الاملاء وهذه الكلمة تقال لى اذا أخذت في اصلاح معاجم
اللغة كما تقال لسواى ادبهم باصلاح أى شئ وكان من حقى الا ابالى بهذه الكلمة ولا
افرص لها وجودا لانها لا تصدر الا من الذين يكرهون كل تغير ولو كان في مصاحبتهم
كما كانوا يقولون وهل علمنا السنين حتى علم السنين واسكني أردت أن أجيب عنها لارضى
القامة او الجامدين أيضا فاقول افرصوا ان هذا اول اصلاح مستطاع الى الآن افأتركه
حتى يتأتى لي اصلاح كل ما عداه وهل أترك ما استطع لمالا استطع وهل يتأتى اصلاح
كل شئ الا بالبدء فى شئ منه كما بدأت بهذا الآن ثم نجى الاشياء الاخرى التى
تتخلو منها بعد فقيم بهذا ما أردتم وقد يقول المحافظون انا نخشى ان جرينا على طريقة

الاصلاح ان تغير من اشكال حروفنا او ان نخرج بها عن المعروف قديما وحديثا
لسائر الامم ومن ذا الذي يعلم ما يصل اليه الامر فقد يتطرف متطرف الى اكثر من
ذلك ولهذا لا ينبغي أن تغير شيئا مما نحن فيه *

والجواب ان البقاء على ضرر محقق مخافة ضرر موهوم ليس من السكاسة في شيء
وانا اخشى على اللغة من الضرر المحقق اكثر من خشيته عليها من الضرر الموهوم . على
ان الخطأ امر اصطلاحى متى ظهرت المصلحة في تغيير شيء منه فالى خطر على اللغة
من ذلك وانى اعتقد ان الساعي في اصلاحها الآن اشفق عليها من هؤلاء المحافظين
الذين يحتملون الضرر الواقع مخافة الضرر الذى يخيل اليهم *

سادتي واخواني ان الناس لا يرضون منا أن تقتصر في اعمالنا على ما تفرضه
القوانين الرسمية على المدرسين منا والنظار والمفتشين بل يطلبون البنا ان نهذب لغتنا
ونقرب منهم مأخذها ونزيد لهم مادتها حتى تسع مسمياتهم الجديدة كما وسعت مسميات
العلوم من قبل واذا كان الله قد اهدى الناس هذه الثقة بنا فقد وجب علينا ان نهب
حياتنا للهوض بلغة كتابه العزيز شكراً له على هذه المنحة الجليلة وتحقيقاً لظن الناس بنا
ومحبة في الخير وحق على كل انسان أن يشد ازر أخيه لعمل باجتماعنا عملاً صالحاً
فاذا كان لي منكم عون فيما اقترحه اليوم فاننا ندلل اكبر صعوبة في سبيل تعليم هذه
الامة التي تريد أن يكون التعليم فيها عاماً اجبارياً ليتعلم أبناؤها القراءة والكتابة وما
لا بد منه من علم الدين والدنيا ويفرغوا بعد لمزارعهم وصنائعهم كما هو الشأن في
الامم الراقية

هذا وانى لا رحو من غيرتكم أيها الاخوان ان تقدوا ماعسى ان يكون قد وقع
في خطاب أخيككم تقدمكم الصحيح الذى يمهده في ذكائكم وفطنتكم وأسأل الله تعالى
لي ولكم التوفيق الى طريق السداد وقبل أن أختم خطابي انشدكم الله الا ما سرعتهم
الى العمل مجتمعين اذا تقبلتم اقتراحى بقبول حسن محمد المهدي

(صورة التقرير المرفوع الى صاحب السعادة ناظر المعارف العمومية
بطلب الترخيص للمعلمين ان يتبعوا في التعليم طريقة كتابة
الالف ألفا في جميع أحوالها)

ناظر المعارف العمومية سعادتلو 'فندم
الامة الآن تسير في طريق تعميم التعليم وسعادتكم تأخذون بيدها الى هذه
الامنية ومن الضروري ان يكون طريقها الى ذلك مدلا من العقبات التي تجعل السير
فيه صعبا *

اساس التعليم كله هو الكتابة والقراءة وعليهما يبنى كل علم آخر يراد استفادته
والكتابة والقراءة هما اول ما يقابل الناشئ في تعليمه الاولى أي تعليم الكتاب فمن
الواجب ان يتجه كل طالب اصلاح تهذيب قواعدهما حتى لا يكون اول ما يقابل
المتعلم مصاعب لا قبل له بها * من القواعد الثابتة المقررة ان الكتابة انما هي دليل للنطق
فيلزم ان تكون مصورة له تماما وكما كثرت مراعاة هذه القاعدة كانت السهولة في
الكتابة والقراءة اتم اذ لا يحتاج المتعلم مع ذلك الا الى معرفة صور الحروف المجانية
نطقا وكتابة وذلك لا يحتاج الا الى ايام قليلة ثم يشغل وقته بعد ذلك بما هو اكثر
فائدة وقد خرج الكتاب المتقدمون عن هذه القاعدة في تصوير بعض الحروف لامور
راعوها كما صوروا بعض حروف لا ينطق بها في الوصل رعاية للابتداء بها والوقف عليها
الا انا رأيناهم قد خرجوا عن هذه القاعدة في أمور فيمكن من جراء الخروج فيها اللبس
على المتعلم وتعدر وصوله في نتائجه الى مراعاة ما راعوه * من ذلك كتابة الالف اللينة التي
تنتهي بها الكلمات من الاسماء والافعال والحروف * اختار جماعة من كتاب البصريين
ان يصوروها بمراعاة الاصل الذي اقبلت عنه او بمراعاة ما توول اليه فصوروا الف دعاء
والعصا الفا لانها منقبة عن واو وصوروا الف سعي والهي ياء لانها منقبة عن ياء وصوروا
الف على والى ياء لانها توول الى ياء عند اتصالها بالضمائر ولم يثبتوا على ذلك بل شذوا

عنه في بعض كلمات مراعاة لامور أخرى كما يصورون الف (أحيا) بالالف ويفرقون بين (التربي) و(الدنيا) لان الاولى علم والثانية صمة وكما يفرقون بين بخارى واوربا واختار جماعة من كتاب الكوفة ان يصوروها تمعلا لالة ما تلته من الحركة فالكلمة المالة يصورونها ياء وغير المحالة يصورونها على الاصل *

وبعض الكتاب يطرد الاصل فيرى ان تصور الالف كما نطق بها منعا للبس ومراعاة لاصل ان الكتابة دليل النطق وقد أحسن المعلمون المدارس من أعضاء نادى دار العلوم بما هنالك من المصاعب في تعليم النشء ما يتبعونه في كتابة هذه الالف فاقترح أحدهم ان تكون الالف الفا في جميع أحوالها سواء كانت في اسم او فعل او حرف ثالثة أو زائدة عن الثلاثة وقد نظر الاعضاء في هذا الاقتراح في جلستين من جلسات النادى وكانت النتيجة ان وافقوا ما عدا القليل منهم على هذا الاقتراح للأسباب الآتية *

(١) ان الكتابة دليل النطق ولا يخرج عن هذا الاصل الا اذا كانت هناك اسباب قوية تقتضي الخروج عنه ولا يصالح كل من مراعاة أصل الالف أو ما لها أو امالتها سببا في ذلك . اما أصل الالف فان الباحث عنه علم التصريف أو القواميس اللغوية . معلم الصرف اذا أراد ان يعلم الطالب كيفية استناد ذى الالف الى الضمائر المتصلة أو ثنية المتصور بأمره ان يرد الالف الى أصلها ويبين له القواعد التي تعرفه ذلك الاصل فيقول في الفعل تعرفه من مضارعه أو مصدره ويقول في الاسم ارجع المعاجم أو اعرف ما اشتق منه ولا يخطر بباله ان يحيله على الكتابة فيقول ما كتبه بالالف فاجعله واوا وما كتبه بالياء فاجعله ياء لانه لو فعل ذلك لكان تعليمه دوريا فالطالب لا يعرف ان يكتب الالف الا اذا عرف أصلها ولا يعرف أصلها الا اذا عرف كتابتها هذا دور فالكتابة تبين النطق والصرف والمعاجم تبين أصول الالفات ولا معنى لخلط شئ بآخر لا سيما ان كان هذا الخلط مما يجعل امامنا عقبات صعبة فيما تقصد اليه من تعميم التعليم . واما الامالة فضلا عن أنها لم تكن لغة قريش وأنها لا يكاد يعرف قواعدها أعد من المتكلمين بالعربية الآن الا قليلا قد وضع لها باب خاص في علم الصرف يعرف

ما يمال وما لا يمال فلا معنى لجمل الكتابة دليلاً على شيء لا يعرف ولا ينطق به والتعاضى عن جعلها دليلاً على شيء ينطق به وإذا كانت إمالة ما قبل الألف تصلح لكتابتها ياء فكان يجدر بهم أن يفعلوا ذلك فى الألف المتوسطة الإمالة لكنهم لم يفعلوا فإن من ذلك أن مراعوه لا يصلح أن يكون موجباً للخروج عن هذا الأصل الكلى المسلم به

(٢) أن هذا مذهب صرح باختياره بعض الكبار من العلماء وارتضوه مقتنعين بأنه خير مما سواه فلا نكون باختيارنا له بدعاً

وقد حاول بعض الممارضين منا أن يجعلوا امام اختيارنا هذا أشياء ظنوها مانعا فقالوا أن هذا خروج عما سنه المتقدمون وجرت عليه الآن فصار من عاداتها . والعادات مما نحب المحافظة عليه . وجوابنا على هذا سهل فإن العادة التى تلزم المحافظة عليها هى العادة المميرة الامة عن سواها . اما استبدال حرف عربى بآخر عربى فليس مما يضر بميزات الامة خصوصاً ان كان رجوعاً الى صواب . لا يمارضنا أحد فى أن تكليف الصغير أن يكتب بى وينطق بأشطط وخروج عن الجادة فنحن لم نفعل شيئاً الا اذا قلنا اكتب با وانطق با واكتب بى وانطق بى على أن العادة مهما كان قدرها اذا تبين أنها غيرة فى طريق تسهيل التعليم فانا ننبذها غير آسفين عليها

قالوا ان الكتابة الجديدة تقطع الصلة بيننا وبين كثير من الكتب التى كتبت قبل . وجوابنا على ذلك ان الخط العربى محتاج فى كثير من اشكاله الى القرائن الاستدلال على ما يراد منه ما لم يكن مشكولاً اذ أن القارئ لا يميز فى هذه الصورة (كتب) بين كَتَبَ وَكَتَبَ وَكُتِبَ وَكُنْتُبَ وَكُنْتُبَ الا بالقرينة التى تعين احداها والذي يقرأ فى الكتب المطبوعة ويرى مثل سعى ورمى وهدى لا يتعذر عليه ان يقرأها افعالا اذا دلت على ذلك قرائن الكلام على انه الآن محتاج الى هذه القرائن ليفرق بينها وبين سَعَى وَرَمَى وَهَدَى وقد يغتفر هذا الشيء اليسير في مقابل المنفعة العظمى التى سذلها (م ٧ من الصحيفة)

بجعل الالف الفاء على الدوام . وحركة الطبع المستمرة لا تمكن الكتب الحبية من البقاء زمنا طويلا حتى يعاد طبعها . اما مالا أمل في إعادة طبعه فهذا لا يرجع اليه في الغالب الا كبار المتعلمين وهؤلاء لا يصعب عليهم التمييز بين الكلمات

قالوا ان المتعلمين سيضطربون زمنا طويلا وجوابنا على ذلك ان كل اصلاح جديد لا بد ان يتأمله شيء من الاضطراب الوقتي بين القديم والجديد وبعد زمن قليل يتغير الامر على ما رأيناه سهلا وهذا الاضطراب السير معتبر في جانب الوقت العظيم الذي يوفر على الاطفال الذين نعلمهم الآر طريقة كتابة الالف . تبين من هذا ان ما راعاه المتقدمون في الخروج عن أصل الكتابة لا يصلح سببا وما رآه بعض المعارضين للرجوع الى الأصل لا يصلح مانعا .

لذلك كانت الاغلبية العظمى موافقة على هذا الاقتراح

وبناء على ذلك

تقدم الى سعادة الوزير الجليل العامل على نشر التعليم ونسبيلها ان يأذن لخصرات المعلمين بالمدارس في اتباع هذه الطريقة فيعلموا تلاميذهم ان يكتبوا الالف الفاء في جميع الاحوال (التوقيعات)

~~~~~

العلوم

للورد باكون الفيلسوف المشهور

العلوم تطلب للانسراح والتخلي وللإقتدار . اما الانسراح بها في الخلوة . وأما التخلي ففي المناقشة . وأما الإقتدار ففي ترتيب الاعمال واتخاذها . لان الرجال ذوي التجربة لا يقدرون الا على تنفيذ الجزئيات وترتيبها واحدا بعد واحد . وأما المشورات والمشروعات العامة وتنفيذ الامور السككية فاكفاء الناس لها العلماء . المبالغة في اطالة زمن الدرس من السكل وفي التخلي بالعلوم من المراءة وفي الاعتماد عليها وحدها في اتخاذ الاعمال ين شطط المتعلمين لان العلوم كما تكمل الطبيعة محتاجة لان تكملها التجربة فانه ان كانت

القدرة الطبيعية كالنباتات الطبيعية تحتاج الى ان يذهب العلم فان القواعد العلمية شاسعة  
الاطراف تحتاج كذلك الى ان تحدها التجربة

خبثاء الناس يحقرون العلوم ومسطاؤونهم يحترمونها وعقلاءهم يستعملونها فان العلوم  
لا تعلم استعمالها لانه امر آخر وراءها لا يكتب الا بالملاحظة  
اقرأ لا تخائف وتدحض ولا تسلم وتعتقد ولا لتحسد موضوعا للكلام ولكن  
لتبحث وتزن

بعض الكتب يداق وبعضها يباع وقليل منها يوضع ويهضم ومعنى هذا ان  
بعض الكتب لا يقرأ منه الا اجزاء وبعضها يمر عليه وقليل منها يقرأ كله مع الدقة  
والالتفات وهناك كتب تقرأ بالانابة يكلف الانسان آخر بقراءتها ووضع اشارات على  
الاجزاء التي تستحق القراءة منها ولكن ذلك قاصر على الموضوعات غير الهامة والكتب  
القليلة الفائدة اما الكتب المصفاة فهي كلام المصطفى بريقة باهرة

المطالعة تجعل الرجل مثقفا والمناقشة تجعله حاضرا والكتابة تجعله دقيقا لذلك  
يحتاج قليل الكتابة الى قوة الذاكرة وقليل المناقشة الى حضور الذهن وقليل المطالعة  
الى المسكر حتى يظهر بمعرفة ما يجمل

التاريخ يجعل الانسان حكيما والشعر يجعله فطما والرياضة تجعله دقيقا والطبيبات  
تجمله عميقا وفلسفة لا خلاق تجعله درينا والمطوق والبلاغة يقويانه في المناقشة والمحاضرة  
لكل داء من ادواء العقل علم يداوى به كما ان لكل مرض من امراض  
الجسم تمرينا يشفي منه فكما ان رمى الكرة يصلح الكلى والمثانة والصيد يصلح  
الصدر والرئة والمشي الهين يصلح المعدة وركوب الخيل يصلح الرأس وهلم جرا  
كذلك الرياضيات تشفي من تنقل الفكر ودراسة آراء العلماء تكسب الدقة في التمييز  
والفرق بين التشابهات ودراسة الدواوي والخدومات تكسب المواصل في البحث  
بقوة الاستدلال فاذا

لكل داء دواء يشطب به بحق الحماقة الفت ما يداويها

### ﴿ نماذج من كتابات بعض أعضاء النادي ﴾

من معلمى الاجانب الذين كان لهم أثر حميد في ترقية صناعة التعليم بمصر جياىب  
المستر ( ماردن ) فقد كان معلما حازما ماهرا مدققا فى أعماله واشتغل بتعليم اللغة الانجليزية  
بالمدرسة الخديوية ثم بمدرسة دار العلوم ثم نقل معلما لفرن التعليم بمدرسة المعلمين التوفيقية  
ثم أعيد معلما لهذا العلم بمدرسة دار العلوم التى سميت بعد مدرسة المعلمين الناصرية  
وبقى فيها مثالا للجد واتقان العمل حتى اعتلت صحته وأشار عليه اطباء بوجوب اقامته  
فى انجلترا فأنهى شلى المعاش ومنحته الحكومة المصرية الوسام المجيدى الثالث وقد  
اشترك تلاميذه وزملاؤه المدرسون فى توديعه وشكره على أعماله النافعة بالقول والفعل  
وهذا بعض ما كتب له فى ذلك

﴿ شكر من طلبة مدرسة المعلمين الناصرية لاستاذهم المستر ماردن  
بعد سفره الى بلاده لتغير صحته بقلم أحد معلميه ﴾

استاذنا المحترم

ان بوادى النيل قلوبا مقيمة على الاعتراف لك بالجميل والسنة ناطقة بشكر  
أولئك هم تلاميذك بمدرسة المعلمين الناصرية واثمن اشتملت عليك الان ديارك بعد  
ان كان منك ضوء ساطع عندنا لقد تضمنت هذه القلوب من الاسي ما تضمنت . اننا  
ودعنا فيك استاذنا جمع كثيرا من الخلال الطيبة . حب الخير والصدق فى العمل  
والجد والنظام واصابة مواقع النائدة كل هذه أوصاف ودعناها فيك . أليس هذا  
التغير الذى مس جسمك أثرا لهذه المزايا التى حملتك على الاستمانة به فى سبيل تعليمنا  
ونصب آثارك النافعة من مؤلفات وغيرها . ولولا مزاياك لبقيت بيننا الى الآن فى  
عملك تصرفه على وجه ما . ولكن أبى لك ذلك صدقك . لك من هؤلاء الطلاب  
قلبان اما أحدهما فقلب ملؤه الشكر لاستاذ خير عامل . وأما ثانيهما فقلب ملؤه الأسف  
على فراق هذا الاستاذ وطيب الذكر . له . وبقي قلب كله دعاء الى الله تعالى أن

(٤٩)

يسيد لك لباس العافية قشياً وان يجعل ابلادنا مرة أخرى من شروق عرفانك  
فيها نصيباً

وقد سرنا ان حكومتنا لم يفتها ادراك فضلك على البلاد فقلدتك الوسام المجيدى  
الثالث وان كان عارفوك يرون من هذا الذبول الذى علا جسمك فى سبيل الواجب  
وساماً طبيعياً أنطق بفضلك وأدل عليك . وما الجندى الباسل يوم رجوته من الوغى الى  
وطنه وجسمه حافل بالجروح نقطر منه الدماء باخلق منك بالتجاة يوم عودتك اليه وفى  
جسمك بقية مما ترك الجدد والصدق فى العمل . انه أخلص لداره وأخلصت لسل  
دار أهلك والسلام

✽ عبارة كتبت فى مجموعة صور مدرسى مدرسة المعلمين الناصرية  
التي قدمت لجناب المستر مارتن عند توديعه  
لعودته الى بلاده سنة ١٩٠٩ ✽

يا جناب المربي المحترم  
ان كانت الآثار التي تركتها في قلوب تلاميذك تجملهم بأخلاق على فراقك  
ويعلمون اعترافهم بجميلك فاننا نحن زملائك أجدر ان نعترف بان عملك لمصر وان  
قصرت مدته في جانب مدد من استعانت بهم من فضلاء الاجانب قد كان من أمرك  
الاعمال لها وأعرقها في نفعها وأنجتها في تهذيب مربيها . تشهد بذلك مؤلفاتك الجليلة  
وآثارك الخالدة وليس في سمعتنا يا حضرة الفاضل كفاء ما أسلفته لنا من طيب صحبتك  
وأفنته لخيرنا من وقتك وصحتك أجمل من ان نشكر لك كل هذا من صميم أفئدتنا  
موقددم اليك صورنا تذكاراً لهدانا معك ودلالة على تعلق قلوبنا بك واقتداءنا بحسن  
تاريخك وجايل ماضيك والله يسبح عليك العافية وينسج لك في الامل ويجمل حياتك  
حافلة باليمن والسعادة والسلام

﴿ كتاب مقدم من مدرسة المعلمين الناصرية الى حضرة المفضل أحمد بك  
فهى الذى كان مدرسا بها وتقل مرتقيا الى ديوان المعارف مقتشا فيه وناموسا  
خاصا لسعادة ناظر المعارف : ثم هو الآن وكيل للمدرسة المذكورة ﴾  
حضرة المفضل

لئن كان المعروف أثر في امتلاك القلوب . والاحسان سبيل الى استحقاق  
الشكر . لقد كان منك الينا ما جعل قلوبنا طوع محبتك . ورهن مودتك . ومنك  
الى الطلبة ما جعلهم في أعينهم نتائج صنمك . وصنائع تفضلك . وفي أعين المساكين  
صعائف لتخليد الثناء عليك ونماذج لا ياديك البيضاء في خدمة العلم وأهله . وانا  
وان حرما منك شريكا في الصناعة ورفيقا في حسن العشرة ان نعلم منك عضدا في  
المهم . وأهلا للأفادة . ولم تنتقل عن الفرع نعمة ذهبت الى الاصل — وان ما خلفته  
بيننا من آثار خلائك وجايل فعالك لاحسن ذكرى نأتمن الدهر على حل عقدها فلا  
نحسب ابتعادك عن اشخاصنا الا اقترابا من قلوبنا

هذا وان الصحف المجيدة التي أضفتها الى تاريخ مدرسة المعلمين الناصرية تحفظ  
لك أحمد أثر وأطيب ذكرى في تكوين نهضتها المباركة وتشيد صرحها المتين وضمن سيرها  
في الطريق التي يتمناها لها كل محب للعلم ونشره . فالمدرسة اذا أسفت لفراقك فان لها  
بعض السلوة أن كانت في ماضيها بستانا لسكريم غراسك ومجازا لاذاعة فضلك وتهبته  
رقيق وأن تكون في مستقبلها مترقبة لمساعدات عديدة تؤديها اليها في عملك الجديد .  
وهي تقدم اليك هذا الخطاب تذكارا لاعمالك العظيمة فيها واظهارا لحسن ولائها لك  
هيا الله لك ما ترجوه وحفظك لامتك الفقيرة من أمثالك ونفع بك حينما عملت  
وأبما يعمت والسلام

﴿ مقابلة ﴾

﴿ لابي حيان التوحيدى في معرفة الناس للحق ﴾

قال سمعت أبا سليمان (١) يقول قال أفلاطون إن الحق لم يصبه الناس في كل وجوهه ولا اخطئوه في كل وجوهه بل أصاب منه كل إنسان حبة قال ومثال ذلك عميان انطلقوا الى فيل وأخذه كل واحد منهم جارية منه فجسها بيده ومثلها في نفسه فأخبر الذي مس الرجل أن خلفة الفيل طويلة مدورة شبيهة بأصل الشجرة والحلة . وأخبر الذي مس الظهر أن خلقته شبيهة بالهضبة والراية المرتفعة . وأخبر الذي مس اذنه أنه مبسط دقيق بطويه وينشره . فكل واحد منهم قد أدى بعض ما أدرك وكل يكذب صاحبه ويدعي عليه الخطأ والغلط والجحد فيما يصفه من خلق الفيل . فانظر الى الصدق كيف جمعهم وانظر الى الكذب والخطأ كيف دخل عليهم حتى فرقهم . وكان يقول أعني أبا سليمان هذا مثل يشتمل على نكت حسنة مفهومة لا يخفاء بها أحد من يسمعها بتحصيل وبتأيدها ببيان قال ولهذا لا نجد عاقلا في مذهب يقول شيئا الا وهناك ما قد اقتضاه ذلك بحسب نظره والسابق الى قلبه والملائم لطبعه والموافق لهواه واسكن البارح المتسع المحصل له المزيد في السبق والفالج والتدبير

### ✽ مقابلة له ✽

( في سهولة ارجال الكلام الصحيح وصعوبة اصلاح المختل )  
قال سمعت الخوارزمي الكاتب يقول لابي اسحاق الصابي بن هيثم بن هلال لم اذا قيل المصنف أو كاتب أو خطيب أو شاعر في كلام قد احتل شيء منه وبنت قد انحل نظمه ولفظ قلق مصابه هات بدل هذا اللفظ . ومكان هذه الكلمة كلمة وموضع هذا المعنى معني آخر نهاقت قوته وصعب عليه تكلفه وامل بمزاولة ذلك رأيه ولو رام انشاء قصيدة مفردة وتحرير رسالة مقترحة كان عسرهما عليه أقل وكان نهوضه بهما أسرع . فقال — رقع ما وهي محتاج الى تدبير تدفات أوله من جهة صاحبه الاول ومن كل أولى به وكان كالأب له . وذلك شبيه بعلم الغيب وقل من ينفذ في حجب الغيب مع المرائي التي دونه وليس كذلك اذا افترع هو كلاما وابتدأ فعلا واقتضب حالا يستقل

(١) هو محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني المنطقي

حينئذ بنفسه ولا يحتاج فيه الى شئ كان من غيره أو يكون تعاقبه يبقظته يعطيه تمام ما قد فتح عليه سده وقدح عليه زنده ولم يكن هكذا حاله في كلام معروض عليه ولم يهجنس قط في نفسه ولا أعد له شيئاً من فكره فقد يعجزه ما لم يتأهب له ولم يرض نفسه عليه . وفي الجملة كل مبتدئ شيئاً فتقوة المبدأ فيه تفضي به الى غاية ذلك الشئ . وكل معقب أمر قد بدأ به غيره فانه بتعقبيه يفضي الى حد ما بدأ به في تعقبه ويصير ذلك مبدأ له ثم تقطع المشاكلة بين المبتدأ وبين المتعقب

#### النادى

فى يوم أول ابريل سنة ١٩٠٩ القى حضرة الاستاذ أحمد فهمى بك وكيل مدرسة المعلمين بمدرج المدرسة على أعضاء النادى خطاباً فى حياة الفيلسوف المربي الالماني ( هيربارت ) وفى آرائه الخاصة فى النفس وقواعده التى جعلت الان أساساً لفن التربية الحديث . وقد حضر الاجتماع غير أعضاء النادى كثير من فضلاء المعلمين وبعد انتهائه قام حضرة رئيس النادى وشكر له تفضله بالقاء الخطاب والفوائد الجميلة التى اقتبست منه وقد حضر الاجتماع غير أعضاء النادى كثير من فضلاء المعلمين ونظار المدارس وعلية أهل العلم والادب وسيدئير الخطاب فى العدد التالى لهذا

وفى يوم ١٥ ابريل سنة ١٩٠٩ القى حضرة الاستاذ محمد الحضري المدرس بمدرسة القضاء الشرعى خطاباً فى حياة حجة الاسلام الغزالي وآرائه فى الاخلاق والتربية وبعد انتهائه قام حضرة رئيس النادى وناقشه فى بعض آرائه وشكر الخطيب . وقد حضر الاجتماع كثير من المعلمين وفضلاء النجوم

﴿ تنبيهان ﴾ (١) نرجو من حضرات المشتركين فى صحيفة نادى دارالعلوم اذا طرأ تغيير على عنواناتهم ان يكتبوا بذلك للنادى حتى نصل اليهم الصحيفة فى اوقات صدورها (٢) نرجو من حضرات أعضاء النادى ومشتري الصحيفة اذا أرسلوا أى قيمة للنادى ولم يصل اليهم وصل بها موقع عليه من أمين صندوقه ( السيد الزهري أفندي ) في بحر أسبوع ان يكتبوا الى النادى بذلك حفظاً لحقوقهم وانتظاماً لاعماله

# حَتَامُ نَحْنُ مَعَ الْفِنَّةِ بِالْيُوتِ

## للدكتور عبد الله الطيب

### تمهيد :

توماس ستيرنر إليوت Thomas sterns Eliot . ولد سنة ١٨٨٨ م وتوفي سنة ١٩٦٥ م . نشأ بسنت لويس مسورى من الولايات المتحدة بأمريكا الشمالية وتلقى تعليمه الجامعى بين سنة ١٩٠٦ م و ١٩١٥ فى هارفارد بأمريكا والسوربون بباريس وأكسفورد بإنجلترا واستقر بإنجلترا بعد سنة ١٩١٥ وتجنس الجنسية البريطانية ويذكر مترجموه أنه كان من أسرة عربية الأصل من السلالات البريطانية القديمة ذات جاه و ثراء . وكان هو مع أدبه فى إنجلترا من رجال الأعمال الناجحين فى ميدان النشر : وكان مرموق المكان بين أدباء عصره من جانبى المحيط الأطاسى ، قريباً فى المنزلة عندهم مما كان عليه أديبا الأمة العربية الأستاذ العقاد والدكتور طه حسين رحمهما الله . اشتهر أول أمره بعد نشره منظومته ( الأرض المقفرة The Waste Land فى سنة ١٩٢٢ . ويقال : إن الذى نشر حينئذ كان شيئاً مختصراً ، اختصره

منها - وهى طويلة جداً - صاحبه وأستاذه الروحى إزرا باوند Ezra Pound وعندى أن مثل هذا القول ، صبح أو لم يصب ، مما لا ينبغي أن يُعَوَّلَ عليه . وإليوت أعظم بها شهرة بين أدباء الغرب المتعاقين به منه بغيرها ، ولكنه فى فرنسا مثلاً أعظم شهرة بمسرحيته (مقتل فى الكنيسة Mured in the Cathedral ) وللناس فى ما يعيشون مذاهب .

### الفننة باليوت والأرض المقفرة وحتام نحن مع ذلك ؟ :

الفننة باليوت بين أدباء العرب المعاصرين كبيرة جداً . وينسب إليه تفوق وإبداع وابتكار . ومما ينسب إليه فى باب الابتكار مذهبه فى الإشارات والاقتباس . وهذا المذهب قديم فى اللغة الإنجليزية وأقدم فى اللغة العربية افئتن فيه من الجاهليين ، على سبيل المثال ، زهير وزابغة بنى ذبيان ، ودع الفرزدق وجريرا وذا الرمة وأبانواس وشيخ المذهب فى المحدثين أبا تمام وتلاميذه

من لان أبي العلاء إلى الحريري ؛ وكان إليوت معروفا بالانحراف عن جون ماثون John Milton الشاعر الإنجليزي الكبير المشهور ؛ ومن جون ماثون استفاد هو طريقة مذهبه في الإشارات والاقتباس فتأمل هذه الالتهواء ؛ وكأنما كان أسلوب أمثالها له ديدنا وطبيعة والله تعالى أعلم بسرائر غيابات النفوس ؛

ويدعو الداعون إلى الاقتداء بأسلوب إليوت والمذهب بمذهبه ويبغون بذلك النهوض بالشعر العربي الحديث وبث روح جديد فيه أو هكذا يقولون . وفي هذه القضية نظر . هذا أقل ما يقال . ولوقلنا إنها قضية دعوى من الضلال البعيد والانحراف السمج ما غلونا . وإليك بعض البيان :

أولا : لفت نظري أن تعليقات إليوت التي جعلها في ذيل منظومته المسماة The Waste Land أي الأرض المقفرة = خالية من الإشارة إلى العرب وما يمت إلى العرب وما العرب يمتون إليه ( القرآن مثلا والإسلام ) مع أن هذه التعليقات ذات حظ وافر من الحرص على إظهار المعرفة العريضة والاطلاع الواسع وبعض الغلو في ذلك حتى إنها لتوشك أن تشمل أكثر أمم الأرض ولغاتها وآدابها الحاضرة والغابرة :

ثانيا : لفت نظري أن إليوت قد ضمن منظومته ( راجع = The Waste Land and

other Poems طبعة لندن في السنوات ١٩٧٢ و ١٩٧٣ و ١٩٧٥ م ) في السطر ١٠٠ - ١٠٣ ص ٣٠ إشارة إلى شيء من شعر وليم وردزورث William Wordsworth الرومانتيكي الإنجليزي الكبير وفي السطر ٢٦٣ - ٢٦٥ من ص ٣٧ إشارة إلى شيء من شعر والتر دي لا مير Walter de

la Mare من شعراء صدر هذا القرن الشديدي التأثير بالرومانتيكية . ولم يذكر في تعليقاته شيئا يدل على هاتين الإشارتين . وقد يبدو لأول وهلة أن سبب هذا السكوت هو شهرة الشعر المشار إليه . ولكننا نجد أن إليوت يشير إلى بيت مشهور تكرر في منظومته من شعر SPENCER سبنسر ( راجع ص ٣٣ و ٣٤ س ١٧٦ و ١٨٣ ) وآخر مشهور جدا من شعر ANDREW MARVEL أندرو مارفيل ( راجع ص ٣٤ س ١٩٦ ) وأشياء معروفة من التوراة والإنجيل وغير ذلك . إذن ينبغي أن نبحث عن سبب آخر لسكوت إليوت عن البيان غير شهرة ما أشار إليه على نحو ما هو معروف من مذهبه .

ثالثا : لفت نظري أن ذكر العرب الذي قد أضرب عنه إليوت كل الإضراب له ورود واضح في أصل الإشارتين اللتين تضمنت معانيهما وألفاظهما الأمطار التي أشرنا إليها من قبل في منظومته - الإشارة الوردزورثية ، نسبة إلى وليم وردزورث ، في الأسطر ١٠٠ - ١٠٣ والإشارة الديلميزية ،

نسبة إلى والترى لامير ، في الأسطر ٢٦٣ - ٢٦٥ « ١ » الإشارة التي وردت من إليوت في س ١٠٠ - ١٠٣ من ص ٣٠ إلى شئ من شعر وليم وردزورث هي قوله :

..... Yet there the nightingale Filled  
the desert with inviolable voice and still  
she cried, and still the world pursues  
Jug jug' to dirty ears

#### ترجمة تقريبية :

ولكن هناك البلبل  
ملأ كل الصحراء بصوت لا يطمث ولا يغتصب  
واستمر يصيح وتستمر الدنيا تطارد  
زقزقة صغيرة إلى الآذان القدرة

هذا الذي أشار إليه إليوت من شعر وليم  
وردزورث هو قول هذا في منظومته The  
Solitary Reaper أى الحاصدة المتوحدة :

O listen for the vale profound Is over-  
flowing with the sound. No nightingale  
did ever chant more welcome notes to  
weary bands of travellers in some shady  
haunt Among Arabian sands.

وضعنا خطأ تحت الكلمة الدالة على العرب  
من نظم وردزورث لمجرد التنبيه على موضعها  
و ترجمة هذا النظم التقريبية كما يلي :

ألا فاسمع فإن الوادى العميق  
يفيض مفعماً بالصوت

وما غنى أبداً بلبل  
نغمات أطيب لجماعات مفضنة  
من المسافرين فى ظل مكان ما  
بين الرمال العربية  
أخذ إليوت معنى فيض الوادى وإفعامه  
بالصوت من قول وليم وردزورث حيث  
قال (راجع السطر الثانى من كلامه الذى  
مر) :

..... Overflowing with the sound

أى : يفيض مفعماً بالصوت

فجاء بقوله فى السطر ١٠٠ :

Filled all the desert

أى ملأ كل الصحراء كما مر بك فى  
الترجمة ، وتتمة السطر فى نعت البلبل بأن  
صوته الذى ملأ الصحراء لا يستطيع أحد له  
اغتناباً وطمناً inviolable وأصل هذا  
المعنى مأخوذ من حاصدة وردزورث  
المتوحدة . شبه إليوت صوت بلبله بالعذراء  
الحاصدة المتوحدة التى أفعم صوتها الوادى  
العميق وفضاه وردزورث على صوت كل  
بابل ، ونقل عذرية الحاصدة التى لاتنال  
لتوحدتها وبدأوتها إلى الصوت نفسه فزعم  
له عذرية سرمدية لا يستطيع نيلها بغصب  
وطمئ ، لا يطمئها أحد لا إنس ولا جان  
كحور الجنة . وأزعم أن إليوت لا يخاف أن  
يكون نظر فى قوله inviolable إلى هذا  
المعنى القرآنى - قال تعالى فى سورة الرحمن  
فى وصف الحور العين : لم يطمثهن إنس

قبلهم ولا جان» ؛ وذلك أن ترجحات القرآن في اللغة الإنجليزية وغيرها من لغات أوروبا كثيرة والاطلاع عليها واسع .

هذا وإليوت في السطر ٩٩ من منظومته يذكر تغيير صورة فيلوميلا Philomel

في نوع من تكلف وإقحام :

The change of Philomel .....

وهو يريد بذلك أن يوقع في وهما أنه يشير إلى خسر Philomela فيلوميلا الأسطوري وخلاصته (وقد أشار إليه في التعليقات ص ٤٦) أن ماكا تزوج أخت فيلوميلا (أو فيلوميل) ثم شغف بها هي حبا وغصبها نفسها ثم قطع لسانها لكيلا تكلم أحدا بذلك فاحتالت على بث خبرها بتطريز طرزته وتنتهى الأسطورة بمسح الغاصب والمرأتين طيرا وصيرورة فيلوميلا (فيلوميل) بابلًا لتتغنى كالتعويض لها عن لسانها الذي قطع . وما أشبه كلمة بابل بفيلوميل لسهولة تحول الفاء والميم باء ويجوز أن أصل اللفظين واحد قديم موغل في القدم . وهل لذلك صلة ببابل وهي من أمهات الحضارة ؟ ومن خطأ اليونان أو غيرهم في هذه الأسطورة نسبة الغناء إلى أنثى البليل لأن الصادح في الحقيقة هو الذكر .

والدليل القاطع على أن أصل معنى إليوت أخذه من حاصدة وردزورث المتوحدة محاكاته الواضحة لصياغة وردزورث .

استبدل إليوت قول وردزورث الرمال العربية Arabian sands بقوله هو « كل الصحراء All the desert » وما قوله كل الصحراء . إلا كما لو قال رمال العرب أو الرمال العربية أو الصحراء العربية . واستبدل إليوت قول وردزورث للجاعات مضتة « to weary bands » بقوله هو « للآذان أو إلى الآذان القدرة » ears « وشبه الصياغة ودليل الأخذ في النص الإنجليزي واضح جداً . ولاحظ مع هذا أن إليوت حذف اللفظ الدال على العرب حين استبدل قول وردزورث « بين الرمال العربية » بقوله هو « كل الصحراء » : وردزورث : Among Arabian sands إليوت : Filled all the desert

وقول إليوت

Jug jug to dirty ears ...

أى : زقزقة صفير البليل إلى الآذان القدرة .

إنما جاء فيه بحكاية الصوت « زقزق » ليوهم بأنه يشير إلى شكسبير ومعاصريه لكثرة ورود هذه الحكاية في أشعارهم ويصرف الأذهان عن محاكاته لوردزورث كما بينا من قبل .

ولا يخفى أن ثمة رابطة قوية بين طي إليوت لذكر العرب وطيه لذكر وردزورث وأن هذا الأمر قد كان منه عن عمد لا مجرد مصادفة واتفاق .

« ب » الإشارة الديلميرية نسبة إلى والتردى  
لامير .

قال إليوت في منظومته السطر ٢٦٣ -  
٢٦٥ ص ٣٠ :

Where fishmen lounge at noon, where  
the usalls of magnus martyr hold.  
Inexplicable splendour of Ionian white  
and gold.

الترجمة التقريبية :

حيث يستريح صائدو الحوت في نصف  
النهار ، حيث جدران (كنيسة) ماغنس  
الشهيد تحوى :

مايعجز الشرح من روعة الأبيض اليونانى  
والذهبي .

الكلمة Inexplicable في هذا النص  
ومعناها مايعجز الشرح والتفسير تشبه في روح  
الفكرة والصناعة كلمته التي تقدمت في  
أخذه من وردزورث وهي inviolable  
أى لا يستطيع اغتصابه . وفكرة الأبيض  
اليونانى والذهبي فيها مشابهة من فكرة إقحامه  
فيلوميل من قبل من حيث الإيهام بالرجوع  
الى الأصول القديمة الكلاسيكية وصرف  
النظر عن موضع الأخذ القريب .

وكذلك ذكر كنيسة ماغنس الشهيد وتعميمته  
بذكر المعمارى رن WREN في ص ٤٨ وهو  
السير كرسطوفر رن SIR CHRISTOPHER  
WREN يشبه إقحامه «زق زق» ليصرف النظر  
عن أخذه عن دى لامير ويوهم بإشارة بدل  
ذلك إلى هذا المعمارى وعصره الرفيع في  
تأريخ الحضارة والفن والأدب .

عنى إليوت بالأبيض اليونانى والذهبي  
من قوله المتقدم نقوش الفسيفساء التي في  
سقف الكنيسة من الداخل وأصباها يونانى  
وقول إليوت : Magnus Martyr أى  
ماغنس الشهيد عنى به كنيسة القديس ماغنس  
SAINT MAGNUS وذلك سم كنيسة مما  
صممه المعمارى المهندس السير كرسطوفر رن .  
ومعنى « مارتر Martyr » التي أقحمها  
إليوت هو الشهيد ، وصف وصف به  
القديس ماغنس المسماة باسمه الكنيسة .

(راجع A HISTORY OF ARCHITECTURE  
أى تأريخ العمارة لمؤلفه السير با نسترفلتشر  
SIRBANISTER FLETCHER طبع مدينة  
لندن سنة ١٩٤٨ م ص ٨١١ - ٨١٥ ) .

السير كرسطوفر رن Sir Christophet Wren  
( ١٦٣١ - ١٧٢٣ م ) من كبار رجال الفكر  
والعلم والهندسة والعمارة في بريطانيا في  
القرن السابع عشر الميلادى ، وثيق الصلة  
بملكها مثارلس الثانى ، أعاد تصميم عدد  
كبير من كنائس مدينة لندن بعد حريقها  
الكبير في سنة ١٦٦٦ م وما أعاد تصميمه  
كاثدرائية القديس بولص المعروفة SAINT  
PAUL'S ونقوش سقفها الداخلية الأبيض  
المذهبات تعد من الروائع وقد حاكى بها  
كريستوفر رن طريقة مايكل انجلو الفنان  
العظيم في تصميمه كنيسة القديس بطرس بروما  
وقد حاكى كرسطوفر رن فن النهضة في  
سائر ما صممه ولا يستبعد أن يكون إليوت  
ضمن قوله ( ماغنس مارتر Magnus  
Martyr ) على شرحه المتكافئ له في ص

٤٨ في التعليقات ، معنى كاتدرائية القديس بولص تشبها لها بكنيسة القديس بطرس في روما إذ لا يخفى أن بطرس الخوارى هو شهيد المسيحية العظيم (ماغنوس مارتير) وهذا معنى جانبي تجيء ظلاله من طريق تداعى المعانى والأول مع الشرح هو الظاهر والكنى أحسب أن هذا هو المقصود وهو الأصل هـ  
أضرب إليوت عن ذكر دى لامير وأخفاه

وقول والتر دى لامير الذى أشار إليه هو أول كاهنه ARABIA أى الجزيرة العربية ، هذا هو العنوان - ( انظر ص ١٥٥ من مختارات . الشعر الإنجليزى المسماة Selections from Modern Poets لصانعها ج. س. سكوير J.C. SQUIRE طبع لندن - مارتن سكر MARTIN SECKER سنة ١٩٢١ م . قال والتر دى لامير فى أول منظومته :

Far are the shades of Arabia,  
Where the princes ride at noon,

هذان أول سطرين وقد نظر إلى هذين السطرين وإلى ما بعدهما إليوت نظراً شديداً فى الأسطار التى ذكر فيها فياوميل والتى قبلها (راجع من أول الفصل الذى عنوانه لعبة الشطرنج حيث يبدأ بشئ كتحاكة وصف شكسبير لسفينة كليوبترا إلى السطر ٩٩) وليس ههنا موضع تفضيل ذلك .

وترجمة سطرى دى لامير على وجه التقريب :

هيات ظلال جزيرة العرب  
حيث يركب الأمراء فى نصف النهار هـ هـ

استبدل إليوت عبارة دى لامير the shades of Arabia ( ظلال جزيرة العرب ) بعبارة هو the walls / of magnus martyr ... ( جدران كنيسة ماغنوس الشهيد ) :

حذف إليوت اللفظ الدال على العرب وهو جزيرة العرب Arabia واستبدله بكنيسة ماغنوس الشهيد وجعل الجدران فى مكان الظلال التى فى عبارة والتر دى لامير ولا يخفى أن الجدران وثيقة الصلة بالظلال ، والغرار عن جزيرة العرب Arabia إن يك بعضه صادراً عن تعصب دينى أو عنصرى أو عقابيل شعور صليبي مما يدعو إلى التماس ملجأ عند الكنيسة إذ لا يخفى أن ظلال جزيرة العرب لا تخلو من معنى ظلال سيوف محمد وصلاح الدين والإسلام والجهاد هـ

وقد كان والتر دى لامير ( ١٨٧٣ م - ١٩٥٦ م ) معاصراً لإليوت ، أسن منه شيئاً ووصفه تأريخ كبرج الصغير لآداب اللغة الانجليزية بالأصالة والملكة ذات الطبع الحدّاب - ( انظر ص ٨٤٧ - ٨٤٨ من كتاب

The Concise Cambridge History of English Literature

لمؤلفه جورج سامبسون George Sampson

طبعة ١٩٧٥ م ) وقد كان ذا روح رومانتيكى وطوى إليوت ذكره طياً مع أن شاهد محاكاته له واضح فى الصياغة والتركيب كما طوى ذكر العرب والجزيرة العربية هـ

واستبدل إليوت لفظ الأمراء the princers  
الوارد في بيت دي لامير بقوله the fishmen  
أي صائدو الحوت وقول دي لامير ride  
( يركب ) بقوله lounge ( يستريح )  
واحتفظ بلفظا نصف النهار at noon وهو  
وحده كاف في القيمة بالمحاكاة . وكرر  
إليوت لفظ Where ( حيث ) الوارد في  
بيت دي لامير :

.... Where the princes ride at noon  
( حيث يركب الأمراء في نصف النهار )  
يترنم به كما ترى :

لا يخفى أن ثم رابطة قوية بين طي إليوت  
لذكر دي لامير وجزيرته العربية كما بين  
طيه لذكر وردزورث ورماله العربية ٥

بعض هذا مرجعه كما قدمنا منذ حين  
إلى الشعور الصليبي الموروث والتعصب  
الديني والتعصب العنصري ، وبعضه مرده  
إلى الزهو والغرور والاعتداد بالانتماء إلى  
حضارة اليونان والرومان وأوزوبا والسوربون  
ومافارد واكسفورد والاستنكاف عن أن  
ينسب إلى الرومانتيكية لادعائه الانتساب إلى  
الكلاسيكية مع أنه غارق إلى أذنيه في  
الرومانتيكية مدين لشاعرها وردزورث السابق  
له في الأوان ولشاعرها والتردي لامير  
المعاصر له في الزمان ، وبعضه مرده إلى  
شخصيته وبيئته كنشأته في أمريكا وتحوله  
إلى الجنسية البريطانية وتقلب أهوائه في  
السياسة والدين ، وأكثره مرده إلى طموح

جامع طلب بملكة محدودة المدى أن يساوى  
ملتون وشكسبير ويحل كمثل محلها في عصره ،  
معتمداً في ذلك على الكد والمكر والدهاء  
كالذي رأيت من كتمانته محاكاته لوردزورث  
ودي لامير وتغطية ذلك بضباب من  
الكلاسيكية والتعليقات الأكاديمية . وكتمانته  
أمر دينة لها وإضرابه عن ذكرها في النص  
والتعليقات كذلك كتم أمر دينته للعربية وأضرب  
عن ذكره والإشارة إليه كل الإضراب .

ووجدت في كتاب برنارد برغونسي عن  
ت : س : إليوت في طبعته البريطانية  
الثانية سنة ١٩٧٢ م س ١٤٣ ( راجع الكتاب  
واسمه بالإنجليزية :

T.S. ELIOT BY BERNARD BERGONSI

أشطارا هجاء بها أحد نقاده ونصها كما  
يلي :

How unpleasant to meet Mr. Eliot !  
With his features of clerical cut,  
And his brow so grim  
And his mouth so prim.  
And his conversation, so nicely  
Restricted to what *Pleisely*  
And If and Perhaps and But.

وترجمتها على وجه التقريب :  
ما أسمح لقاء المستر إليوت  
بسمت تقاطيعه الاكليروسي  
وبحاجبه جد الكاليج  
وبفمه جد المتنطس  
وبمحادثته حق الحريصة على أن

تتقيد بأمثال ماذا تقول على وجه التحديد ،  
وأمثال إذا كان ويجوز ولكن :

ومع ما في هذه الأشرطة من سخرية ومرارة  
فإن الصورة التي تطالع القارئ منها غير  
بعيدة الصفة والملمح جداً مما يطالع قارئ  
شعر إليوت من أثناء أسطاره وتعليقاته  
قبل أن يطلع عليها . وفي الذي قدمنا ماعسى  
أن يشهد بصحة ما نقوله في هذا الصدد :

\* \* \*

قال الشاعر الجاهلي أحد أصحاب المعلقات،  
لبيد بن ربيعة العامري :  
عفت الديار محلها ومقامها

بمى تأبد غولها ورجامها

وضعنا خطأ تحت ( عفت الديار ) إذ  
لفتنا قوة الشبه بين هذا التعبير وبين عنوان  
إليوت لمنظومته The Waste Land أى الأرض  
التي جُعِلَتْ عَافِيَةً فأقوت وأقفرت  
وعفت وعفتها السنون :

\* وغيّر الأيام والليالي \*

كما قال ذو الرمة :

في قاموس الدكتور صمويل جونسون  
أن معنى Waste الصفة المشتقة من الفعل  
أولا يدل على تعفية المكان وجعله قفراً وثانياً  
يدل على الخلو كل الخلو مثل بخلو الصحراء  
والبرية التي لا ديار فيها . وكلا المعنيين  
متضمن في عنوان إليوت The Waste Land

أى الأرض التي أقفرت أو الأرض المقفرة  
أو قل عفت الديار :

ولإليوت بعد هذا العنوان عنوان ثان  
لفصله الأول هو :

The Burial of the Dead.

أى : دفن الموتى .

هذا أيضاً لفت نظري على بُعد في ذلك  
شعراء العرب تبدأ في باب الأطلال بذكر  
تعفية الديار ثم تذكر أن الرياح دفنتها بما أهالته  
عليها من غبار : ثم جاءت رياح أخرى  
فأزالت هذا الغبار فبدت معالم الدار ظاهرة  
فيعرفها الشاعر بعد تأمل ، قال امرؤ القيس :

فتوضح فالمقراة لم يتعف رسمها  
لما نسجت من جنوب وشمال

وقال ذو الرمة : وبائته مما ترجمه الأفرنج  
وتشروه وحققوه :

من دمت كشفت عنها الصبا سفعاً  
كما تنشر بعد الطية الكتب

وقال لبيد بعد قوله : ( عفت الديار )  
الذي معناه كمعنى عنوان إليوت

The Waste Land

فمدافع الريان عرّى رسمها  
مخلّقا كما ضمن النوحى سلامها

أى كانت مدفونة فعرّتها الرياح وعرتها  
السيول فأظهرتها ، وذلك قوله :

وجلا السيول عن الطلول كأنها  
زهر تجد متونها أقلامها

وبعد تعفية الديار ودفن الرياح لها ثم  
كشفها لها من بعد وتعريتها لرسومها حتى  
بدت فالتقش القديم على حجارة آثار  
الأمم الماضية ، بعد هذا يقول لبيد :

رزقت مرابع النجوم وصاحبها  
ودق الرواعد جودها فرهامها  
فعلا فروع الأيهقان وأطفلت

بالجلهتين ظباؤها ونعامها  
والعين ساكنة على أطلالها  
عوذا تأجل بالفضاء بهامها  
وجلا السيول عن الطلول كأنها  
زبر تجدد متونها أعلامها

وموضع استشهادنا هو البيت الأول  
الدال على أن مدافع الريان التي دفنتها الرياح ،  
وهذا المعنى متضمن معروف ، قد عُرِيتُ  
فبدت ملمساً عليها الآثار كالنقوش إما عرّتها  
رياح معاكسة التي دفنتها وإما عرّتها السيول ،  
ورُبَّ قائل إن المعاني مشتركة والعواطف  
الإنسانية التي تلبس المعاني متقاربة ونحواطر  
البشر كثيراً ما تتفق ، ولذلك قديماً ما قيل ،  
قد يقع الحاطر على الحاطر كما يقع الحافر  
على الحافر ، ويُرد على مثل هذا القائل بأن  
الصياغات والأشكال البيانية والرنات المغيرة  
المؤثرة هي التي يتفوق بها الشعراء والكتاب  
والخطباء ويتميزون عن غيرهم ، وهي التي  
يقع فيها التقليد الأنحس والتوليد والنظر  
والإغارة والاختلاس . ولقد فطن إلى ذلك  
نقاد العرب القدماء وخصصوا له الأبواب

في تصانيفهم . وما تعمقوا في الفطنة إليه  
والتنبيه عليه أن الأنحس يكون نوع  
الصياغة كما يكون في المعاني . من ذلك مثلاً  
ما ذكره عن أبي عبادة البحرى أنه سأل  
التوبختي عن بيت أبي نواس :

ولم أدْرِ مَنْ هُمْ غَيْرُ مَا شَهِدَتْ بِهِ  
بشَرِّ سَابِطِ الدِّيارِ البَسَابِسُ

وهو آخر أبياته السينية الجميلة التي أولها :  
ودارِ ندائى عطلوها وأدْجَلُوا  
بها أثراً منهم جديداً ودارِسُ  
أندرى من أين أنخذ أبو نواس قوله ؟  
قال التوبختي فقلت لا . قال من قول  
أبي خراش :

ولم أدْرِ مَنْ أَلْقَى عليه رداءه  
ولكنه إقْدَسُ عَنْ ماجِدٍ محضٍ  
قلت له : والمعنى مختلف ؟ قال : أما ترى  
حذو الكلام واحداً ؟

وأبو خراش من شعراء هذيل والبيت من  
قطعة يذكر فيها أبو خراش مقتل أخيه  
عروة ونجاة ابنه خراش ويمدح رجلاً ألقى  
على خراش رداءه ليجيره حتى نجا ولم يعرف  
هذا الرجل فهذا مراده من قوله : « ولم أدْرِ  
من ألقى عليه رداءه » ، وفطن البحرى إلى  
أن أبا نواس حذا كلامه على نهج كلام أبي  
خراش مع اختلاف المعنى والموضوع .  
وقد كان البحرى ناقدًا ثاقب النظر ( راجع  
المنيرة لابن بسام : دار الكتب مصر

سنة ١٩٣٥ م 'القسم' الأول المجلد الأول  
ص ٥٩ - ٦٠ :

ومن أمثلة حذو الكلام على الكلام مع  
شدة مراعاة الصياغة على تقارب المعاني قول  
المعري يصف نار القرى :

حمرء ساطعة الذوائب في الدُّجى  
تَرْمِي بِكُلِّ شَرَارَةٍ كَطَرِافِ

والطراف ضرب من بيوت البادية .

حذا المعري كلامه على الآية : « إنها  
تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ » وقد نبه على هذا  
الزمخشري في تفسير هذه الآية في الكشف .  
ومن أمثلة الحذو بمراعاة الصياغة مع  
تباعد المعاني قول المتنبي :

فيا شوق ما أبقي وبالي من النوى

ويا دمع ما أجرى ويا قلب ما أصبى

وهو في نسيب قصيدته ( فديناك من ربع  
وإن زدتنا كربا ) حذاه على منهج ليلى  
الأخيلية في رثائها توبة بن الحمير حيث  
قالت :

فيا تَوْبَ للهيجا وياتوب للندى

ويا تَوْبَ للمستنجح المتسنور

اهتم أبو الطيب كما ترى بمحاكاة الإيقاع  
( راجع إلخامة عناوين الشعراء ص ١٢٢ )  
ولأنما استوردنا هذا الاستطراد للتنبيه على  
أن الأخذ لا يقع في المعاني وحدها وأن  
التشابه والتوافق وتوارد الخواطر في المعاني

جائز ، أما الصياغات وأشكال الأداء  
فأمرها مختلف ، ومتى وجدنا تشابهاً فيها  
وجب علينا أن نرجح أخذ المتأخر في الزمان  
عن المتقدم وأن نبزم بذلك حتى ما وجدنا  
ما يدل على الصلات والوسائط التي يكون بها  
الأخذ. ورب حذس كترجيح وترجيح  
كجزم . والله تعالى أعلم :

ونحن إذ ذكرنا لبيدا والأبيات الأوليات  
من معاقته لريد التنبيه على حذو إليوت على  
شكل القصيدة العربية بوجه عام وعلى أول  
معاقه لبيد بوجه خاص وكذلك حذا على  
نماذج من معاقه امرئ القيس - على أنه  
لا ينبغي أن ننسى غموض إليوت والتواءات  
أسلوبه ولا شيئته ذات السطح المتعمق :

سياق معاني لبيد هكذا :

(١) تعفية الديار : The Waste Land

(٢) اندفات الرسوم ثم تعريتها حتى وضحت

معالمها : The Burial of the Dead

(٣) هطول أمطار الربيع وما نشأ عنها  
من زيادة التعفية .

April is the cruellest month

جعانا في مقابلة سياق لبيد بعض

عناوين إليوت وابتدأته : سياق تأليف

إليوت ينتهى بعد عنوانيه ، The Waste Land

( الأرض المقفرة ، الأرض التي عفت ،

عفت الديار ) The Burial of the Dead

( أى دفن الموتى وقد تقدم كلامنا عنه )

بذكره الربيع وأمطاره كالذي صنع له لبيد  
في قوله :

رزقت مرائب النجوم وصاحبها  
ودق الرواعد جودها وجهاها

قال إليوت بعد العنوانين اللذين يشبهان  
طريقة بدء قدمائنا بفناء الديار واندفاعها  
( انظر منظومته من السطر ١ - إلى ٨ -  
ص ٢٧ ) :

April is the cruellest month breeding  
Lilacs out of the dead land, mixing  
Memory and desire, stirring Drill roots  
with spring rain. Winter kept us warm,  
covering Earth in forgetful snow, leading  
A little life with dried tubers.  
Summer surprised us .....

نافت النظر أول شيء إلى لزوم إليوت  
في خمسة من أسطاره هذه نظاماً ذا شبه  
بالتأنيث العربية وهو الصيغة الصرفية ( انق )  
ing . وقد جاء بسجعة تامة في breeding  
( بریدنق - القاف مقاربة للكاف كنطقها في  
دارجتنا ودارجة كثير من البلاد العربية  
feeding ( فيدنق ) وكالتامة في stirring  
( ستيرنق ) وفي covering ( كفرنق )  
وترجمة كلام إليوت الذي مر كما يلي على  
وجه التقريب :

أبريل أقسى الشهور ، منبتاً ،  
زهرة ليلى من الأرض الميتة ، مازجاً .  
الذكرى بالشهوة ، مشيراً .  
الجنود الفاترة بمطر الربيع ،

كان الشتاء قد حفظنا في دِفءٍ ، مغطياً  
الأرض في الحايك الناسى ، مطعماً .  
حياة قلبية بأنابيش جافة  
فاجأنا الصيف . . .

قول إليوت : أبريل أقسى الشهور إلخ  
بعد تعفية الأرض The Waste Land وبعد  
دفن الموتى The Burial of the Dead يشبه  
قول لبيد :

رُزِقَتْ مَرَابِيعُ النجوم وصاحبها  
وَدَقَّ الرواعد جَوْدَها فرهاها  
الحدود بفتح الحيم وسكون الواو المطر  
الغزير والرهام بكسر الراء وهاء مفتوحة  
بعدها ألف ثم ميم جمع رهمة بكسر الراء  
وسكون الهاء وميم مفتوحة بعدها علامة  
التأنيث التاء المتحركة وهي الأمطار الخفاف  
اللطيفة .

ترجمة هذا البيت كما ترجمه المستشرق  
الانجليزى السير وليم جونز :

The rainy constellations of spring have  
made their hills green and luxuriant :  
the drops from thunder clouds have,  
drenched them with profuse as well as  
gentle showers.  
Showers

محمل معنى كلام لبيد أن أمطار نجوم  
الربيع هطات على هذا المكان الفقير فزادته  
توحيشاً لتعفيتها كل أثر ولخلوه من الأحبة ،  
ولحاول النعام والبقر الوحشية وما أشبه فيه  
بعد عهدهم . هذه قسوة لا تخفى ،

مع هذا عاينا أن نتذكر أن السير  
وليم جونز جاء في ترجمته بكلمة Showers  
ومعناها رش المطر وهموله في قوله :

.... Profuse, as well as gentle showers...

ليدل بذلك على معنى المطر الغزير  
(الجود) والأمطار الخفاف اللطاف (الرهام)  
أو كما قال لبيد : وَدَقُّ الرَّوَاعِدِ جَوْدُهَا  
فَرَّهَامُهَا .

قول وليم جونز هنا « Showers... »  
ينبغي أن يوقف عنده لأن هذه الكلمة كثيراً  
ما ترتبط في ذهن بالقول الانجليزي المعروف  
الحارى مجرى المثل :

March winds, April showers, Bring forth  
May flowers.

أى رياح مارس وأمطار أبريل .

تخرج بهن أزهار مايو .

« لا يخفى أن مارس هو آذار وأبريل نيسان  
ومايو أيار فمن شاء أن يضع ذلك مكان  
ما وضحناه فله أن يفعل ) .

وأبريل بحبوحة أشهر الربيع فذكره يدل  
عليه . واستشهدنا بترجمة وليم جونز لنشير  
إلى أنه لو صح أن إليوت أطلع عليها فإنه  
يكون بنى قوله « أبريل أقسى الشهور »  
على كلمة ( Showers ) الواردة فيها .  
وقد سبق التنبيه منا على أن قوله : « أبريل  
أقسى الشهور » بعد عنوانيه الدالين على العفاء  
والأندفان شبيه في سياقه بسياق لبيد :

(١) عفت الديار محلها فقامها : .

(٢) فجلا السيول عن الطلول . . .  
(٣) رزقت مرابيع النجوم . . .  
ولا يقف الأمر عند هذا كما سيجيء من  
بعد أن شاء الله :

هنا نتساءل : هل أطلع إليوت حقاً على  
ترجمة السير وليم جونز للمعلقات ؟

كان السير وليم جونز . Sir William Jones  
(١٧٤٦ - ١٧٩٤ م) من قدماء الاستشراق  
وجهاً بذته تعلم في هافارد واكسفورد .  
( التي قصدها إليوت وتعلم بها ) وأتقن اللغات  
الكلاسيكية ( أى اليونانية القديمة واللاتينية )  
مع الفرنسية ولغات أوربية معاصرة  
أخرى ودرس العربية والفارسية وكتب  
ملخصاً في نحوها وبعد درسه القضاء واشتغاله  
بالقانون عيّن قاضياً بالحكمة العليا بفورت وليم  
( كاكوتا ) بالهند وتعمق في درس السنسكريتية  
( لغة الهند القديمة ) وكتب رسالة عن الشعر  
الشرقي باللغة الفرنسية

TRAITÉ SUR LA POÉSIE ORIENTALE

طبعت أول مرة بلندن سنة ١٧٧١م [ وأعيد  
طبعتها وأعاد كتابتها بلغته الإنجليزية أيضاً ]  
أشاد فيها بمكان الشعر العربي ونبه على  
موضع معلقة لبيد وامرئ القيس واستشهد  
في ما استشهد بقول أبي تمام :

إن القوافي والمساعى لم تنزل  
مثل النظام إذا أصاب فريدا  
هى جوهر نثر فإن ألفنه  
بالنظم صار قلائداً وعقوداً

مترجماً للبيتين من دون ذكر نصهما العربي  
وله مختارات من أشعار العرب والفرس  
وأهم المشرق من ضمنها لامية المعرى .

أعن ونحد القلاص كشفت حالا  
ومن عند الظلام طابت مالا  
أوردها نموذجاً لشعر المدح الذى استشهد  
على أهميته بببتي أبي تمام المتقدمين . وكان  
أبو تمام من أوائل من عرفه المستشرقون  
وطبعت حماسته فى ألمانيا سنة ١٧٤٨ وترجمت  
باللاتينية وقد تأثر بجوته الشاعر الألماني  
فى ترجمته للامية المنسوبة إلى تأبط شرا :

إن بالشغب الذى دون ساع

لقتيلاً دمه ما يُطبل

بترجمة فريتاخ اللاتينية فى مازعه المستشرق  
الإنجليزى السير شارلس ليال . ( انظر ترجمته  
لها وتعليقه ص ٥٠ مختاراته المترجمة من  
الشعر العربى القديم

TRANSLATIONS OF ANCIENT  
ARABIAN POETRY

تأليف شارلس جمس ليال  
CHARLES JAMES LYALL

الموظف ببينغال طبع لندون ١٨٨٥ م .

وترجمة السير شارلس ليال هذه ذكر  
هو نفسه أنه صنعها متأثراً بترجمة ألمانية  
للحماسة :

وقد ترجم السير ولیم جونز المعلقة السبع  
ترجمة حسنة ناصعة الأسلوب وجعل لكل  
معلقة مقدمة موجزة وافية تحدث فيها عن

الوزن وما يقابله من أوزان الإنجلیزية  
وعن طريقة أسلوب الشاعر ومعاينه وتشبيهاته  
ومجازه وعناصر الوحدة فى نظمه وأردف  
ذلك بكتابة بالحرف اللاتينى بحسب النطق  
لكل معلقة مبالغة منه فى التقريب . وقد  
تأثر به واقتدى ليال فى كتابه المشار إليه  
آنفا ونيكاسون فى ترجماته التى ضمنها  
تأريخه للادب العربى . ولم يترجم ليال من  
المعلقة غير آخر لامية امرىء القيس  
وغير ميمية زهير وكأنه اكتفى فى هذا المجال  
بمعمل السير ولیم جونز لجودته . وترجمه السير  
ولیم جونز للمعلقة فى ٤٦ صفحة نشرت  
وطبعت بلندن سنة ١٧٧٢ م وسنة ١٧٨٣ م  
ومرات بعد ذلك وتوجد من ذلك نسخ  
فى مكتبة المتحف البريطانى رأيتها ومن قبل  
اعتمدت على نسخة صورت لى منها وفى  
كبردج نسخة من مجموعة مؤلفات السير  
ولیم جونز صورت لى منها نسخة من رسالته  
عن الشعر الشرقى المشار إليها آنفاً ولا ريب  
فى وجود نسخ من مؤلفاته باكسفورد  
وسوى ذلك من ذلك من خزانات الحياة  
وترجمة السير ولیم جونز المستشرق فى الجزء  
الثالث عشر من الموسوعة البريطانية ومكان  
اسمه فى الفهارس عامراً بماله من تصانيف  
ومن أهم تأليفه ترجمته للسكونتالة  
وهى من مسرحيات اللغة الهندية القديمة .  
وترجع الموسوعة البريطانية ( ج ١٣ ص  
٢٤٤ طبعة ١٩٤٧ م . ) أن مؤلفها - كالداسا  
KALIDASA من أدباء الهند القديمة عاش

في المائة الميلادية الثالثة والسير ولیم جونز كتاب في الموازنة بين تشريع الملكية الخاصة عند المسلمين وعند الهندوس وغير ذلك مما هو ادخل في حدود فلسفة القانون وعلوم الاجتماع .

إذا ذكرت أيها القارئ الكريم أن إلیوت كان على جوينب من الاستشراق إذ قد درس لغة الهند القديمة سنين بهارقارد وفلسفة الهند مدى سنه وهو يعد للكتوراه ، ثم عدل عن ذلك لما وجد فيه من العسر ، وقد قال : إن دراسته هذه ، معترفاً بما أصاب فيها من مشقة ، تركته في حيرة مستنيرة enlightened mystification ( راجع كتاب برغونزى ص ۲۳ ) ومع ذلك كان يزعم أنه كان يتذوق الشعر — السنسكريتي وقد ترك في نفسه أثراً عظيماً. إذ ذكرت هذا وأضفت إليه صمحبته لإزرايوند وتأثره به وكان هذا ذالوع صادق فيه أو كاذب بلغة الصين وآدابها . وإذا أضفت أيضاً أن إلیوت اتصل بمجموعة التصويرين Imagists — وكانوا يدعون إلى محاكاة اشعار الشرق واساليب اغاني العهد القديم العبرانية ، وزدت على هذا ان إلیوت نفسه قد ذكر أنه كان قرأ في صباه رباعيات الخيام المترجمة وأعجب بها .

احسب أن إلیوت ذكر ذلك كان سنه في زمان الهبا أنفة منه أن ينسب إلى — الرومانتيكية وهو صاحب كلاسيكية .

زعمه وواقعية جادة ، ونذكر على سبيل الاستطراد في هذا الصدد مقال برتراند رسل Bartrand Russel في كتابه : HISTORY OF WESTERN PHILOSOPHY تاريخ الفلسفة الغربية طبعة ۱۹۷۴ م ص ۶۵۴ حيث قال عن الرومانتيكين الألمان : إنهم كانوا شباناً وفي أوج شبابهم كان أجود تعبيرهم عن الروح الرومانتيكي ، أما الذين لم يسعدهم الحظ منهم بالموت في الشباب كما قال فقد طاحت فرديتهم إذ طغت عليها فغطتها الكتلكة بما تتطلبه من خضوع وتسليم . فهل كان تراجع إلیوت من مذهب أسرته وآبائه البيوريتاني — والبيوريتانية طرف من المذهب البروتستانتي — إلى محافظة الكتلكة الإنجليزية من دافع رومانتيكي يا ترى ؟ هذا وإذا ذكرت مع ما تقدم أن إلیوت أديب مثقف ناقد قارئ وذو دعوى في ذلك طويلة عريضة ، ألا ترجح معي حينئذ ألا يكون قد خفي عنه مكان السير ولیم جونز المستشرق في معرفته باللغات الشرقية والصينية والسنسكريتية وآدابها وفلسفة الهند القديمة . ما زعم أنه أثر فيه وإن يك قد وجد فيه عسراً وانصرف عن مواصلة درسه متخيراً مستنيراً كما زعم ، ولعل السكونتالة مع ترجمة ولیم جونز كانت من مقرر الدرس ، وقد كانت رسالته الفرنسية وأختها الإنجليزية عن الشعر الشرقي معروفتين عند المستشرقين وقد ذكرنا أنه نبه على الملاحظات وعلى أمر القيس ولبيد وقد دافع عن شعر العرب وقطع بأن الافرنج الاوائل إنما أخذوا القه في عن

عرب الأندلس : أضفت إلى هذا أن إليوت كان معجباً بالبريطانيين وامبراطوريتهم معتزاً بذلك ، وقد ترك بلاده التي كانت تعد من بلاد الرمز إلى الحرية لثورتها على الاستعمار في سنة ١٧٨١ م وإعلانها حقوق الإنسان ، وتجنس بالجنسية البريطانية وبريطانية أقام وإلى كنيسة الإنجليكوكلوكية انتهى ؟

ونذكر من باب الاستطراد أن إليوت كان شديد الإعجاب بالشاعر المعاصر لزمان شكسبير جون دن John Donne وكان غامض العبارة كثير الإشارة ملتوى عقيد الأسلوب واسع الاطلاع عالماً بالكوميديّة الإلهية لدانتى في نصّها الأصيل من أسرة متطرفة في الكاثوليكية نشأ كاثوليكيّاً ثم تحول إلى كنيسة إنجلترا الإنجليكوكلوكية وأخلص في خدمة الملك واهتمه بعض نقاده بأنه كان في نفسه منظوياً على شعور بالخيانة لعقيدته وتراث أسرته فلذلك جرّ عليه كثيراً مما أخذ به من عقيد الأسلوب . وحمد النقاد لحون دون أنه قارب برنة نغمه الشعري رنات نبرات الكلام الذي يدور في حديث الناس . هذا والشىء بالشىء يذكر ، فتأمل .

ونعود إلى ما كنا فيه فنقول : لا بد أن يكون إليوت قد اطلع على مؤلفات السير وليم جونز في شعراء فارس والصين والهند وضروب تصانيفه في هذا الباب الشرقي القصص الذي كان فيه من أعمدة أستاذيته : شارلس لامان وجيمز وود : ( Charles Lamman and James Wood )

أستاذى السنسكريتية والفلسفة الهندية بها إقارده بلا ريب . وهل تظن أيها القارىء الكريم أنه إذا دعا واجب الدرس إليوت الطالب المعد للدكتوراة أن يتحير ويستنير بشعر السنسكريتية - وهو أمر أقر بمعرفته وادعى تذوقه وسكونتالة جزء منه ومعرفته ترجمتها متممة لتذوقه - هل تظن أنه إذا اطلع على ذلك وعلى ما تُرجم من أدب الفرس وكان إليه مائلاً ولوليم جونز فيه من العمل ما قدمنا ذكره مع اختياراته من شعراء الشرق ومن بينهم حافظ الشيرازى . . . هل تظن أنه إذا فعل ذلك سيتجاهل كتاب وليم جونز الخفيف اللطيف الوافى الذى ترجم فيه المعلقات ؟ هذا مع العلم بأن السير وليم جونز قد نبه في رسالتيه الفرنسية والإنجليزية عن مكان شعر المعلقات الرفيع ؟

إن مكتبات الأقسام الشرقية في جامعات أوروبا كثيراً ما تكون في موضع واحد ، وكثيراً ما تقع بين طلبة لغات الشرق الذين يختلفون إليها ضروب من التعارف وتبادل الآراء ، ويكونون أشبه بقبيلة فكرية واحدة ، فيشتاق من يقرأ الهندية مثلاً أن يقرأ لمستشرق مشهور كتب في آداب الفارسية أو التركية أو العربية مثلاً أو كتب في باب من أبواب الأدب المحض ذى الطابع الشرقي القوي كالسير شارلس داوتى Sir Charles Doughty في كتابه ARABIA DESERTA ( أي الصحراء العربية ) ورديارد كبلنج Rudyard Kipling في قصته KIM ( كم )

وغيرها وكان إليوت به معجباً وقد عاصره ولعله لقيه وكان يقال له شاعر الامبراطورية الكبير ووصفه إليوت بأنه — كان من كتاب التراتيل الدينية العظام فيما ذكره روبسون ( ص ١٧ ) a great hymn writer . وكان للمدرسة الهندية البريطانية في المكتبة الشرقية مكان مرموق وقد قدمنا ذكر السيروليم جونز وكان فيها بمنزلة المؤسس ومن كان ينتمى إليها من الكبار المستشرقين السير شارلس ليال صاحب ترجمة المختارات التي مر ذكرها ومن بينها شيء من المعلقات ( زهير وامرئ القيس ) وصاحب ترجمة المفضليات والشرح والتعليق الوافي ( اكسفورد عام ١٩١٨ ) وراجع للمزيد في هذا الصدد تاريخ كبردج الصغير للأدب الإنجليزي الذي مر ذكره في الفصل الذي جعله للأدب الهندي الإنجليزي من ص ٧٣٤ إلى ص ٧٤٤ . وقد نشر مكارتي على زمان إليوت شعر ذي الرمة ولعله لقيه وقد ترجمت بائية ذي الرمة من قبل . وقد ترجمت المعلقات بالفرنسية وبانت سعاد وترجم بالألمانية شعر عربي كثير وكان إليوت بالفرنسية والألمانية وغيرهما عالماً وقد درس بألمانيا كما درس ببافيس .

إذا صح ما قدمناه من تعارف أسرة من يعرفون اللغات الشرقية وتقارب أسباب قبيلتهم فكيف يكون الأمر إذ كان أحد هؤلاء أديباً شاعراً طموحاً موسوعياً ذا مقدرة ودهاء

مثل إليوت وأصاب ضلالة نادرة في موسوعي نادر مثل ولیم جونز الذي لما وصل الهند كان مستشرقاً ناضجاً وزاد بها نضجاً وفتح الطريق لمن بعده ؟

على أن الاستشراق في زمان إليوت في هذا القرن الميلادي العشرين إلى قريب من أوساطه قد صارت تغلب عليه سمة التخصص مكان الموسوعية فإذا أخذ إليوت مثلاً من الأدب العربي وهو غير معروف بأنه درس لغة العرب وآدابها وليكن معروف بأن درسه إنما كان للغة الهند القديمة ، فمن سيفطن إلى أنه أخذ من الأدب العربي القديم ثم يهتم به بناء على ذلك بالسرقة من أدب العرب ؟

بعيد جداً أن يتنبه أحد إلى أن — السير ولیم جونز صاحب ترجمة السكونتالة أو الشاكونتالة Shatuntala ( تأريخ كبردج ٧٣٥ ) والمختارات من أشعار فارس والهند والصين هو أيضاً قد كان طريقاً سرياً خفياً سلكه إليوت إلى النظر أو الأخذ أو الاختلاس أو السرقة من أسلوب المعلقات وشكل صياغتها ومعانيها وكتبان ذلك وإخفائه كل الإخفاء وحذفه كل الحذف ، كما قد حذف كلمة ( العربية Arabian ) وإشارته إلى ولیم وردزورث وكلمة ( جزيرة العرب Arabia ) وإشارته إلى — والتردي لأمير . نعود بعد هذه الغدلة إلى ما كنا فيه من تتبع أسرار منظومة إليوت :

\* \* \*

أول ما ذكره إليوت من شواهد قساوة  
لبريل انباته زهرة ليلى وهى التى يقال لها فى  
الإنجليزية : ( ليلاك : Lilac ) ونقل  
برغونزى ( ص ٥ ) أن الليلاك كان كثيراً  
فى سياجاتها فارد النباتية كأنه يشرح بذلك  
وروده فى شعره . وذكر إليوت هذه الزهرة  
انشرقية الإسلامية المعدن فى سياقه الذى  
يقرنها فيه بالد كرى والجنس .

عجب : ( راجع قوله :

....., breeding

Lilacs out of the dead land, mixing  
Memory and desire, .....

والترجمة : منبتاً

زهرة ليلى من الأرض الميتة ، مازجاً  
الذكرى بالشهوة ) .

إذ قد كان أشبه بأساليب لغته وحضارته  
لو قد ذكر الوردو كان من ضروب نواوير  
أوروبا وبريطانيا وأمريكا - أم ليت شعري  
هل فر من رومانكية الورد وما بمجره ؟

فى معجم أكسفورد فى تخريج كلمة  
( ليلاك Lilac ) أن أصلها من ( ليلاك )  
العربية ولا وجود لهذا اللفظ ( ليلاك أو ليلاك )  
فى العربية اسماً لهذه الزهرة . وأصل هذا  
التخريج من المستشرق ر . دوزى R. Dozy  
( راجع المجلد الثانى ص ٥٦٢ من معجمه  
ملبقة باريس وليدن ١٩٧٢ - واسم المعجم

يدل على أنه تكملة وملحق للمعجم العربية :  
(SUPPLEMENT AUX DICTIONNAIRES  
ARABES)

ظن دوزى أن النيلج بكسر النون هو  
الليلاك Lilac مع أنه كان يعلم أن النيلج  
بكسر النون هو النيلة الزرقاء . وذكر -  
الفيروزابادى ( النيل ) بلا تاء فى آخرها فى  
مادة ( وسم ) فى تفسير لفظ الوسمة بفتح  
الواو وكسر السين أو سكونها وبعدها ميم  
مفتوحة فهاء التأنيث قال الفيروزابادى :  
« ورق النيل أو نبات نخضب بورقه » .  
وأحسب أن الشك جاء الفيروزابادى من أن  
لفظ العظم الوارد فى شعر عنتره يستخرج منه  
صبغ أسود أو النياة وقيل هو صبغ أخضر  
وبيت عنتره هو قوله فى محلقته :

عهدى به مـدّ النهار كأنما

صُبغ البنان ورأسه بالعظام

وذكر الفيروزابادى ( النيلج ) بكسر  
النون فى مادة ( نلته ) وذكر طريقة استخراج  
( النيلج ) بمعنى ( النياة ) من العظم . جاء  
هنا بالنياة مقرونة بالتاء المتحركة علامة التأنيث  
وفى شرحه لكلمة ( الوسمة ) ذكر النيل  
مثل اسم نهر النيل بلا تاء التأنيث . وكلمة  
( النيلج ) بكسر النون غير عربية الأصل  
ولكن معربة مثل فالودج ولزنج وهلم  
جرا ومنى النيلج كما تقدم النبات الذى  
تستخرج منه النيلة الزرقاء .

واضطرب شراح بيت عنتره واكتفى  
السير ولیم جيونز برسم لفظ العظم نفسه  
بالحروف اللاتينية من دون ترجمة له ،  
هكذا ( IDHLIM ) والراجح عندى أن

عنتره أراد لون الزرقة لا الحمرة يكنى بذلك عن الموت وذا بحمرة دم الحياة . وقد نقل عن الأزهرى أنه اختضب بالعظام يسود به شعره فهذا يقوى ما ذكره - الفيروزابادى وعليه تفسير التبريزى فى شرحه أن العظم هو الوسمة ولم يزد على ذلك عنى عنتره أن عهنده به ، وقد قتله ، وقد صار لون رأسه كاه ، والوجه من الرأس ، ولون أصابعه أزرق هامداً بعد أن كان كل ذلك مشرقاً ناضراً بالحياة . ولا يخلو عنتره فى قوله هذا من بعض التعريض الساخر المر . كأن يقال مثلاً : « صار المسكين أسود مثلى أنا العبد بعد أن كان حراً أبيض » . قال تعالى : « ونحشر المجرمين يومئذ زُرْقاً » . والله تعالى أعلم .

ليس ( النيلج ) بكسر النون هو الليلاك Lilac  
الليلاك شىء غير النيلج . الليلاك Lilac هو زهرة ليلى الفارسية وقد يقال له فى عربية اليوم زهر البنفسج وايس كاه بنفسجياً ولكن منه ذو اللون البنفسجى وذو اللون الأبيض . وفى معجم أكسفورد ومعجم وبستر أن الشبه المتوهم بين اللون الأزرق واللون البنفسجى هو مما جعل اسم « ليلاك Lilac » يطلق على الزهرة المسماة باسمه اشتقاقاً من كلمة ( النيلج ) الدالة على اللون الأزرق وهذا أصله من دوزى وهو بعيد وليس بشىء . وفى معجم لاروس الفرنسى أن أصل

« الليلاك » من بلاد الشرق الأوسط وأنه يزرع من أجل نواويره البيض والبنفسجيات وذكر لاروس أنه من أسرة Oléacées ( أولياسيه ) التى منها الياسمين والزيتون .

ويظهر أن هذه الكلمة الفرنسية Oléacées ( أولياسيه ) نفسها قد حرفت من الفارسية ( جل ياس ) تنطقها كالجيم المصرية بين الكاف والقف وتكتب بالكاف المعقودة ( كل ياس ) . عل أن أصل Oléacées لا تبنى فى مدلولها العام .

و ( جل ياس ) أصلها من ( جل ليلى ) أو ( كل ليلى ) أى وردة ليلى أو زهرة ليلى ثم شبهوها بالياسمين فقالوا : ( جل ياس ) أو ( كل ياس ) بالكاف المعقودة كما ذكرنا من قبل .

ونبت أن ( جل ) بالجيم التى كالكاف معناها بالفارسية الورد وهى أصل الجل بفتح الجيم وضمها الواردة فى شعر الأعشى : وشاهدنا الحل والياسمون والمسجمات بقصاها

قال الفيروزابادى : ( وبالضم ويفتح الياسمين والورد أبيضه وأحمره وأصفره ) ومن ( جل ياس ) أخذت كلمة Oléacées الفرنسية ومنها أخذت الكلمة الدالة على هذا الزهر فى الفرنسية الآن وهى : ليلاك بكسر اللام بعدها ياء فلام ألف ( Lilas ) - راجع لاروس الكبير طبعة ١٩١٥ م المجلد ٤

هنا

## SUMMER SURPRISED US ...

تأمل شدة الشبه بين قول لبيد :

فعلا فروع الأهمقان . . . ( البيت )

Summer surprised us . . .

أى فاجأنا الصيف .

ثم انتقل بعد مفاجأة الصيف له إلى ذكر  
(محبوبة) التجأ معها من مفاجأة مطر الصيف  
إلى بناء ذى صف من أعمدة ثم خرجا إلى ضوء  
الشمس ثم إلى الحديقة .

ولبيد بن ربيعة العامري صاحب المعاقبة  
يخرج من نعت القنفر إلى مرابيع النجوم أو كما  
قال السير ولیم جونز في ترجمته :

.... profuse, as well as gentle showers

ثم يخرج من ذلك إلى إنبات الأيهقان ، وهو من نبات البادية قليل هو الخرجير البري ، الذي علت فروعه ، ثم إلى الوحش

الذى خلف الأحباب على الديار وجعل بحوية  
الربيع يُطْفِل وَيُفْرِخ. ثم يتذكر لبيد الحبيبة  
ويقسو عايتها وعلى نفسه حين يقبّاح في صدره  
أمر انصرام عهودها وتبدد زمان وصلها :  
بل ما تذكر من نوارٍ وقد نأت

وتقطعت أصباها ورسامها

يقول السير ولیم جونز في مقدمته لقصيدة  
لبيد : إن أبياتها الخمسة عشر الأولى من  
روائع التصوير ، يعذل الشاعر في آخرها  
نفسه على هواه الضائع سدى عند امرأة  
لا تستجيب ، فيدعوه ذلك إلى أن يفر من  
الموى إلى الراحلة ، ثم يعود إلى ذكر محبوبته  
نوار بعد نعت الرحلة برجوع فيه نوع من  
قاة الاهتمام بدلا لها . هذا ماخص كلام  
السير ولیم جونز في مقدمته . أ هـ .

ليت شعري هل مجرد توافق خواطر شبه :

١ - قول إليوت في عنوانه The Waste  
Land بقول لبيد : « عفت الديار ... إلخ »

٢ - وقول إليوت في عنوانه The Burial of  
the Dead بطريقة الشعراء العرب ومنهم لبيد  
بأن الديار تندفن وتكشف آثارها الرياح  
والسيول ( عرى رسمها ) ( وجلال السيول  
عن الطاول ) .

٣ - وذكر إليوت أمطار إبريل وقساوته  
وشبه ذلك بقول لبيد : « رزقت مرابيع  
النجوم ... إلخ » .

٤ - وقول إليوت بإنبيات زهور ليلي  
Iilacs وخاط الكريات بالشهوات وشبه

ذلك كما قدمنا بقول لبيد : « فعلا فروع  
الأيهقان ... إلخ » .

٥ - وانصراف إليوت عن مطر الربيع  
إلى مطر الصيف حيث قال : « فاجأنا  
الصيف » - هل هذا أيضاً مجرد توافق  
خواطر ؟

٦ - وتذكر إليوت للحبيبة بعد إذ ساقاها  
القهوة وتقطعت أصباها ورسامها ،  
( راجع الأسطر ٨ - ٩ - ١٠ - ١١ - ١٢ ) ..  
هل هذا أيضاً مجرد توافق خواطر ؟

وقد ركب لبيد ناقته بعد تصرم أسباب  
نوار وشبهها بحمار وحشى وذكر الصيف  
وحره ...

... . . . . . وتبيجت

ريح المصايف سومها وسهامها

أى أعاصيرها وسماها .

٧ - أم هل مجرد توافق خواطر قول  
إليوت في س ٢٣ ص ٢٧ :

And the dead tree gives no shelter

أى : والشجرة الميتة لا تعطى مأوى .

مع شدة شبهه بقول لبيد في وصفه للبقرة  
الوحشية التى أصابت السباع ولدها ،  
وأحاطت بها المخاوف بعد تردددها تبحث  
عنه وتناديه بنوح وبغام ، ولتفتتها بين الرمال  
ليلة ذات برق ومطر وأهوال :

تجفاف أصلا فالصبا متنبذاً

بمحبوب أنقاء يحيل هيامها

أى تلتمس بقرنيها جوف أصل شجرة قديم  
في قعر كشبان من الرمل منهالة ، وترجمة  
وليم جونز :

She shelters herself under the root of  
a tree

٨ - أم ليت شعري - بعد الذي لم نشك  
فيه من كتمان إليوت مصادر أخذه من العربية  
هل مجرد توافق خواطر ذكر إليوت لمفاجأة  
الصيف :

Summer surprised us ....

وأن الشتاء أدفأنا

Winter kept us warm ....

يمدح بذلك الشتاء ؟

هل اطلع إليوت على ترجمة ما لبعض  
شعر أبي تمام ، فقد عاش في الزمان الذي  
كان فيه الاستشراق العربي بين اكسفورد  
وكمبريدج ولندن وباريس وألمانيا ضارباً -  
بجبران وكان لأبي تمام صاحب الحماسة في  
ذلك مكان مرموق - قال عزة ليال في مقدمة  
اختياراته :

... I ... and was himself a desting-  
unshad poet

أى وكان هو نفسه شاعراً ممتازاً .

هل أطلع إليوت على ترجمة لقصيدة أبي تمام  
في وصف الربيع التي أولها :

رقت وجوه الدهر فهي تمرمر  
وغدا الثرى في حليه يتكسر

وفيها قوله :

\* جاءت مقدمة المصيف حميدة \*

(أو فاجأنا الصيف

(Summer surprised us

ويد الشتاء جديدة لا تنكر

Winter kept us warm

شكراً للشتاء . . .

لولا الذي صاغ الشتاء بكفه

قاسى المصيف هشائماً لا تشر

شكراً للشتاء - ولأبي تمام الذي مدح الشتاء  
خلفاً للشعراء الذين كانوا يذمونه كقول  
الآنح :  
إذا اغبر آفاق السماء . . . الخ .

لقد أفاد إليوت من الشعر العربي إما من  
قراءة تراجم له وإما من مشافهة معاصرين  
له عارفين به .

وقد أفاد من اطلاعه على ترجمة السير  
وليم جونز لا بلعقة لبيد وحدها ولكن لسائر  
المعلقات ، نخذ مثلاً الأسطر ١٩ - ٢٤ من  
ص ٢٧ وهي أولى صفحات المنظومة في  
الطبعة التي رجعنا إليها :

What are the roots that clutch, what  
Branches grow out of this stong rubbish ?  
Son of man, you cannot say, or guess,  
for you know only A heap of broken  
images, where the pum beats, and the  
dead tree gives no shelter, the cricket  
no relief, and the dry stone no sound of  
water ....

الترجمة على وجه التقريب :

ما الجذور التي تمسك ؟ ما الأغصان التي  
تنمو .

من هذه القمامة الحجرية ؟ يا بن آدم .

إنك لا تستطيع إن تقول بيقين أو ظن  
لإنك إنما تعلم .

كوه من ظلالٍ متكسرة ، حيث  
الشمس نصلك .

وحيث الشجرة الميتة لا تعطي مأوى ،  
ولا الصرصور راحة ولا الحجر اليابس  
صوت ماء . . .

أحالنا إليوت على سفر حزقييل أول  
الإصحاح الثاني بالنسبة إلى سطره ( الثاني  
أعلاه ) ٢٠ ليؤكد أن مواده من قوله :  
Son of Man (أى يابن آدم أو يا أيها الإنسان)  
هو معناها الذى فى العهد القديم لا معنى  
« ابن الإنسان » الذى عند النصارى . ولاشئ  
يمنع ملائكة هذا المعنى المسيحى لكلامه هو  
لأنه هو مسيحى الديانة لن يخلو منه بحال  
ولن يخلو من القصد إليه وليس تأكيداً الذى  
زعم بمنزلة استبعاده أحداً .

وهذه الحالة لما هو ظاهر من عدم الحاجة  
إليها لا تخلو من تعمية ما وتضاييل . وكاد  
السارق يقول نخدوني مرات . ذلك بأنه فى  
سفر حزقييل فى الإصحاح نفسه بعد رقم  
« ١ » . الذى فيه son of man ورد فى رقم ٢  
و ٣ و ٤ ذكر تمرد بنى إسرائيل وقسوة  
قلوبهم . وهذا وارد فى قول إليوت متضمناً  
لمعناه فى :

And the dry stone no sound of water  
أى : « ولا الحجر اليابس صوت ماء » ،  
أى القلوب قاسية كهذا الحجر اليابس .

لكن هذا التشبيه وهذه العبارة نفسها  
لم ترد بهذا اللفظ وهذا البيان التصويرى فى

سفر حزقييل الذى أحالنا عليه تعمية وتضايلا  
فيما نرجح ، إذ لا ريب أنه أخذها من القرآن  
-- وتراجمة كثيرات -- لأنها بعينها واردة  
فى خبر تمرد بنى إسرائيل : « ثُمَّ قَسَسْتُ قُلُوبَهُمْ مِنْ  
بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنْ  
الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشْقَقُ  
فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ » - سورة البقرة ، ٧٤ .  
ولكن هل يعقل فى إليوت الكتوم لذكر  
وردزورث ودى لامير وظلال جزيرة  
العرب The shadrs of Arabia وما أشبه  
أن يخطئ فيحيلنا على القرآن ؟ أليس ذكره  
سفر حزقييل فى إحالاته ههنا شبيهاً فى طريقة  
الاستبدال بما صنعه من جعل جدران كنيسة  
ما غنس ما رتر فى مكان ظلال جزيرة العرب ؟

وبالنسبة إلى الأسطر ١٩ - ٢٤ ( انظر  
ما تقدم ) أحالنا إليوت فى تعليقاته على السطر  
٢٣ وهو الخامس فى ما ذكرنا لننظر فى سفر  
( الجامعة ) من العهد القديم وهو الذى يقال  
« ( الواعظ ) أو The Preacher بالإنجليزية  
وأيضاً يقال له Ecclesiastes رقم ٥  
فى الإصحاح ١٢ من أجل توضيح  
مراده من الكلمة Cricket أى الصرصور  
الواردة فى النص المتقدم . وكلمة Cricket  
أى الصرصور غير واردة فى نص سفر  
الجامعة ابن داود الذى أحالنا عليه ولكن  
وردت كلمة grass-hopper أى الحنظل  
ولنما أحالنا إليوت على سفر الجامعة تعمية  
وتضايلا .

وقد وجدت من نقاد إليوت البروفسور  
رملبون يقول بمثل ما نقول به من عمده إلى  
التعمية في تعليقاته إذ ذكر بمعرض حديثه  
عن الأرض المقفرة في كتابه عن الأدب  
الإنجليزي الحديث ، وسبقت الإشارة إليه  
في ص ١١٢ . أن إليوت أضاف تعليقات  
أحياناً هي غامضة غرض الاسطار التي  
يراد بها شرحها .

.... Later Eliot added notes sometimes  
as cryptic as the lines they purport to  
elucidate .....

ومن تعليقات إليوت المضملة ، والشئ  
بالشئ يذكر نورد ذلك على سبيل المثال ،  
إحالاته بالنسبة إلى سطره رقم ٦٣ على جيم  
دانتى وإنما خطف خطفاً من مسرحية ما كبيت  
لشكسبير من قول مشهور وهو مقال امرأة  
ما كبيت في الفصل الخامس في حديث  
هذيانها : « من كان يظن أن هذا الرجل  
العجوز دمه كثير هكذا ؟ ويجوز أن يكون  
شكسبير رمتق دانتى وأخذ من هناك وأن إليوت  
نظر إلى دانتى كما نظر إلى شكسبير إلا أنه هذا  
على صياغة هذا . ونحو ما يجرى هذا الجرى  
هر ما سماه أبو تمام السرق ( بفتح السين  
والراء ) المورى بضم الميم وفتح الواو وراء  
مشددة مفتوحة بعدها ألف لينة - قال بمدح  
شعره :

إليك بعثت أبكار القوافي

يلها سائق عجل وحادى

شداد الأسر سالتة النواحي

من الإقواء فيها والسناد

منزهة عن السرق المورى

مكرمة عن المعنى المعساد

الأقواء والسناد من عيوب الثقافية كما لا يخفى

وقد أحكم نقاد العرب باب السمقات  
لأحكاماً وأبواباً غير من النقد كثيرات .

هذا والصرصور Cricket شئ غبر  
الخنذب grass-hopper وظاهر مراد إليوت  
في إحالاته على سفر الجامعة « أن يشعر  
القارئ مثلاً بأنه إستبدل كلمة grass -  
hopper أى الخنذب بكلمته : cricket  
أى صرصور لداع دقيق من دواعي البيان  
والصناعة الشعرية . هنا مكان التعمية والتضليل  
والغموض . وليس بن النص الوارد في سفر  
الجامعة ووردت فيه كلمة الخنذب - grass  
hopper أدنى صلة معنوية بكلام إليوت  
في الأسطر ٢٢ - ٢٣ :

..... where the sun beats  
And the dead tree gives no shelter, the  
cricket morelief,

أى ..... حيث تصاك الشمس .

وحيث الشجرة الميتة لا تعطى مأوى ،  
ولا الصرصور راحة ، ونص كلام  
الجامعة الذى ورد فيه ذكر الخنذب كما يلي  
( دار الكتاب المقدس ، العهد القديم ) :

وأيضاً يخافون من العالى ، وفي الطريق  
أهوال ، واللوز يزهر ، والخنذب يستثقل ،  
والشهوة تبطل ، لأن الإنسان ذاهب إلى بينه  
الأيدي والنادبون يطوفون في السوق . ا هـ .

نهاراً لظلامها ودفعها ولا تنفك تصرصر  
gives no relief . . . . . ولا تكف .

وكلا الجندب والصرصور حشرة مصوتة  
وثابة Jumping, chirping كما يقول المعجم  
الإنجليزي ، ومراد إليوت واضح وهو  
استمرار الصرصور يصبح بلا انقطاع .  
والضرورة الشعرية التي دعت إلى ذكر الصرصور  
مكان الجندب (cricket مكان grass hopper)  
هو أنه ذكر الشمس وحرارتها وذلك قوله :  
Where the sun beats

أي حيث الشمس تصبك .

وليس الصرصور - cricket - بأخى  
الشمس ولا موقده الذي يأوى إليه نهاراً  
وهو مظلم دافئ ، بوهج الشمس الملتهب  
الذي تتكسر منه أكوام الظلال .

أخذ إليوت فكرة صرصوره لامن  
سفر الجامعة ابن داود ولكن من جندب  
أشعار العرب . حشرة سفر الجامعة ابن داود  
خفيفة الوزن وثابة بين أزهار اللوز ،  
لا مزعجة صخابة في حر الهجير حيث تصبك  
الشمس وتتكسر الظلال . قال كعب بن زهير  
في بانث سعاد وهي مما ترجم :

وقال للقوم حسادهم وقد جعلت

ورق الجنادب يركضن الجصى قيلوا

جعلت الجنادب تركض الجصى بحثاً عن  
الظل ، عندئذ قال الحادى للركب الآن وجب  
المقيل .

Also when they shall be afraid of that  
which is high and fears shall be in the  
way, and the almond tree shall flourish,  
and the grasshopper shall be a Burden,  
and desire shall fail : because man goeth  
to his long Lome, and the mourners go  
about the streets. (Ecclesiastes-Chapter  
12 - 5).

محمل المعنى أنه في زمن اكتساء شجر اللوز  
بأزهاره البيض الحسان وهو زمن الربيع حين  
تزداد الحبوية والنشاط وتلدب الشهوة في  
النفوس ، في هذا الزمن حين يقترب الموت  
من الإنسان تذهب لاقترابه كل حيوية وكل  
روح نشيط ، حتى أن الجندب الصغير الجسم  
الخفيف الوزن ليستثقل المرء وزنه ثم يحمل  
المرء إلى القبر ويظوف نأدبوه بنوحون .

إليوت لا يشير إلى الحين الذي يستثقل فيه  
الإنسان وزن حشرة صغيرة لأن الموت الذي  
اقترب منه يجعل كل شيء ثقيلًا ، فلماذا  
يحيانا على سفر الجامعة ابن داود ؟ نعم ،  
الصناعة الشعرية - صناعة السرقة المورى  
ورحم الله أبا تمام - هي التي دفعت إليوت  
إلى استعمال cricket أى الصرصور مكان  
grass hopper أى الجندب . لا لأن الجندب  
في نص الكتاب المقدس في العهد القديم  
فذلك أدعى له لأن يذكرها لا أن يتفادها ،  
ولكن لأن الجندب في شعر العرب ومن  
هناك أخذها . الجندب حشرة نهارية ،  
والصرصور حشرة ليلية تأوى إلى مواقد  
البيوت نوات المواقد ( في أوروبا مثلاً )

وقال ذو الرمة ، ونشر ديوانه بكمبريدج سنة ١٩١٩ م وترجمت بانثيته من قبل ولعل إليوت أن يكون قد لقي مكارتيثي الذي حقق الديوان ، وقد نيه شارلس ليال على منزلة ذي الرمة في ذيل ص XXXIII من مقدمة مختاراته قائلا :

Dhu-r-rummaḥ was the last really great representative of desert song ....

أى كان ذو الرمة حقاً آخر شعراء الصحراء العظام — أو آخر ممثل لعظام المتغنين بالصحراء قلت : في هذا نظر وأبو عمرو بن العلاء عندنا أصبح بصراً بالشعر من شارلس ليال على حسن اجتهاده ورأيه في ذي الرمة معروف إذ جعله شاعراً من المحدثين وهو في الحقيقة لهم رائد ؛ وما نشك أن إليوت اطاع على ترجمة ليال في اختياراته ومقدمتها وأفاد من ذلك في معرفة طريقة نظم الشعر العربي ، في زمان كان فيه شعراء أوروبا والإنجليز خاصة يريدون التجديد ويطلبونه من طريق الأخذ عن أمم الشرق أشد طلب . وقد ذكرنا من قبل أن شارلس ليال نشر اختياراته — سنة ١٨٨٥ م وكان موظفاً بالهند ومن قبل سبق له نشر بعضها في مجلة بنغال ثم لأنه في سنة ١٩١٨ م نشر ترجمته للمفضليات مع تعليقاته الناضجة النفيسة وقد حقق شرح ابن الأنباري للمفضليات كما هو معروف . وسنعرض إن شاء الله من بعد إليها نرى أن إليوت أخذ من ليال في المقدمة التي ذكرناها . قال ذو الرمة يصف الجندب :

معروياً رمض الرضراض يركضه  
والشمس حيرى لها بالحو تدويم  
البيت مشهور وقيل فيه : إنه أكثر رمضاً  
من رمال دميرين لتكراره الراء والضاد وهذا  
يسمى الآن الحناس الداخلى وهو فن في  
العربية قديم . وبيت ذي الرمة هذا يحتوى  
على معنى ظلال إليوت المتكسرة وشمسه  
التي تصبك :

Where the sun beats

\* والشمس حيرى لها بالحو تدويم \*

وتأمل ( رمض الرضراض ) مع قوله :  
( يركضه ) لأن الجندب يطلب المأوى في  
بقية الظل المتكسر في رمض الرضراض .  
وأخذ ذو الرمة من كعب بن زهير قوله :  
« يركضه » لأنها من قول كعب :

..... وقد جعلت

ورق الجنادب يركضن الحصى  
ومن كليهما أفاد من أفاد .  
..... for you know only

هذا وفي قول إليوت :

A heap of broken images

أى إنما تعام — كومة من ظلال متكسرة .  
فيه نوع من السخرية بأساليب الشعراء  
إذ كلمة image كما تدل على الظل تدل  
أيضاً على الصورة البيانية من تشبيه واستعارة  
وما أشبه وفيه صدق من وردزورث —  
ودي لا مير كليهما وتأثر بمقدمة وايم جونز  
لمعلقة لبید حيث ذكر أوصافه وتشبيهاته

وزعم أنها مثل التشبيهات الطويلة التي ترد في الشعر الكلاسيكي أي ( اليوناني واللاتيني ) هذا وزيادة على ما تقدم ، واعتماداً على ما هو نازل عندنا منزلة الدليل القاطع من قوة الملابس التي تشهد باطلاع إليوت على عمل السير وليم جونز ، وطريقته في الانخفاء والكتمان ، نرجح أن إليوت اطلع على كثير مما ترجم من أدب العرب وعلى ما كتبه كبار المستشرقين بالإنجليزية . على أقل تقدير وعلى ما كتبه السير شارلس ليال مما يدل على فهم عميق لطريقة الوحدة والانسجام عند شعراء العرب القدماء مثلاً تعاقبه على بائية سلامة ابن جنيد ولامية بشامة بن القدير وعينية سويد بن أبي كاهل وطوياتي عاتمة بن عبدة ومما عين ذكره ههنا أن بعض من كتبوا عن شعراء المفضليات من فضلائنا أخذوا عنه ولم يشيروا إليه ومنهم من تابعه آخذاً غير معترف في الخطأ وفي الصواب وهذا باب ربما أتيج لنا بعض تفصيله في موضع غير هذا مما يناسبه . وإنما دعا إليه أن الشيء بالشيء يذكر ، وكما يقول سيديويه : رب شيء كهذا .

ولا شك أن إليوت قد اطلع على شيء من مقدمة ليال لمختاراته ( طبعة ١٨٨٥ م ) إذ كان ذا استشراف ومن عصبية نجباء الحكومة البريطانية بالهند إحدى مراكز السحر الشرقي الكبرى وقد وصف ليال القصيدة العربية القديمة بأن شكلها لا يمكن أن يوصف بما عليه أوصاف الأشكال في شعر أوروبا وأنه

عسى أن يكون أقرب الأمور به شبهاً ما كان اليونان يسمونه بالقطعة الوصفية أو الأخبارية idyll وأنها تعرض عينا صوراً متتابعة مأخوذة أخذاً مباشراً في التجارب والواقع ، مصوغة بمهارة وإحكام يربط بينها عنصر من الوحدة التي لا تبدو وثيقة واضحة ولكن تخضع لروح من الشاعر يهيدن عليها بكشف ما يشتمل عليه ضميره شيئاً بعد شيء - ( راجع ص XVIII من المقدمة ) .

مما أخذه إليوت من المعلقة سوى الذي ألمعنا إليه من محاكاة لبيد أنه حاكي طريقة النظم فيها ونظر في ذلك نظراً شديداً إلى المعالجة الأولى ، التي ينبغي أن يكون حين بدأ بالقراءة قد بدأ بها .

عول إليوت في نظم أرضه القفر على اتباع طريقة صياغة امرئ القيس حيث بنى تأليف لاميته المعلقة على وحدة مستمدة من الربط العاطفي الإيقاعي وتداعي المعاني المنبعثة من حل عقد خيط الذكريات ( أو كشف ما تشتمل عايه ضميره شيئاً بعد شيء أو كما قال شارلس ليال the poet's unfolding of himself - ص XVIII ) من حل عقد خيط الذكريات عقدة بعد عقدة ، من الوقوف والاستيقاف إلى ذكر - أم الرباب وأم الحويرث - دارة جاجل - نحر الناقه - خدر عنيزة - حديث الحب - حديث الجمال - الليل - الصماعة - الفروسية والصيد وزمان الشباب - ذكريات

floods of the night, float like the roots of wild anions

( وراجع ترجمة ليال لهذا البيت في ص ١٠٤ حيث قال :  
( like earth-stained roots of squills. )

الاصطلاح الإنجليزي لما ينمو من النباتات كالبصل ينتفخ أصله الملامس بجذوره للتراب Bulb ولما ينمو كالبطاطس بانتفاخ جزء الساق الملامس للتراب هو Tuber واستعمل إليوت اللفظ الدال على النوع الثاني فيبدو أولاً أن هذا بعيد من أن يكون مأخوذاً من عبارة السير ولیم جونز the roots of wild anions (أي عروق البصل البري) التي ترجم بها ( أنابيش عنصل ) . وترجمة ليال غير بعيد من هذا . وأخذ إليوت قوله المتقدم من ( أنابيش عنصل ) هذه . وقد أبت فكرة صورة الجثث التي غرقت وبدأت أطرافها من شوارب وآذان وأذنان كأطراف أنابيش العنصل أن تفارق إليوت فنمت بنفسها في أسطاره ٧٠ - ٧٢ من ص ٢٩ وذلك قوله :  
You who were with me in the ships at Mylae that corps you planted last year in your garden, Has it begun to sprout ?

أي :

يا أنت الذي كنت معي في سفينات ما يليس تلك الحنازة التي غرستها العام الماضي في حديقتك هل بدأت تخرج شططها ؟

الطفولة - المطر والسييل وانمحي كل شيء إلا منظر ثبير وصوت الطير - والسباع الغرقى - كل ذلك في تجاوب ماضل من الإيقاع والصور وضروب الموسيقى الظاهرة والباطنة .

من حيث لا يحتسب يدلنا إليوت على أنحذه من معلقة امرئ القيس في السطرين ٧ و ٨ من أرضه البلاقع أى المقفرة وقادموا في أول كلامنا ، واختارنا لفظ الأنابيش . في ترجمتنا لقوله tubers لأنه الأصل الذي نرجح أنه أخذ منه قوله :

..... feeding

A little life with dried tubers

أي : . . . . . مطعماً

حياسة قليلة بأنابيش جـافة

ونشير ههنا إلى قول امرئ القيس في المعلقة :

كأن السباع فيه غرقى عشية

بأرجائه القصوى أنابيش عنصل

العنصل بضم العين وسكون النون وضم الصاد هو البصل البري والأنابيش ما ينبت الصبيان من عروق ونحو ذلك . التبريزي :-

« الأنابيش جماعات من العنصل يجمعها الصبيان ويقال الأنابيش العنصل والعنصل بصل برى » ا . ه . ( راجع شرح التبريزي للمعلقات العشر وطبعاته كثيرة ) . وترجمة السير ولیم جونز :

The beasts of the wood, drowned in the

عنى إليوت بما يلبس هنا المكتشف  
الدمركى ما يلبس لدوج Mylius Ludurig  
الذى غامر باكتشافه سواحل جرنلندة  
فى أوائل هذا القرن الميلادى ومات  
سنة ١٩٠٧ م بعد مغامرة أخيرة فى سنة ١٩٠٦  
وكانت هى من أسباب هلاكه :

استعمل إليوت صيغة المضارع إليه  
اللاتينية (مايلاى) من (ما يلبس) . وهل  
خفى عنك أيها القارئ الكريم عنصر تداعى  
المعانى الشديدة فى النظر إلى بيت امرئ  
القيس وهنا ؟

#### امرؤ القيس :

غرقى . جنائز سباع غرقى فى العشية . تشبه  
مناظرها فى الأرجاء القصوى أطراف البصل  
البرى التى ينبشها الصبيان أو خرجوا لينبشوها

#### إليوت :

سفائن ما يلبس (At Mylae) معها البحر  
ومخاطره . جنازة مفروشة فى حديقة فى العام  
الماضى . هل نبتت وأخرجت شطئها مثل  
النبات ؟

هذه المشابهة فى نهج الصياغة هل هى مجرد  
توافق خواطر مع بيت امرئ القيس ، كما  
مطر إبريل وعلو أغصان (الليلك) مجرد  
توافق خواطر مع مرابع النجوم وعلت  
فروع الأبهقان ؟ وهل فكرة dried tubers  
( أى الأصول النباتية الجافة أو العروق  
الجافة ) مجرد توافق خواطر مع أنابيش

العنصل ؟ العنصل هو ( Bulb ) بحسب  
الاصطلاح النباتى ومع هذا الاصطلاح يرد  
دائماً الاصطلاح الآخر المقابل له TUBER -  
أليس تحويل ( Bulb ) إلى ( Tuber ) فيه لون  
من أسلوب تحويل (grass-hopper) إلى (cricket)  
وما مر بك من قبل من أمثلة « السَّرَقِ  
المُورَى » ؟

قولنا عن امرئ القيس آنفاً : إنه تذكر  
الصبا وتذكر الطفولة نشير به إلى قوله :

يزل الغلام الخلف عن صهواته  
ويلوى بأثواب العفيف المثقل

وإلى قوله :

كمت يزل اللبد عن حال متنه  
كما زلت الصفواء بالمتزل  
وليس هنا موضع التفصيل وقد كان  
امرؤ القيس صاحب ذكريات وتذكر له  
أبيات لطيفة يصف بها زحلوة الأطفال

أولها :

لمن زحلوة زُلَّ  
لهما العينان تسهل

لاحظ أن تذكر الزحلوة هنا أبكاه كما  
بكى من ذكرى الأحباب والمنازل .

وإلى قوله :

دريز كخندروف الوليد أمَّره  
تتابع كفيه بخيط موصِّل

هذا .

ومثل أبي تمام إذ فاجأته « مقدمة المصيف حميدة » نجد إليوت فاجأته مقدمة المصيف — ولكن غير حميدة ( إبريل أفسى الشهور ) ومثل امرئ القيس نخلص إليوت الذي هو امروء الأرض القفر من البدء بذكر الأطلال ( عفت الديار كما تقدم ) إلى حل العقد من خيط الذكريات — المقهى في أول المنظومة ( السطر ١١ ) — إلى النعت المنظور فيه إلى سفينة كليوباترة بعين ، ( س ٧٧ ص ٢٩ ) :  
The chair she sat in, like a burnished throne, glowed on marble.....

أى : الكرسي الذى جلست عليه كان يتوهج من فوق بلاط الرخام كأنه عرش مجلو . . . . ( راجع نعت أنوباربس لسفينة كليوباترة عند شكسبير ) ومنظور أيضاً فيه بنفس العين أو بعين أخرى تحت الحجاب الكالح إلى قول امرئ القيس :

إذا قامت تضيوع المسك منها  
نسيم الصبا جاءت بريا الفرنفل  
( راجع من قوله س ٨٤ ) :

The glitter of her jewels rose.....

أى : قام بريق جواهرها . . . . .

إلى . . . .

her strange synthetic perfumes.....

أى : عطورها المصنوعة الغريبة — س ٨٧ ص ٣٠ .

وقال ولیم جونز في ترجمة هذا البيت :

When those two damsels departed, musk was diffused from their robes, as the eastern gale sheds the scent of clove-gilly flowers.....

لاحظ استعمال إليوت prolucion في س ٧٥ وكذلك poured في مقابلة diffused التي عند ولیم جونز و sheds . . . تأمل ذلك أيها القارئ الكريم .

الفصل الذى فيه هذا النعت جعل إليوت عنواناً له « لعبة الشطرنج A Game of chess » وهو الفصل الثانى من الأرض المقفرة والعنوان مأخوذ من اختيارات — ولیم جونز إذ عنوان إحدى القصائد الهندية التى اختارها هناك هو هذا ، فتأمل . . . .

راجع الحديث ، راجع قولنا قبل إلى النعت المنظور فيه . . . إلخ والآن . . . إلى لقاء الكويته في الفصل الثالث الذى عنوانه ترقية النار أو كما قال : A FIRE SERMON

ونلفت نظرك ههنا إلى ما ذُكر عن ليوت أنه وصف رديارد كبلنج شاعر الامبراطورية الذى نشأ في الهند بأنه كان من عظام أصحاب التراتيل .

لتي إليوت في منظومته الكويته في الفصل المذكور على مائدة فاترة وصال من نوع ما يقع في سأم المدن المعاصرة . . . شىء مسوخ من ولية عناري دارة جلعجل ودخول الخلد خدر عنيترة : ( وقد ترجم ذلك السير ولیم جونز ترجمة حسنة حية :

Woe to thee ! than wilt compel me to travel on foot

تقول لك الويلات إنك رحلى .

من هنا أخذ إليوت عبارته ( ص ٣٢ ) :

..... caresses

Which still unreproved, if undesired

وتأمل بعد أسطاره من ٢٣٥ - إلى - ٢٣٨

في حديث عنيزته هو :

The time is now propitious as he guesses  
The mean ended, she is bored and tired,  
Endeavours to engage her in caresses  
Which still unreproved, if undesired

الترجمة التقريرية :

الوقت الآن مواتٍ كما يظن .

انتهت الوجبة وهي متعبة وسئمت :

يحاول أن يشركها معه في ملامسات .

استمرت بلا مؤاخذه إن لا بلا اشتها .

كذلك من قبل ظن امرؤ القيس الوقت  
مواتياً بعد عقر الناقة وانتهاء الوليمة وارتضاء  
العذارى - يطبخن - بلحم مطيته ( يخطيء  
من يحسب أنهن كن يترايمن بقطع اللحم  
كالغولات وكأن اللحم كرات لعب ) وبشحم  
كهذاب الدمقس المقتل ، الذى هو حريرهن  
وبياض أبشارهن ، فدخل الخدر خدر  
عنيزة ليشرکہا معه في ملامسات ومداعبات  
فزجرته بقولها : « لك الوليات إنك مر جلى »  
ومع زجرها له مال بهما الغبيط معاً :

تقول وقد مال الغبيط بنا معاً

عقرت بعيرى يا امرأ القيس فانزل

ولكنه لا ينزل :

فقلت لها سبرى وأرخى زمامه

ولا تبعدنى من جنسك الملال

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع  
فألهيتها عن ذى تسمائم محول

كلام امرؤ القيس فيه شيطنة وأريحية  
وحرارة عاطفة وصدق فى مباشر مع  
الزمان والبيان الناصع . كلام إليوت مصقول  
كخشب النجار الماهر ولكنه ناشف لاعاطفة  
فيه ولا حرارة ولكن حرارة برود تعال  
فكرى وشىء من سخرية . غطاء كثيف يخفى  
حقيقة السريرة ولو كانت فيها أريحية من  
عواطف البيان والصدق الشعري لهتكته .

في كلام إليوت روح سامة كسامة الليل  
والبعير الذى شبه به امرؤ القيس الليل لما تمطى  
بصلبه وأردف أعجازاً ونكاء بكل كل ،  
وكسامة الحمل التى ذكرها امرؤ القيس  
فزعم أنه أنهاها عن طفلها ذى التمايم المحول :  
إذا ما بكى من تحتها انصرفت له

بشق وتحتى شقها لم يحول

وقد استفحش النقاد هذا من مقال امرؤ  
القيس وعذلوه عايه وعابوه وأبى الشعراء من  
بعد إلا أن يحاكوه فيه ويسرفوا كالذى  
صنعه سحيم عبد بنى الحمحاحس فى يائيته  
« عميرة ودع إن تجهزت غادياً » وفيها :

توسدنى كفاً وتثنى بمعصم

على وتحنو رجلها من ورائيها

وفيها وجدان وغرام وفتك كالذى صنعه

بشار فى الرائيين ، المقيدة التى يقول فيها :

أمتى بدد هذا لُعبى

ووشاحى حلّه حتى انتثر

والمطلقة التي يقول فيها :

قولى لها بقية لها ظفر  
إن كان في البق ما له ظفر  
وفي كليهما تهتك وزندقة ومجون .

وهل نظر بعض شعرائنا المعاصرين إلى  
عنيزة امرئ القيس وإلى دعوى التحضر  
والتقدم بالنظر إلى عنيزة وجبة طعام أرض  
إليوت المقفرة الباب الخراب ؟ هذا باب  
يكتفى فيه بمجرد الإشارة واللمح :

ويبقى وزن إليوت : ومداره كما يذكر  
نقاده على محاكاة نبرات الكلام المؤلف  
وعلى الحناس الحرفى الداخلى وعلى سمعات  
القوافى وهذا أمرٌ خالف فيه أصحاب الشعر  
الحر الفرنسيين ومن مال إلى مذهبهم .  
وقد تأثر فيما ذكروا بإزرا پاوند وقد سبقه  
في مذاهب من النظم جرارد مانلى هو بكنز  
١٨٤٤ - ١٨٨٩ م

GERARD MANLEY HOPKINS

ورجع إليوت في ما يذكر إلى نماذج من  
الشعر الإنجليزى القديم الذى يقال له  
المنوسط مثل منظومة ولیم لانجلاند ( ولا  
يكادون يستشهدون إلا بها ) التى أسماها  
بطرس الحراثات William Lang Land ( ولد  
سنة ١٣٠٢ م وتوفى ١٤٠٠ م ) - بطرس  
الحراثات Pibrs Ploughman وعندى أن  
الحناس الحرفى أو الداخلى ليس بأصيل فى  
اللغة الإنجليزية على اتصاله بأوائلها ولكنه  
أخذت أصوله من البديع العربى إذ هو قد

كان النموذج الأدبى البراق المحتذى فى القرن  
الحادى عشر والثانى عشر الميلادى فما بعدهما  
وقد كانت أمة العربى آنئذ هى أمة المدنية  
الكبرى المرموقة فى ذلك الزمان - تحاكي  
أساليب حياتها وآدابها كما نفعل الآن بتقاييد  
الأفرنج . ذكر صاحب الذخيرة نقلا عن  
المؤرخ أبى مرران بن حيان فى صفة ريموند  
صاحب برشلونه ( ص ١٥٥ العتم أح أ ) :  
« فإذا هو جالس على مرتبته عاياه ثياب من ثياب  
المسلمين » أ . ه .

أمر آخر ينبه إليه مما عسى أن يكون إليوت  
قد أخذه أيضاً من أساليب العربى ، هو مذهبه  
فى غرابة التشبيه . ويوقف كثيراً عند قوله فى  
إحدى منظوماته :

Let us go then, you and I  
When the evening is spread out against  
the sky Like a patient ethervised upon  
a table

أى :

دَعْنَا إذن نذهب أنت وأنا .

عندما يكون الليل قد مدد بإزاء السماء .

مثل مريض بنج على منضدة « العمليات » .

ووصفه برغونزى بالجمال والغرابة

( ص ١٥ ) .

والحق أن تشبيه إليوت ههنا جارٍ على  
ما يسميه البديعيون بالتشبيه المقلوب ، المريض  
ساعة الغيبوبة والامتداد على المنضدة هو  
المشبه بغروب الشمس إذ كمفاجأة غشيان

الظلام الأفق تكون مفاجأة غيبوبة المريض بالبنج .

من أمثلة التشبيه المتقارب المعروفة :

وبدأ الصباح كأن غرته

وجه الخليفة حين يُمتدح

وما الأمر إلا أن وجه الخليفة المشرق بغرة الانشراح للمدح قد صار جسم مريض ممدوداً على منضدة عملية . وغرة الصباح الباهرة صارت غروباً . . هل أخذ إليوت من ههنا أم هو توارد نحواطر ؟ لعله توارد نحواطر ولكنه بلاريب تشبيه مقلوب . صناعة وبديع مصمتة ول متكاف لا أكثر ولا أقل .

أشهد أن أول مادعا إلى الشك في أصالة

إليوت في منظومته The Waste Land

( الأرض المقفرة ) ما قدمته من ارتياب

النفس من تعليقاته ومن حذفه اسم العرب

وأسماء من أشاروا إليهم ومن غلبة البرود

والتنطس على أساوبه ومذهبه ومن الفتنة

المفرطة به ولاسيما من ليست لغتهم باغته وفي

لغته على أهل لغته هو الإنجليزية عسر شديد .

حتى المعجبون به ذكروا ذلك . مثلاً

قال أنتوني بيرغس Anthony Burgess

في كتابه من الأدب الإنجليزي طبعة ١٩٨٠ م

وهو من المعجبين بإليوت أن منظومته

The Waste Land ( الأرض المقفرة )

فيها عسر ومشقة على القارئ وذكر من بين

أسباب ذلك كثرة الإشارات والأقتباسات

والأخذ من أدب أوربا والهند وتداخل الصور

إلى آخر ما قال .

ومع أن تأريخ كبردج للأدب الإنجليزي بعد إليوت من ثلاثة العصر في الشعر الإنجليزي الكبار ، مع هذا عاب عليه كثرة أخذه من دون إشارة إلى موضع الأخذ أو علامات تدل عليه وقال إنه كان يلزمه بيان ما أخذ وما استعار . وألغ تأريخ كبردج إلى أنه إن يك المراد من هذا الحنين إلى الماضي هو للتعبير عن الضجر عن العصر بأسلوب أدبي ، فإن ذلك غير خارج عن نطاق الأساليب التقايدية ، ونص عبارة تأريخ كبردج هو كما يلي وما قدمناه فحواها وملخصها ، ( ص ٨٥٣ ) :

But we may doubt whether the disgust with the realities of the modern world, and the nostalgia for the past, not in its own kind of disgusting reality but as abstracted in literature and art, is anything more than a traditional literary device.

كاملة صدق يقال للمفتونين بإليوت : إن كتمانهم وسرقة و دينه للمعلقات وشعر العرب من طريق مستشرق الهند وفرنسة وألمانيا وهافارد وجامعي أكسفورد وكبردج ومن يكون لاقاه فيهما وفي غيرهما وشافهه ، ينبغي أن يكون ذلك موضع زراية به ونفور عنه لا فرط إعجاب به وإقبال عليه .

أسأل الله أن تكون الموضوعية النقدية لنا رائداً ودليلاً في ما نقدمه من حدس مرتب على مشابه قوية وملابسات دليلها قاطع ، وقد اكتفيت في أكثر ما قدمت بالصدر الأول لأكثر من منظومة إليوت The Waste Land

Let's talk of graves and worms and epitaphs  
Make dust our paper and with rainy eyes write sorrow  
on the bosom of the earth

وترجمته التقريرية ( التماسه عزاء ٤٤ ) :

هلموا من الأحداث والدود والثرثا  
حديثكمو ثم اجعلوا الترب قرطاساً  
ومن أعين تهمل بك الغيث سطوراً  
على ثدى هذى الأرض للحزن أنفاساً  
وشبه كلام شكسبير بقفا نباك من ذكرى  
حبيب ومنزل في نمط الصياغة غير بعيد :  
وقال درايتون Drayton من معاصري شكسبير  
Since there is no help, let us kiss and part

وأقرب ما يترجم به هذا شطر بيت  
المثقب العبدى :

أقائم قبل بنيك متعيني

وليس بجد بعيد من : فسلى ثيابي من  
ثيابك تنسل . توارد الخواطر كثير في المعاني  
الإنسانية ، ولكن روح التعبير هنا عربي  
المعدن وكان الأخذ في زمان النهضة الأوروبية  
عن معارف العرب وآدابهم أمر شائعاً :

وأخذ إليوت من شعراء الإنجليزية خاصة  
قد كفانا مثونته نقاده ، حتى يرغسى الموالي  
له لم يغمض فيه وتاريخ كبردج للأدب  
الإنجليزي الذي سبق أن أحانا عليه من قبل  
قد بكت إليوت كما مرّ على الأخذ بلا اعتراف  
أو تعليق ونعى عليه استعمال التضمين  
والاقتباس بطريقة آلية صارت من بعد مجرد

خشية الإطالة إذ ليس هذا مجالها وإنما مرادى  
التنبية : ولقد أقبات على كتابة هذه الكلمة  
الموجزة في بابها ، وحسبك من القلادة  
ما أحاط بالعنق ، بعد مناقشة مادتها الأولى  
وجمالة معناها مع زملاء فضلاء وطلبة أذكياء  
وأساتذة عظام وغيرهم من المعارف والأصدقاء  
فمنهم من لبه على ما لم أكن له منبهاً ومنهم  
من أعان على تيسير المراجع أودل عاينها ومنهم  
من ساهم بالرأى وبالكلمة المفيدة — من ذلك  
مثلاً أن عنوان إليوت لعبة الشطرنج  
A GAME of CHESS يناو من نفس امرئ  
القيس إذ كان يلعب النرد لما جاءه خبر مقتل  
أبيه : ومن ذلك مثلاً أن قول إليوت :  
Let us go then, you and I

فيه شبه بصياغة الأمر في نحو :

قفا نباك من ذكرى . .

عوجوا فحيوا لنعم دمنه الدار . . :

خليلي عوجاً من صدور الرواجل :

قفي قبل التفرق يا ظعينا . . :

ونحو هذا كثير . ونحو هذا القول محتمل  
[إلا أنني أرجح أن يكون إليوت اقتدى بطريقة]  
شكسبير ومعاصريه ، نحو قول شكسبير في  
مسرحية ريتشارد الثاني الملك ، على لسانه :

Of comfort let no man speak

أى لا يتحدثن امرؤ عن الراحة وفيها  
let us sit upon the ground  
الأرض : ويعجبنى منها قوله ( راجع التماسه  
عزاء ص ٤٤ ) :

حياة أسلوبية عند مقال الكثيرين وكما قال  
(ص ٨٥٣) :

..... A mere trick of fashion in his  
numerous imitators

هذا ، ومنهم - أى ممن ناقشت - من حث  
حثاً على تدوين ما بدا خشية أن يؤخذ من  
المشافهة فأسبق إلى نشره ولا يشار إلى  
المصادر . وهذا قبيح . ولكن ليس السبق إلى  
النشر هو الغرض . ولكن الغرض هو  
التنبية على كتمان إليوت تلاميذه لطريقة العرب  
في صياغة القصيد - وقد عرف العرب  
التضمين والإشارة وغرائب من البديع مع  
الذى سبق توضيحه من مذهبهم في الوصف  
وتداعى المعانى على النحو الذى بين جانباً منه  
ليال في مقدمته القيمة .

يسمى بعضنا صياغة القصيدة الذى  
لو أقبانا على درسه لأغنتنا روائعه أساوياً  
تقليدياً .... ويسعدون إبداعاً تقليد إليوت  
الذى يقاده ، فنأمل .

الآراء التى بثت بطرف منها ههنا قدمة  
عند كاتب هذه الأسطر ألمع إلى بعضها فى  
حديثه عن أبى الطيب الذى ألقاه فى المهرجان  
الذى أقيم له ببغداد فى تشرين الثانى سنة ١٩٧٧  
وطبعت ثم فى سفر بعنوان الطبيعة عند المتنبي  
وقد جاء فيها ذكر أخذ الشاعر أندرد مارفيل  
فى منظومته البستان The Garden من :  
مغنى الشعب طيباً فى المغنى

وأخذ وليم بليك فى منظومته عن النمر  
من أسد أبى الطيب الذى ما قوبلت عيناه ...  
ما قوبلت عيناه إلا ظننا  
تحت الدجى نار الفريق حلولا  
وهذا باب يتسع فيه القول ومجال البحث .  
ولله الحمد فى المبدأ والختام .  
وعلى رسول الله الصلاة والسلام :  
وعلى آله وصحبه أجمعين ،

عبد الله الطيب  
عضو المجمع من السودان



# الجزائر

## لستاند احمد قريش الحثي

الجمهورية

الجزائرية : دولة عربية

إسلامية ، تتوسط بلاد

المغرب العربي ، وتقع بين جمهورية تونس شرقا وبين مملكة المغرب الأقصى غربا ، يمتد ساحلها ١٢٥٠ كياو مترا على البحر المتوسط ، وتضرب في أعماق الصحراء جنوبا ، حيث تتصل بالبلاد الليبية ، وجمهوريةات النيجر ومالي ، وموريتانيا ، والصحراء الغربية . مساحتها ٥٢,٣٧٦,٤٠٠ وسكانها سنة ١٩٨١ يبلغون ٢٠,٠٠٠,٠٠٠

أرضها : في بلاد الجزائر ثلاث مناطق أفقية مختلفة من حيث التضاريس هي : منطقة التل شمالا ، تايها منطقة النجود وسطا ثم منطقة الصحراء جنوبا ولكل من هذه الأقسام ميزات خاصة ، ومناخ خاص ولانتاج اقتصادي مستقل ، فمناطق الشمال تمتد على كامل الساحل البحري وفيها من شرقها إلى غربها جبال التل ، تتخللها السهول الخصبة والمزارع الغنية ، وفيها جميع الأنواع من الأشجار المثمرة والحبوب المختلفة ، كسهول عنابة وهي بونة القديمة

وسهول متيجة الواسعة حوالى العاصمة وجنوب العاصمة الجزائرية ، وسهول وهران غربى البلاد وسهول المدية وسيلوى باعباس وتستمر جبال الأطلس التلى متتابعة على خط أفقي من الشرق إلى الغرب وأعلى قمة فيها هي : لالاخديجة التى ترتفع ٢٣٠٨ أمتار ، وثلاثة أرباع سكان الجزائر يعيشون مما تنتجه هذه الناحية الزراعية الممتازة التى تجود عليها السماء بأمطار موسمية وابللة يبلغ معدلا ١٠٠٠ ملليمتر فى السنة . وفى هذه الناحية أيضا سدود عديدة لجمع مياه المطر والإفادة منها زمن الحر . أما مناخها فهو معتدل ، شتاء لطيف وصيف مقبول . أما منطقة النجود أو الهضاب العليا فمعدل ارتفاعها عن سطح البحر ٨٠٠ متروهى تكاد تكون خالية من السكان إلا فى ناحيتها الشرقية الغنية . ومزروعاتها ضعيفة ، إلا فى ناحية الشرق لكنها تنبت طبيعيا شجيرات الحلفاء التى يصنع منها أحسن أنواع الورق وبعض الأقمشة . وهى كثيرة التباين من حيث المناخ فارتفاعها ووفوعا بين ساساه جبال الأطلس التلى شمالا وجبال الأطلس للصحراوى

جنوب يجعل شتاءها قارصا حيث تكتسى بالثلوج ويجعل صيفها قائظا لكنها بين الشتاء والصيف تكتسى باعشاب . مرتفعة ذات جمال وزهور بديعة ، تكون مرتعا خصبا للملايين من الغنم التي تصعد إليها من الجنوب وإذا جفت تلك الأعشاب أصبحت - تدعى « الهيشر » وهي مغذية جدا للأنعام وتتلقى هذه النجود من المطر معدل ٣٠٠ ملميمتر سنويا .

وأما منطقة الصحراء ، وهي نحو مليوني كيلومترا ، فتقع جنوب سلسلة الأطلس الصحراوى وهي أضخم الجبال الجزائرية وأكثرها ارتفاعا ، ويبلغ أقصى ارتفاعها ٢٣١١ مترافى قمة الشلية بناحية الأوراس الغنية البنية ، ذات الجحد التالد والطريف تليها جبال اولاد نايل وعمور ، وتسكنها القبائل الهلالية العربية الشهيرة ، وتتلقى هذه الجبال كمية ضخمة من الأمطار كل سنة. والصحراء قسم صخرى لاحياة فيه لحيوان او نبات ، ويدعى « الحمادة » وقسم رملى ناعم ، يدعى « العرق » وهو القسم الأكبر وفيه عدد لا يستهان به من الواحات الخضراء البديعة التي طبقت شهرتها الآفاق كبسكرة ، وطولقة والأغواط وكامل جهات الزبيان ووادى سوف شرقا وبلاد ميزاب جنوبا ، وشلالة واولاد سيدى الشيخ غربا بحيث كلما برزت على سطح الارض منابع طبيعية من المياه الجوفية المنحدرة

من سلاسل الأطاس تكونت الحياة الانسانية والنباتية فى أبهى مناظرها والقاسم المشترك الأعظم بين هذه الواحات هو جنات النخيل الباسقة الشهيرة بجمالها وثمارها وفى الجنوب الصحراوى توجد جبال ( الهقار ) الشاخنة المتشعبة التي تسكنها قبائل « الطوارق » الملتمون وكانوا أصحاب حضارة كبيرة بائدة ، والمرأة عندهم هي صاحبة المكانة الأولى فى المجتمع . وفى أقصى الجنوب الشرقى على مقربة من الحدود الليبية ، توجد جبال الطاسيلي وبها رسوم وصور ملونة متقنة لأزمنة ماقبل التاريخ : تعاصر الحضارة المصرية القديمة ويهتم بها الباحثون من مختلف بقاع الدنيا كثيرا .

سكانها : إن العشرين مليونا من سكان الجزائر اليوم كلهم مسلمون لم يبق بينهم دخيل منذ نزوح الأوربيين واليهود عامة سنة ١٩٦٢ عند إعلان الاستقلال. كلهم يتبع مذهب الإمام مالك بن أنس إلا نحو عشرة آلاف من بقايا الأتراك العثمانيين يتبعون مذهب أبى حنيفة . النعمان ، وستين ألفا يتبعون المذهب الإباضى وأغليبيتهم العظمى ببلاد ميزاب ، ان أصل السكان هم قبائل « الأمازيغ » أى الرجال الأحرار ، نسبة إلى جدهم الأعلى « مازيغ بن قحطان » - ويدعوهم الرومانيون ( البربر ) أى الأجانب ، وتبعهم ابن خلدون فى هذه التسمية غالطا . وبعد الفتح الإسلامى ،

وخاصة بعد استقرار قبائل بني هلال  
وبني سليم بالبلاد اندمجت أغاب  
القبائل الأمازيغية في العرب واعتنق  
جميع الأمازيغ الإسلام ، فخذقوا لغة  
العرب اثر حفظهم للقرآن فلم يبق في كامل  
الأرض الجزائرية إلا نحو أربعة آلاف نسمة  
يسكنون أعلى الجبال ، لا يتكلمون — على  
خلاف بينهم — إلا لغة أمازيغية قديمة ويمتاز  
سكان الأرض الجزائرية عموما بأمرين :  
أولهما نسبة الشباب التي تزيد عن ٥٥ ٪  
ممن سنهم دون العشرين وثانيها نسبة الزيادة  
السوية في السكان ، حيث هي تزيد  
قليلا عن ٣,٥٠ بالمائة .

مركزها الاقتصادي : تزداد أهمية  
الجزائر الاقتصادية ، منذ الاستقلال زيادة  
ملحوظة فالجزائر بلد زراعي رعوى أساسا  
ينتج الحبوب المختلفة ، وكل أنواع الأشجار  
المثمرة وخاصة الحمضيات منها ، والزيتون  
المنتشر في بلاد الشمال (نحو ١٢,٠٠٠,٠٠٠ شجرة  
تنتج زيتا كثيرا والنخيل في الجنوب )  
( نحو ١٠,٠٠٠,٠٠٠ ) ومنه نوع دقلة  
نور ذات الشهرة العالمية ، وكل انواع البقول  
المختلفة ، لكن تزايد عدد السكان بصفة عالية  
جدا جعل تلك الحيرات الدافقة لا تكاد تكفي  
لسد حاجتهم ، كذلك عدد الماشية من الضأن  
التي كانت على نسبة شاة واحدة لكل  
فرد من السكان ، فأصبحت لا تكاد تفي  
بحاجة المستهلكين :

نشأت بالبلاد بعد الاستقلال صناعة مختلفة  
عمت كل الجهات ، زيادة عن الصناعات  
التقليدية القديمة كصناعة النحاس ، والحلي  
من الذهب والفضة ، والزراحي التي تختص  
كل جهة بنوع جميل منها ، وانسجة  
الصوف والحرير الطبيعي ، فالمعامل الكبيرة  
الحديدية تشمل صناعة التعدين وخاصة  
الحديد الموجود بوفرة ، ومعامل الأقمشة  
المختلفة ، ومعامل الورق ، ومعامل الآلات  
الزراعية الثقيلة والخفيفة ومعامل الأدوات  
المنزلية من معدنية وفخارية على الطريقة  
الصينية ، ومعامل للصناعات الكهربائية  
المختلفة ، ومعامل للنشارة والأخشاب ، تستثمر  
الغابات الجزائرية العديدة كالأرز ، والصنوبر  
والفلين ، وغيرها والغابات تنمو في الجزائر  
بشكل غريب ، ناهيك أن الدولة تنشئ  
الآن غابة سميكة تمتد نحو ١٥٠٠ كياو متر  
متواصلة في الجنوب لتمنع تسرب الرمال  
إلى أرض الشمال .

وفي أرض الجنوب معادن غنية جدا ،  
منها ما لم يستثمر بعد ، كالذهب الموجود وافرا ،  
وقد رأت الدولة أن يبقى مكتوما إلى أن  
تحين ساعة الحاجة إليه ، ومنها ما استثمر  
بعضه كالنفط الذي هو عمدة الاقتصاد  
الجزائري اليوم حيث ينتج نحو ٥٠ مليون  
طن سنويا ونشأت بالجزائر صناعة نفط  
كاماة ، لها أنابيب صنعت بالجزائر لإيصاله  
إلى الناحية الشمالية حيث يرسل منه نحو ٥٠

مايون طن إلى مختلف بلاد العالم ، وكالغاز الطبيعي الذي يخرج بكثرة متافقا وأنشئت له معامل عديدة لتنميته ، وتزويد مختلف البلاد الأجنبية به ، زيادة عن الاستهلاك المحلي الذي شمل كل مدن القطر ، ولا زالت البلاد تكتشف مناطق جديدة للنفط والغاز . وكل هذه الموارد الضخمة تنفق في سبيل الإنشاء والتعمير ، وجزء منها لأعمال التسيير .

تاريخها = للجزائر تاريخ حافل طويل قبل الإسلام وبعده يمكن تلخيصه كما يلي :

١- جاءها العرب من بنى كنعان (فنيقيا) قبل المسيح بألف سنة وعاشروا أهلها سلما قصد التبادل التجاري ، ثم أسسوا مدينة (قرطاجنة) سنة ٤٨٠ ق . م وأصبحت لها امبراطورية ضخمة عمت الشمال الإثريقي كافة وتأسست فيه ممالك أمازيغية كبيرة خاصة في جهتها الشرقية والوسطى (نوميديا) .

٢- استعمرها الرومانيون بعد تحطيم قرطاجنة سنة ٢٥٠ ق . م ودام استعمارهم لها إلى سنة ٤٢٩ ق . م وقامت ضد الرومانيون ثورات عنيفة جدا اخمدوا الكثير منها الى ان استعان الأمازيغ عليهم بالوندال (سكان الأندلس) فجاءوها فاتحين ، وأعانوا الأمازيغ على تقويض كل أثر للرومان .

٣- لم يكت الوندال بالبلاد إلا مائة عام (٤٢٩-٥٣٠) استرجع خلالها الأمازيغ سلطانهم وحریتهم \*

٤- جاء الروم من بلاد القسطنطينية فاتحين فأخرجوا الوندال (٥٣٠م) إنما كان الأمازيغ قد استرجعوا استقلالهم ، فلم يكن الروم يحتلون إلا مراكز عسكرية محددة النطاق :

٥- فاضت اثار المدينة الإسلامية بالفتح العربي تحت قيادة عقبة بن نافع ، وحسان بن النعمان وعم الفتح كل جهات المغرب العربي ، وبعد معارك قليلة متفرقة أسلم الأمازيغ وحسن إسلامهم وأصبح المغرب ومنه الجزائر ، جزءا من بلاد العروبة والإسلام وتوالى عايتها الولاية من قبل دمشق .

٦- أقام الأباضيون بوسط الجزائر (تاهرت) أول دولة إسلامية خارجة عن الخلافة ، سنة ١٢٩ هـ هي دولة بنى رستم ، وكان نظامها دينيا إسلاميا صادقا يتولى أمرها الإمام وجماعة « الشراة » ودامت الدولة ١٣٦ سنة .

٧- عمت دعوة الشيعة التي نشأت بشرقي الجزائر كل أقطار المغرب العربي وتأسست بالمغرب الأقصى دولة الفاطميين التي وحدت كامل المغرب ، وقضت على دوله المستقلة إلا أنهم فتحوا القاهرة ونقوا إليها ملكهم ، فتأسست بالقطر الجزائري دولة بنى حماد (٣٩٨ - ٥٢٩ هـ) وكتاب من أحسن دول الإسلام بلغت بجاية في أيامها أوج المدنية علما وعملا وفي أيامها استقر الأعراب الهلابيون بالبلاد :

٨- نشأت بالمغرب دولة الموحدين ( ٥٢٤-٦٨٧ ) وعمت موحديها كامل بلاد المغرب العربي فوحدهته توحيدا كاملا وكانت إدارة صالحة .

٩- أسس أهل المغرب الجزائري بمدينة تلمسان دولة بني زيان ، أثر انقراض دولة الموحدين سنة ٦٢٧ فكانت دولة من أحسن دول البلاد بلغت أوج الحضارة ، ونبغ فيها العلماء ، و الأدباء والمخترعون ، وتوسعت في البلاد إلى أن أصابها الهرم ، وتنازع أمراؤها على كرسى الملك ، كما تنازع وتقاتل امراء بني حفص الذين أسسوا مملكة بجاية وعلوا كبيرا ، وكانت النتيجة : هي مهاجمة الأسبان لهذه البلاد بعد تفويض دولة المسلمين بالأندلس وأشعواها صليبية رسمية ، فاحتلوا كامل الساحل الجزائري من وهران إلى بجاية ، وذبخوا أهلها وخربوا أعمرائة ولم يجدوا مقاومة عنيفة ، لان الشعب فقد قيادته .

١٠- كان البطلان المسلمان (عروج ) ( وخير الدين ) وهما من قراصنة الدولة العثمانية يقومان بانقاذ بقايا مساحي الأندلس والقدوم بهم إلى الأرض الجزائرية . فأرسل لهما الجزائريون يطلبون نجدهم العسكرية لإنقاذ بلاد الإسلام من احتلال الأسبان ، ولبي البطلان الطلب فنزلا خلف بجاية ثم استقرا ببعض المدن الساحلية ومنها قدما إلى مدينة الجزائر وكان سرور الشعب بهما عظيما ، فأسسا

بكامل البلاد دولة الجزائر المستقلة ، لأول مرة في التاريخ سنة ١٥١٦ م . وأقبل الشعب عليهم ، فنظموا الحكم وأقاموا الإدارة ووحدها البلاد ، وأنقذوا الساحل الجزائري من الأسبان وكان عدد الأتراك قايلا جدا إنما التف أهل البلاد حولهم فكانت البلاد تحت الحماية العثمانية دولة قوية قهرت أسبانية بصفة لا مثيل لها وحاربت أغلب الدول الأوروبية واستمرت الحرب مع أسبانيا من أجل إنقاذ وهران ٣٠٠ سنة واستمرت الدولة الجزائرية هكذا إلى سنة ١٨٣٠ حيث احتلت فرنسا العاصمة .

١١- رغم المقاومة البطولية التي قام بها أهل البلاد تحت قيادة الأمير عبد القادر وأحمد الشريف وإلى المقاطعة الشرقية تمكنت فرنسا بعد خسائر كبيرة ، من احتلال كامل البلاد ، وقهرت أهلها وإذلتهم لأنها كانت محمية إلا أن الأحرار أسسوا سنة ١٩٥٤ ( جبهة التحرير الوطني ) وأعلنوا باسمها الثورة العارمة الشاملة يوم أول نوفمبر ، وسلك الفرنسيون سياسة التدمير وإتلاف كل أنواع الحياة إلا أن ذلك لم يغن عنهم قليلا ، وتكبد الجزائريون أثناء حرب التحرير خسارة فادحة في الأنفس والأموال ، إذ قتل الفرنسيون منهم مليون ونصف مليون من الأنفس واستمرت الحرب إلى مارس ١٩٦٢ حيث اعترفت فرنسا مكرهة للجزائر بحق تقرير المصير ، وأعان الاستقلال

يوم ٥ يوليو ١٩٦٢ وتأسست أول حكومة وطنية بها :

١٢ - نظامها وإدارتها = يقول الدستور الجزائري والميثاق الوطني الجزائري أن الدولة دينها الإسلام ولغتها العربية، وهي دولة ديمقراطية شعبية يديرها حزب جبهة التحرير الوطني الجزائري بواسطة حكومة رئاسية تعتمد على مجلس أمة شعبي وبها ٣٢ ولاية لكل منها مجلس شعبي ولأئى منتخب ولكل مدينة فيها مجلس شعبي بلدى ( وعددها ٧١٠ ) وهي تسير فى نظام اشتراكى لا يعارض الإسلام دين الدولة . فأنشأت منذ الاستقلال تعالما وطنيا قويا تشمل أقسامه الابتدائية ٤,٥٠٠,٠٠٠ طفل يتعلمون العربية فقط خلال ثلاث سنوات مع حفظ شىء من القرآن ، وعلوم الدين ، ثم يتناولون اللغة الفرنسية بعد ذلك إلى جنب العربية لبقية مدة الدراسة وبالجزائر اليوم ٦ جامعات لتدريس العلوم العليا ، وهي سائرة نحو التعريب التام رجالها الخالدون = من أشهر رجال العلم والأدب فى الجزائر منذ إسلامها العلامة إبراهيم ابن عبد الرحمان التنسى ، والشاعر العظيم بكر بن حماد أيام الدولة الرستمىة ، والعالم الطبيب اللغوى ابن تميم والجغرافى الكبير ابن الوراق أيام الفاطميين ومحمد بن على الصنهاجى المؤرخ الكبير واللغوى النحوى ابن العفراء والعلامة المجتهد ابن الرماح فى دولة الفاطميين أما فى أيام الموحدين فقد نبغ فى أرض الجزائر

الشريف ابن عمارة الشاعر الكبير والحسن ابن العكون القسنطينى ، ويوسف بن إبراهيم الوارجلانى : أما فى أيام دولة بنى زيان فقد نبغ نبوغا كبيرا وتفوق أمثال عبدالرحمان الثعالبي ومحمد بن يحيى الونشريسى ومحمد السنوسى والقاصدى الفلكى وابن الفحام المهندس واضع اول ساعة متكلمة ، والمقرى صاحب كتاب نفح الطيب أما أيام الدولة الجزائرية العثمانية فقد نبغ رجال عظماء من محمد بن عمار الجزائري وعيسى بن محمد الثعالبي ، ويحيى بن صالح المليانى وعمر المنقلاى . أما فى أيام فرنسا فقد سجلت بكل فخر أسماء الأمير المجاهد عبد القادر ابن محى الدين وأحمد الشريف المجاهد بقسنطينة ومحمد ابن أبى الشنب ، وعبد الحميد بن باديس محى العربية والإسلام والبشير الإبراهيمى العالم الأديب عضو مجمع اللغة العربية والشاعر الكبير محمد العيد ومفدى زكريا .

والجزائر عاصمة الجمهورية الجزائرية مدينة جميلة تقع داخل جون واسع على البحر المتوسط . تمتد على الساحل وترتفع شيئا فشيئا إلى قمة ربوة ترتفع نحو ١٢٠ مترا حيث توجد قلعة ( القصبة ) والمدينة ذات قسمين مختلفين بصفة ظاهرة : المدينة العربية العتيقة وهي المرتفعة على سفح الربوة وبين منحدرات طرفها الظيفة نجد الديار العديدة ذات الطابع الأندلسى ؟ والعثمانى وكلها مبنى على نمط واحد بهيج ، يشرف أكثرها على البحر ثم المدينة الأوربية التى بنيت

اتقاض المدينة العربية العثمانية التي كانت على الساحل البحري ، وكانت تشمل أجمل المساجد وأبهى الدور العربية ومقر الإدارات العثمانية المختلفة . فبعد احتلال فرنسا لهذه المدينة ( يوليو ١٨٣٠ ) حطم المستعمرون كامل الشريط الساحلي وأتلفوا ما فيه من مساجد ( ١٠١ ) ومن حدائق وقصور ، وبنوا على أنقاضها مدينة أوربية كاملة ، وللمدينة مرفأ كبير كان في قديم الزمان مجموعة من عشرين جزيرة ، جمع بينها القائد العثماني الشهير خير الدين باشا سنة ١٥٢٠ بواسطة سدود ، فأصبحت مأوى للأسطول بحري من أشهر أساطيل القرصان الذين لعبوا دورا خطيرا في البحر المتوسط فيما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر ميلادي ووسع ذلك المرسى الذي لا يبعد عن مرسيليا إلا مسافة ٨٠٠ كيلو مترا ، حتى أصبح من أهم وأعظم مراسي الخوض الغربي بالبحر المتوسط .

تاريخها = أسس العرب الكنعانيون ( الفنيقيون ) هذه البادية حوالي ١٠٠٠ سنة ق . م فأصبحت من أهم مراكزهم التجارية التي أسسوها على ساحل البحر المتوسط وكان اسمها يومئذ ( أقسوم ) ثم استولى عليها الرومانيون بعد تحطيم قرطاجنة ثم تولى أمرها كل الفاتحين من بعدهم ( انظر قسم الجزائر الجمهورية ) إلى أن تولى العرب المسلمون أمرها وتداولت عليها دولهم ، وقد خربتها الأعمال الحربية المتوالية

وأهملت . فأعاد الأمير الحمادي الشهير بولكين ابن زيري بناءها حوالي سنة ٩٨٠ م : وأصبحت ماء هولة بقبيلة « بني مزغنة » الأمازيغية ثم استقر حولها الأعراب من بني هلال وخاصة من الشعابة الذين دخلوها وتاءلفوا مع سكانها وفي سنة ١٥١٦ جاءها القائدان العثمانيان عروج وخير الدين في أسطولهما القرصاني وأبعد عنها الخطر الأسباني الذي ضيق عليها الخناق . واتخذها منها عاصمة للدولة الإسلامية الجديدة التي تدعى ( دولة الجزائر ) محتمية بالخلافة العثمانية في استامبول .

أخذت المدينة تنمو وتستقر بها الأوضاع منذ تلك السنة وتوالت عليها الحملات الأسبانية القوية برا وبحرا فقهرها الجزائريون وحطموها جميعا ، سنوات ١٥١٦ - ١٥١٩ - ١٥٤١ حيث حطموا كامل أسطول وجند الملك شر لكان وتوطدت أركان الحكم الإسلامي العثماني مدة تزيد عن ٣٢٠ سنة ، إلى أن احتلها الحند الفرنسي يوم ٥ يوليو ١٨٣٠ بعد معركة رهيبة واتفاقية أبرمت من أجل تسليم المدينة ، ولكن الفرنسيين أهملوها وعملوا على نقيضها .

أصبحت مدينة الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي مدينة كبيرة ارتكزت فيها الإدارات العامة والولاية العامة ، وكانت محط رجال الاستعمار ومركز المعاملات التجارية والتبادل الاقتصادي وأصبح

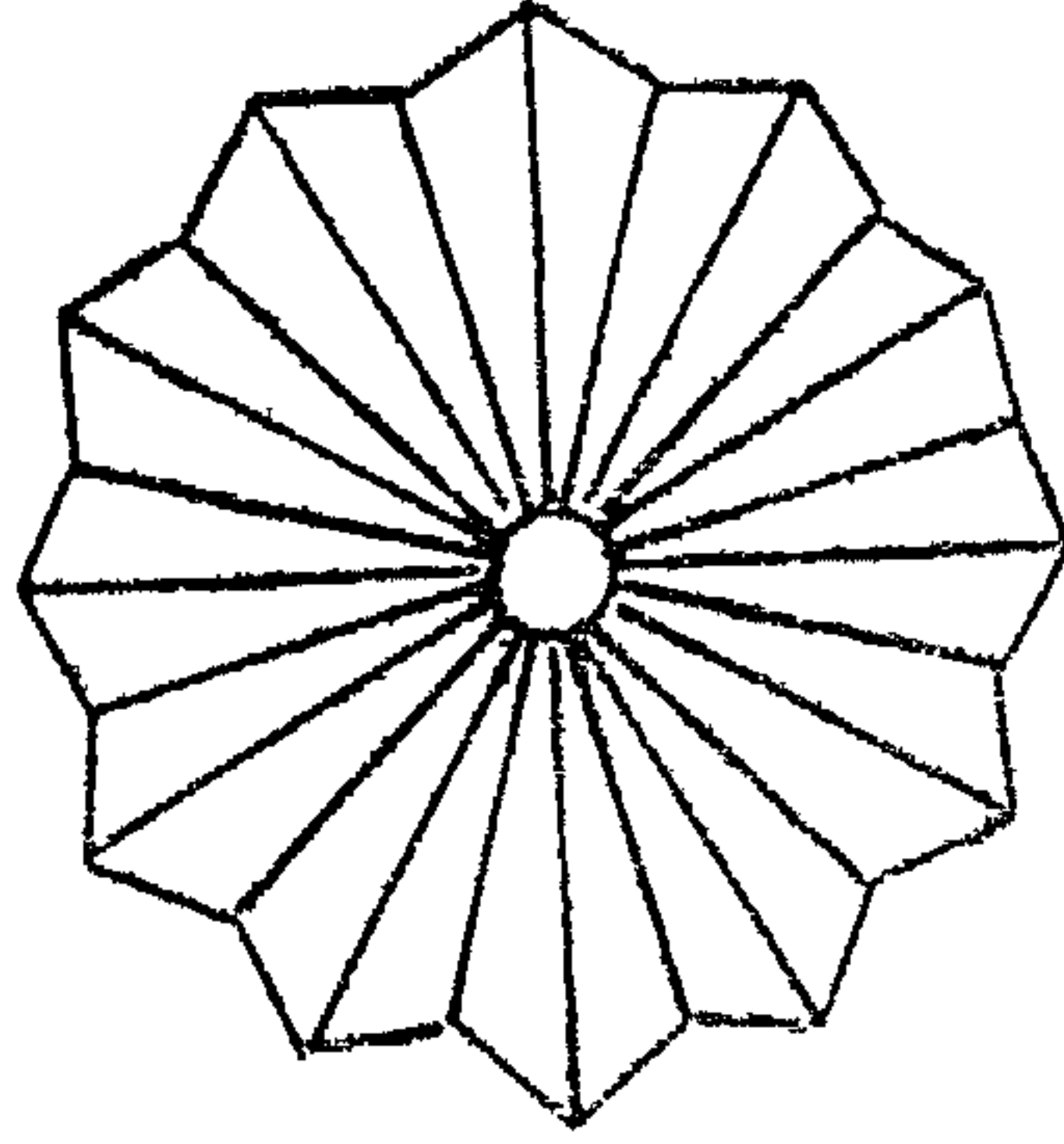
سكانها يومئذ يبلغون ٦٠٠٠٠٠ منهم ١٥٠٠٠٠ فقط من أهل البلاد :

وهكذا إلى أن أعلنت الحرب التحريرية العظمى يوم ١ نوفمبر ١٩٥٤ فاشتركت مدينة الجزائر اشتراكا فعالا في حوادث تلك الثورة العارمة ، إلى أن أيقنت فرنسا بأن انتعنت لا يجسديها نفعا وكثرت خسائرها ، وسقطت حكوماتها ، فاعترفت للقطر الجزائري بحق تقرير المصير ، وأعلن الاستقلال باجماع الأصوات أواخر سنة ١٩٦٢ يومئذ تأسست بمدينة الجزائر حكومة وطنية من رجال جبهة التحرير وجيش التحرير وأخذت الجزائر عامة تسيه في ميدان التقدم العلمي والاجتماعي

والاقتصادي ، واستقرت ، على إنقراض النظام الاستعماري إدارة وطنية صرفة عملت بجد وإخلاص لإصلاح ما أفسده الاستعمار كما استقرت بها الشركات الوطنية الكبرى التي تدير اقتصاد البلاد الذي ينمو ويستقر بصفة مستمرة .

أما السكان فقد أصبحوا اليوم نحواً من ٢٧٥٠٠٠٠ كما هم جزائرين وقد غصت بهم المدينة القديمة ، وضائق بهم العمارات التي لا يكاد يحصيها عدد ، والتي أنشأتها حكومة الاستقلال .

أحمد توفيق المدني  
عضو المجمع من الجزائر



# أصحاب اللسانيين

## للدكتور حسين مجيب المصري

وحدة فلما أصبحوا من أهل لا إله إلا الله تألفت ثقافتهم وإن تخالفت لغاتهم وتساندت ألسنتهم في التعبير تبعاً لتشاكلهم وتقاربهم في الشعور والتفكير . ولا غرو فإن وحدة القصيدة مترتبة عليها بالجمع وحدة الثقافة وهي التي أدمع عليها كل ما خفق في القلوب وانتقام في العقول والأفهام ومن حيث مست الحاجة في كل شعور وتفكير إلى إبانة عنه وتفسير له ، كان التراث الإسلامي متكامل العناصر متشاكل ، وهي عناصر ما من صليل إلى فصل أحدها عن الآخر — فبينهما ندبة لاضدية — أما اختلاف لغات ذلك التراث فتعلق بالمظهر غير متصل بالجوهر .. وما ذاك إلا لأن المعنى يلبس اللفظ ثوباً ومن اكتسب ثوباً عوضاً من ثوب تبدلت بزته رأى العين وما تبدلت حقيقة في واقع الحال .

ونستخلص من هذا كله أن من بلغاء وعلماء الفرس من اتخذوا لهم لسانين هما والفارسية والعربية ولذلك امتازوا بتلك التسمية من غيرهم الذين لم يقدموا إلى تراث

من غير شك أن الفرس بعد إذ تعربوا بلغوا كل مبلغ في امتلاك ناصية العربية وكل ما هو متصل بسبب منها ، ولقد ترددت على ألسن فصحاءهم كما مجرت على شبة أقلام بلغائهم ولمائهم ولا نسيان على طول الزمان لما أوروثوا التراث العربي من بدائع وروائع .

وبالذكر جدير أن نعتمد الوصلة بين الفرس والعرب متوضح في مظهر لغوي بالتراث هو التقاء بين العربية والفارسية جميعاً لدى بعض الفرس لغتين في كفتي ميزان تراجمان وبهذا نظموا على الأنخص شعرهم ودبجوا نثرهم وأصدروا التأليف والتصانيف . ويسرنا قولنا إن مثل تلك الظاهرة تقوم كدليل على أن التراث الإسلامي في شتى نواحيه إنما تتوزعه أكثر من لغة فما كان حكراً على لغة الضاد ليس إلا . وفي ذلك ما يرشد إلى ما كان لدين الله ولغة كتابه المبين من جليل القدر وعظيم الخطر وكبير الفضل على أجيال من الناس وأجيال جدهم من الدين جامعة وانتظمهم

المساحين مزيدا وجديدا إلا بلغتهم الفارسية  
وفرق بين صاحب قدرة وصاحب قدرتين  
وليس سواء شيء وضعفه .

وهذا الملحظ يتأيد ويتأكد بخاصة فيما يتعلق  
بشأن صاحب اللسانين وماذا لك إلا لأنه ملحوظ  
جلي لا مجال للريب فيه .

أما إذا كان من الخير أن نسوق الكلام  
على وجه التحديد وتطلق الحكم في شمول  
وعموم ، فلنا أن نشير إلى أن أصحاب اللسانين  
من الفرس لا يشكلون كثرة بل قلة في نطاق  
الإمكان حصرها وهي من قبيل تلك القلة  
التي للجها بذة الأعلام وصفوة أهل التحصيل  
الذين برزوا على غيرهم واوتوا من العلم ما  
لم يوث سواهم إلا في الندرة . كما أن هؤلاء  
تظهر لهم نصوصيتهم المرموق من قدرتهم  
الأمر طويل زمان على فتح العرب لفارس  
وقامت الفارسية على ساق ولها مكتمل من  
كيانها وأهلها معززون بها ذهابا منهم  
إلى اعتزازهم بقومييتهم الفارسية التي ردت  
عليهم بعد أن محققا العرب أو كادوا . ومن ثم  
يستبين فصل صاحب اللسانين الذي يقتدر  
على التعبير بلغة الضاد التي لم تعد بلغة الفرس  
مالهم لغة سواها . على نحو ما ينطلق تعبيره  
بلسانه الفارسي الذي أصبح قومه كافة . فما  
كان عليه بأس إذا ما عالج من ذلك ما عالج  
وقد امتلأ فخرا ، لأنه إنما شق على نفسه  
بمزاولة مطلب صعب وركوب مركب وعمر .

ولكن بين أصحاب اللسانين تفاضل  
وتفاوت ، فمنهم من كانت إحدى اللغتين  
أوفى نصيباً من اهتمامه من اللغة الأخرى  
فأكثر من تأليفه بالفارسية مثلاً ، وذلك يطرد  
عكسا . كما لا يخفى أن إجادته فيها ليست  
على قدر متساو .

وأول تحقيق بالذكر من هؤلاء الأمير  
قابوس بن وشمكير الزيادي المتوفى عام  
٤٠٣ هـ وهو من الملوك الأدباء وصاحب  
هذه الأبيات المأثورة :

قيل للذي بصروف الدهر عيرنا  
هل حارب الدهر إلا من له خطر  
أما ترى البحر تعلو فوقه جيف  
وتستقر بأقصى قاعه الدرر .  
فإن تكن نشبت أيدي الزمان بنا  
ونالنا من تهادى بؤسه الضرر  
ففي السماء نجوم مالها عـدد  
وليس يكسف إلا الشمس والقمر

وكان يقول الشعر بالعربية والفارسية  
ولقد ثقلت عليه العلة وناكرته حروف  
الزمان إلا أنه كان منقطع القرين في علو  
همته وكرمه وأدبه وله في النثر العربي روائع  
ورسائله من البلاغة في رتبة رسائل بلغاء العرب<sup>(١)</sup> .

بيد أننا لا نعرف له في لغة الفرس نثرا  
فنيا ولا شعرا مطرباً معجبا وله أبيات يقول  
فيها .

(١) آشتياني : قابوس وشمكيرزيادي ص ١٣ (برلين ١٣٤٣)

(إن أمر الدنيا كله رغبات وحاجات أنا لست أشغل القلب بما يحتاج ويرغب ولقد اخترت عشرين شيئاً من هذه الدنيا كلها ، كما أقضى بها الحياة بطولها — الشعر والغناء والحسنة ، وما طاب لي من صهباء ، والشطرنج والنرد ، والمصايد والبازي والفهد ، والميدان والحضرة والملاحم والكرة والملاحم والولائم والفرس والسلاح والسخاء، والصلاة والدعاء)<sup>(١)</sup>

فيذا ضاهينا هذا المثال — من شعره الفارسي بما أوردنا من شعره العربي ، تبين لنا ما بين المثالين من تخالف . وأدركنا في يقين أن قابوس بن وشمكير صاحب اللسانين قال في العربية شعراً مستقيماً المنهج شرق المعاني يرى على اللسان للتمثل بحكمة وبلاغة ، أما في الفارسية فلا يستدل من شعره على أنه شاعر رفيع الطبقة لطيف التخيل . وما قيل من أن له الروائع في النثر العربي بخاصة ، يقيم الدليل على ما نذهب إليه من أنه في عداد أعيان البيان ولكن في لغة العرب لا لغة الفرس .

ولنا لنذكر بقابوس بديع الزمان الهمداني لما بينهما من وجوه شبه . فبديع الزمان من فاضت له الشهرة في الآفاق بمقاماته التي راقت ديباجتها ونمقت عبارتها : ونثره يفضل

شعره . وكان يرغب إليه أن يترجم الشعر الفارسي غريب المعنى إلى شعر عربي . فيجمع في ترجمته بين الإسراع والإبداع إلى عجائب كثيرة لا تحصر<sup>(٢)</sup> .

واتفق للصاحب بن عباد أن أراد امتحانه — معجزاً له — فاقترح عليه ترجمة أبيات من الشعر الفارسي إلى شعر عربي . وبلغ بديع الزمان من اقتناعه بعظم قدرته على أداء ما طلب إليه على الوجه الأكمل أن يختار أصعب القوافي والبحور وأن يترجم على البليهة ، وكأنما امتلاً زهوا وعول على مواجهة المتحدى بأيسر جهد والإشارة ضمناً إلى أنه ما لها إلا هو .

وإن دل ذلك على شيء فدلالة على اتساع باعه في لغة الضاد . ولا غرو فإنه من البلغاء المشاهير ولا ريب ، أما ما فيه بعض الريب فكونه صاحب فصاحة وإبانة في الفارسية لأن ذلك مالا نعرفه عنه ولا نعهده فيه .

ومادام الشيء بالشيء يذكر ، فهذا فارسي آخر من أصحاب اللسانين يسمى ابن أبي كوبة ثوبة ، (قيل إن أحد الندماء في مجلس شرابه أنشد بيتين من شعر أبي نواس ، فتأمل ساعة ثم ترجمه إلى شعر فارسي ترجمة عناية في دقها وجودتها)<sup>(٣)</sup> .

من بيش دل بيش آزونيازرا  
تاهم بدان كزارم درازرا

(١) كارجهان سرار ازاست يانياز  
من بيت جيزرا بجهان بر كزيده ام  
شعر وسرود ورود وفي خوشكواررا

ميدان وكوي وباركه ورزم وبزمرا شطرنج ونرد وصيدكه وبوزويازرا  
اسب وسلاح وجود ودما ونمازرا

(٢) الثعالبي : يتيمة الدهر . ص ٣٤١ ج ٤ (القاهرة ١٩٣٤)

(٣) عوفي ، لباب الألباب ص ٧٦ ج ١ (لندن ١٩٠٩)

وجملة ما يقال في هذا الصدد أن ابن أبي توبة كان راسخ القدم في علمه باللغتين . فهو من أصحابهما . ومن أهل القرن الرابع الهجري أبو الفتح البستي الذي ينسب إليه محمد عوفى صاحب لباب الألباب ديوانا من الشعر العربي وآخر من الشعر الفارسي ، ويخصه الثعالبي في يتيمة بسبع وعشرين صفحة يورد فيها الأمثلة من نظمه ونثره إلا أنه لا ينسب إليه ديوانا من الشعر الفارسي . وفي هذا أخباره أنه ترجم عن الفارسية إلى العربية شعرا . وبما أننا لم نطلع على شعره الفارسي ، لا يتيسر لنا معرفة الراجح من الرجوح المرجوح من شعره في اللغتين ، وإن كنا أميل إلى أرجحية شعره ونثره في العربية وذلك لئلا في أدب العرب لا في أدب الفرس .

كما قيل أن ابن أبي عباس الأسفرايين وزير السلطان محمود الغزنوي كان يترجم الشعر العربي إلى شعر فارسي . مما يستدل منه على أن كثيرا من الفرس ألفوا الترجمة المنظومة إلا أن هذا إنما كان رياءمة ، ورغبة في التباهي بعلو كعبهم في اللغتين جميعا . وهنا نتحفظ في الحكم لنقول أن هؤلاء المترجمين إذا اقتصروا على الترجمة وحدها وعلى نحو محدود فهم من أصحاب اللسانين ولكن لا يبلغون مبلغ غيرهم ممن نظموا ونثروا وألفوا في اللسانين جميعا .

ويأتى الترتيب بعد ذلك على ذكر عمر الخيام ، من حيث كونه شاعرا ذاعت شهرته برباعياته الفارسية ولما كاد يعرف بأنه محدود في أصحاب اللسانين . لقد اشتهر بشعره الفارسي لا العربي وأصبحت الترجمة الإنجليزية لرباعياته ضمن روائع الأدب الإنجليزي وهي أكثر تداولاً عند قراء الإنجليزية ولا يضاهيها إلا روائع شكسبير (١) .

وقيل إن الخيام يربط بين الشعر الفارسي والعربي في تصورنا أبياتا في لزوميات أبي العلاء تذكرنا بأشعار الخيام (٢) .

وهذا رأى لا نميل إلى الأخذ به لما فيه من تحكم وتجاو عن حقيقة الأمر وليس يكفي أن يتفق الشاعران على أن أديم الأرض من هذه الأجساد للحكم بأن الشعر العربي والفارسي ملتقيان في قولهما .

أما ما نلاحظه على شعر الخيام العربي بالخاصة ، فهو اختلاف غرضه فيه كلية عن غرضه في شعره الفارسي لأنه التماثل :

تدين لي الدنيا بل السبعة العلى  
بل الأفق الأعلى إذا جاش خاطري  
أصوم عن الفحشاء جهرا وخفية  
عفا وإفطاري بتقديس فاطري  
وكل عصابة نلت عن الحق واهتدت  
بطرق الهدى من فيض المتقاطر  
فإن صراطي المستقيم بصائر  
نصب على وادي العمى كالقناطر

(١) د . حسين مجيب المصري : من أدب الفرس والترك ص ١٩ ( القاهرة من ١٩ )

2. weir : Dmarkhoyyam tee poar pll lfahore 1954i.

ولإذا تدبرنا هذا الشعر مبنى ومعنى ،  
 ألفيناه مهلهل النظم تعوزه استقامة العبارة  
 وسلامتها ، ويرشد إلى أن قائله نازل عن  
 رتبة المجيدين وهو ذاهب بنفسه إلى أبعد  
 الغايات . وباليته كان سمح القريحة ، فالتقد  
 جهد أن يتألق غير أنه لم يوفق . ولكن الخيام  
 قبل هذا من قوله مورد على الخاطر أنه  
 في شعره العربي مناقض "معاند" لنفسه  
 في شعره الفارسي الذي ذهب الدارسون  
 مذاهب شتى في التعرف على حقيقة غرضه .  
 ونحن نتخذ من شعره العربي هذا على ضعفه  
 وركته ما نؤيد به رأينا في الرجل ورباعياته .  
 فالذي عندنا أنه كان عالما تحريرا وسع علمه  
 الأصول والفروع من تفسير وحديث ولغة  
 وطب ونجوم ، ولذلك عرف بحجة الحق ،  
 وقلة الزلفى والحظوة وعلو المنزلة عند السلطان  
 الذي كان يجلبه ويوقره ويجلسه إلى جانبه ،  
 ولا يستقيم في بدائه العقول أن يحمل قوله  
 في الدعوة إلى معاورة الصهباء والتهافت  
 على مفاتن دنيا إلى فناء على الظاهر . فلم  
 يبق إلا أن تكون جمهرة رباعية الفارسية  
 منحولة مدسوسة عليه وهو الأقرب إلى  
 الحقيقة ، أو أنه كان لكلام ظاهر غير  
 مقصود وباطن هو المقصود وما زال اللبس  
 يفتش ذلك المقصود .

ويبدو حكما حلب الدهر أشطرا ،  
 متمردا بجوارب زادته علما ولأعماق السرار  
 فهما ، فهو القائل :

زجيت دهرا طويلا في التماس أخ  
 يرعى ودادى إذا ذو خلة خانا  
 فكلم ألفت وكم أصبت غير أخ  
 وكم تبدلت بالإخوان إخوانا

فكان هذه القلة من الأبيات العربية التي  
 دخل في زمرة أصحاب اللسانين أبدت  
 مارواه أصحاب السير من سيرته كمؤمن  
 موقن تقي نقي . وأعانتنا بالتالي على الاجتهاد  
 بالرأى فيه ، فخرجنا به خروجا بعيدا من  
 طائفة أهل الحجانة والصبوة والملاحدة المارقين  
 قمين بالذكر أن قرنا واحداً هو القرن الخامس  
 الهجري أظل الخيام وشاعرا آخر يسمى  
 مسعود سعد سلمان . وكان مداحا إلا أنه  
 أول من ضمن القصيدة الفارسية خاصا من  
 أحاسيسه وطبعها بطابع من ذاتيته (١) .

ومن أهم ما تميز به سيرته أنه قضى في  
 السجن سنين عددا على غير ذنب مقتضى  
 لسجنه وإنما زجه في غيابه السجن كيد الكائدين  
 وحقد الحاقدين المحتمين ، مما أفرغ على  
 شعره لونا ميزا له مخصوصا به . وهنا  
 يحول في الخاطر ما جال بشأن الخيام وأبي  
 العلاء من رابطة التشابه بين شاعر فارسي  
 وعربي ، وذلك أن مسعود سعد سلمان  
 برز في فن مستطرف هو فن الحبسيات ،  
 وحبسياته تعقد وصلة بينه وبين الشاعر  
 العربي أبي قراس الحمداني صاحب الحبسيات  
 المأثورات .

1. Bousani : Storia Jella Lettaratura dal Fajistan IF 65, (6 (Mlans 1958) .

أما إذا كان مناط اهتمامنا في هذا المقام شعره العربي ، فهذا هو ذا يصدقنا القول في شأنه من يقوله في بيت من الشعر الفارسي ما ترجمته ( ولو اخترتني في العربية والفارسية إنسان — لكنت أنا فارس هذا الميدان <sup>(١)</sup> )

وقد أورد رشيد الدين الوطواط الشواهد من شعره العربي والفارسي في كتابه ( حقائق السحر ) وهو كتاب في البلاغة ، ولكن ناشر ديوانه الفارسي يقول إن جمع شعره العربي بين دفتي ديوان موضع نظر <sup>(٢)</sup> .

ولعل مسعود سعد سليمان بما ذكر عن سعة علمه بالعربية والفارسية يطلعنا كما لم يطلعنا غيره على واقعة الحق ، كما أنه قدم العربية على الفارسية وتاه فيها بتضليله منهما في آن .

أما أن يسوق مؤلف في البلاغة أمثلة من شعره فيها جميعا ، فلن يسقط به الاستدلال على أنه كان ينظم بهما جياذ أشعاره ، مما يلزم منه أن يكون علمه بهما بمقدار واحد ونظمه فيهما بالسوية على الأرجح ومن قوله :

لعل كأن الشمس ضلت مرها  
وليس لها نحو المشارق مرجع  
نظرت إليه والظلام كأنه  
على العين غربان من الجحوق

فقلت لقلبي طال ليلى وليس لي  
من الهم منجاة وفي الصبر منزع  
وفي أخباره ما إذا استقرأناه وتدبرناه  
وجدناه يحمل الدليل على أنه أخلى ذرعه  
للنظم بالعربية وبلغ شأو المشهود لهم بالإجادة  
قليل إنه كانت بينه وبين الحريري صاحب  
المقامات ألفة ومودة مكانا يتراسلان بالشعر ،  
واتفق أن أرسل إلى الحريري أبياتا أثناء  
مقامه في مصر <sup>(٣)</sup> . فرد عليه الحريري بشعر  
يقول فيه :

كلام كنور الربى فاح غضا  
وقد غازلته شآبيب قطر  
وريح الشمال جرت ثم جرت  
على صفحة الأرض أذيال عطر  
ونجم الليالي ونظم الآلى  
ومقبوط عمر ومضبوط أمر

ونحن وإن لم نطلع على ما نظم مسعود من أبيات ، نقطع بأنها عربية فبعيد كل البعد أن يكون قد بعثه إليه الشعر فارسي لاعلم له باللغة ، ولو كان كتب إليه بالفارسية لأجابه بلغته .

فالأدلة تتوافر على أن مسعود سعد سليمان من أصحاب اللسانين الذين شغلوا أنفسهم بالعربية والنظم وعرضوا مافي جعبتهم على

( ١ ) د . حسين مجيب المصري : صلات بين العرب والفرس والترك . ص ١٦٤ ( القاهرة ص ١٩ )

( ٢ ) رشيد ياسمي : ديوان مسعود سلمان . ص س ( نهران ١٣١٨ )

( ٣ ) محمد محمدي : الدراسات الأدبية ص ١٥ عدد ٣ عام ٢ ( بيروت ١٩٦٠ )

أبلغ البلغاء في العربية وكأن لهم رغبة في  
المعارضة والمساجلة .

ويذكر بعده سعدى الشيرازى من أهل  
القرن السابع الهجرى ، ويعاد أكبر وأشهر  
الأخلاقين في الشرق وأكثرهم شعبية<sup>(١)</sup> .

وهو ذلك الحصيف سديد الرأى الساخر  
المتهم في تسامح إذا تناول بالنقد والتجريح  
نقائص ومعايب الإنسانية ، وتلك مزية  
له نكاد نعدمها عند معاصريه . مما يشير فرط  
الإعجاب به<sup>(٢)</sup> .

وسعدى في تراثه الأدبى المنشور والمنظوم  
يمثل البليغ الإسلامى الحق الذى جمع أشتات  
العلوم الإسلامية من أطرافها . وكان العلم  
بلغة الضاد قواما يقوم به كيان ثقافة .  
وحسبنا أن نشير أنه قضى شطرا من عمره  
يحصل العلم في المدرسة النظامية ببغداد ،  
ومن هذا شأنه يجدر به أن تكون العلاقة بينه  
وبين العرب ولغتهم أقوى منها لدى سواه  
ممن لم يعيشوا بين ظهرانى العرب .

وفي كلياته قسم عنوانه (قصائد عربية) .  
وهذا العنوان دال على كثير ، لأنه يؤكد  
أن صاحب تلك الكليات أو مجموعة أخرج  
صاحبها من تأليف تتضمن قسما قائما برأسه  
لما توفر الشاعر على نظمه من شعر عربى إلى  
جانب ما نظم من شعر فارسى وكتب من

نثر فى . وذلك مايتبوأ به سعدى رفيعا من  
منزلة بين أصحاب اللسانين .

وعند بعض العلماء أن سعدى نظم بعض  
أشعاره العربية بالضرورة وهو مقيم في  
بغداد<sup>(٣)</sup> ونحن نتلقى هذا الرأى على أنه بجائز  
عقلا ، وإن كنا لانستطيع الحكم بأرجحيته  
لحلوا اليد من حجة تؤيده . وأياما كان فهو  
مؤكد أن الشاعر عاش في بيئة عربية ،  
وذلك مايدنوبه ويدنو من شعر العرب وقد  
يتأتى له به أن يكون أقدر على نظم الشعر  
العربى من فارسى سواه لم يعيش العرب في  
أرضهم ، وبالتالي تبرز فيه صفات ذى  
اللسانين على نحو ليس لغيره .

وأول ما نلتفت إليه من الشعر العربى  
قصيدة طويلة يتوجع فيها لما حاق ببغداد  
من خراب واندثار . لمعالم حضارة الإسلام  
فيها بعد غزو التتار لها فشأن الريح الهوجاء  
في عصفها وقصفها .

وهذه القصيدة من اثنين وتسعين بيتا ،  
ولاتماسك في وحدة ، وسعدى متنقل فيها  
من غرض إلى غرض لكثرة مايتوارد عليه  
من معان ، ففي ديباجتها يعبر عن كوامن  
الشجن في نفسه ويبدأ مرير الأسف  
على ما حاق بحاضرة الإسلام التى سواها العتاة  
الطغاة بالأرض هدماء ، وانها لوا على الأسفار

1 - Horn . Geschichte pessischen litteratur. 2168 (Leipzig 1901).

2 - B arlior de Meynard . le Booton . P 26 (Paris 1880)

3 - Massu Essai aur le Poète Soodi R 21 (Poris 1919)

تمزيقاً وتحريقاً ووضعوا السيف في أهل العلم والفضل إلى غير ذلك من قائم ومحارم :  
والحق أن سعدى جعل من قصيدته وثيقة تاريخية لها عظيم من الأهمية إلى إنطاقها لساناً لكل مسلم في قاصية الشرق وقاصية الغرب في قلبه مثل حز الجسام من لوعة الأسى :

حببت بحفى المدامع لا تجرى  
فلما طغى الماء استطال على السكر  
نسيم صبا بغداد بعد خرابها  
تمنيت لو كانت تمر على قبري  
لرمت اضطباري حين كنت منازلها  
وهذا فرات لا يعالج بالصبر  
أديرت كؤوس الموت حتى كأنه  
رؤوس الأسارى قدر جحن من السكر

بكت جدر المستنصرية تلبية  
على العلماء الراشدين ذوى الحجز  
نواثب دهر ليتنى مت قبلها  
ولم أر بعدوان السفينة على البحر

مخاير تبكى بعدهم بسوادها  
وبعض قلوب الناس أحلك من حبر  
مررت بصم الراسيات أجوبها  
كخساة من فرط البكاء على صنخر

ويبسط القول في وصف البكاء وشدة  
الجزع لوقوع البلاء إلى أن يطرق غرضاً  
آخر هو الأسف على أن السلطان هلك عن  
العباسيين ، وقد ذهب ريحهم بعد ما كان من

شؤدهم واتساع ملكهم ، ويفضى ، ذلك إلى التوجع للخليفة المستعصم آخر خلفائهم فتذكره الرقة له ويشبهه بالأئمة في عصمته واستشهاده وتتأذى نفسه بالألا يذكر على المنابر .

إلا أنه يغلب على تصبره وتجلده فبعد أن حدثنا ما شاء الله أن يحدثنا عن سقوط الخلافة ونكبة الخليفة مشيها في ذلك من يؤرخ الحقائق ويعرف بمصائر أمور الدول سرعان ما يعود إلى التعبير عما يكرب نفسه ويمضها حين يتصدى لوصف السبيل وهن يسقن سافرات ذليلات ذليلات ، ويأتمنى يرمز لتحقيرهن بعدما كان من توقيرهن .  
وبذلك ضمنا إلى ما حاق بالمسلمين من ذل وهوان بعد أن غلبوا ونكبوا : ثم يجرى على ما يجرى عليه شعراء الفرس خصوصاً من قول في الحكمة والموعظة . وبذل النصيحة ، كأن يغلب الأئمة على الشامت المعير بالدهر والأيام دول والزمان ذو غير .

ولسعدى قصيدة فارسية في الغراض لنفسه ، تفرق عن القصيدة بوصف نكبة المسلمين بسقوط خلافة أمير المؤمنين في تفصيل بيان وتحديد حقائق ، وبذلك تتكامل القصيدتان فيما تتضمنان من معان وأغراض ، وقلة فسعدى الشيرازى صاحب اللسانين بهاتين القصيدتين يبدو بجانبين متماثلين متوازيين يتسقان في لغتين .

ولكن سعدى مع ما عرفنا من جدية  
توفره على نظم الشعر العربى . لم يعرج  
فى سماء شهرته إلا بماله فى الفارسية من  
منظوم ومنثور . ومثل تلك الظاهرة تتجلى  
على نحو أوضح لدى الشاعر حافظ الشيرازى  
من أهل القرن الثامن الهجرى الذى تجتمع  
الكلمة فى المشارق والمغرب على أنه شاعر  
الفارسية الرقيق الأنيق ..

وهذا مستشرق روسى لا يعزو شهرته  
بشاعريته إلى الخارق من قدرته على التصوير  
والتخيل ، بل إلى نزعة الغلبة إلى غنائيه (١).

وإن كنا أميل إلى القول بأن رقة معانيه  
ودقتها وجمال عبارته وأناقته التى رفعت  
بين شعراء الفرس من منزلة ووهبته ماله  
من حيثية .

ولحافظ شعر عربى ، إلا أنه ليس فى  
مجموعة كما هو الشأن فى شعر سعدى  
العربى ، وشعره متفرق فى مواضع من  
شعره الفارسى ، فتارة يورد شطرا  
بالعربية مقابل شطر بالفارسية وهذا مألوف  
عند شعراء الفرس كافة ومعروف بالتلميع  
وأصل التلميع أن تكون فى جسم الفرس  
مواضع من لون يخالف لون جسمه ، فكان  
مصطلح التلميع على التشبيه . كما يورد  
بيتا أو أبياتا فى أول شعره أو نهايته . وقد  
يتتالى البيتان فى موضعين ونورد له أربعة

أبيات متعاقبة لنتبين فيها خصائص شعره  
العربى :

ربيع العمر فى مرعى حُمَايَه  
حماك - الله - ياعهد - التلاقى  
مضت فرض الوصال وما شعرنا -  
وإنى الآن فى عين الفراق  
نهانى الشيب عن وصل العذارى  
سوى تقبيل - وجه - واعتناق

دموعى بعدكم .. لا تحقروها  
فكنم نحر جمعن من السواقى

فهذا شعر عربى لأماء فيه ولا رواء وهو  
بأدى العجمة والركة . وإذا تحصل معنى من  
البيت الرابع فقد عجز اللفظ عن أدائه .  
وفرق أى فرق بين حافظ فى شعره الفارسى  
وشعره العربى .

ولما كان المتوقع منه أن يقول شعرا عربيا  
على هذه الصفة ، وهو الذى قيل عنه فى  
شعره الفارسى إنه مبدع فى تعبيره وجمان  
ألفاظه . وقد تهيأ له بذلك أن يتخذ لنفسه  
على حدة ، تجمع بين الجزالة والسلامة  
والحزن والطرب ، كما أن تغاير المعانى فى  
كلامه مما يشهد له بهزاعة منقطع نظيرها (٢) .  
والله حصل ما سلف تذكره عن شعراء  
أصحاب اللسانين ، أن شعرهم العربى  
كان على تفاوت فى جودته ، ومنهم من نظم

1. Braginski : Khaafiz. Sti. 27 (Moskva 1950)

(٢) على دشتى : نقشى از حافظ . ص ١١٣ (تهران ١٣٣٩)

بالعربية رياضة وتكالفا للصنعة كما أنهم لم يكونوا جميعا على نحو واحد في اهتمامهم بالنظم في لغة الضاد ،

وإذا ما عرجنا على شعراء الترك ألفينا مثل تلك الظاهرة الأدبية لديهم مع فوارق تمس الحاجة فيها إلى فضل إيضاح .

وأول ما نحن ذاكرون في هذا الصدد . أن الترك كانوا أضعف من الفرس صلة بلغة العرب ، فما خالطوا العرب وعاشوهم بهم كما كان من شأن الفرس وإنما عرفوا لغتهم لغة القرآن والحديث والشرع والعلم ، وما أولوها جانبا كبيرا من عنايتهم من حيث كونها لغة للأدب . وما ذاك إلا لأنهم ورثوا حضارة الفرس في كل مظاهرها ، وتأثرت لغتهم بلغة الفرس في الأعماق والأبعاد، ونظروا إلى الفارسي مثالا يحتذى . وذلك ما فرضه واقع تاريخهم وحقيقة وضعهم . وكانت الفارسية لدى بلغائهم هي لغة الثقافة والأدب العالي ، وما كان لأديب الترك وعالمهم غنية عن العلم بالعربية والفارسية ، ولكن على أن الأولى لغة دين وعلم والأخرى لغة أب وشعر .

وترتب على ذلك أن ظهرت في تاريخ الأدب التركي ظاهرة أصحاب اللسانين

أو الثلاثة ولكن بكيفية ونوعية تأليف مع ما عرفنا عنه الفرس وتختلف عنها .

ونبدأ بالتعرف إلى شعراء الترك وإقبالهم على النظم بالعربية ، كما أن بلغاء الترك لم يحددوا أن يكون للعرب شعر غاية في روعته . فيها هوذا شاعر تركي يسمى ( نابي ) كانت وفاته عام ١٧١٢ يوجه الخطاب إلى والده ناصحا وهو يقول ( ما أكثر أشعار العرب وهي التي قيلت في الشام وحلب . لا تقل أنها من الأوزان مجردة ، فإن لها أوزانها على حدة وعامرة بالمعاني الراقصة ، وما أشبهها بالمشعل اللماع ، يلقي الشرر في الأسماح ، ويالهذا المطرب المعجب ، الذي يجلو مرآة القلب<sup>(١)</sup> .

فيؤخذ من مثل هذا القول اقتناعه الجازم بما للعرب من جياذ الأشعار إلا أن تلك الحقيقة السافرة لم تحرك إلا القليل من همم شعراء الترك إلى النظم بالعربية ، وفي نظرنا أن عمدة السبب في ذلك هو انصرافهم إلى شعر الفرس انصرافا تاما حرفهم عن شعر العرب وهو في لغة أصعب عليهم تعلمها من لغة الفرس فما نظم في العربية إلا من اكتملت أدواته وغزرت معرفته وهم قلال .

نرده ما يدعى شام وحلبه  
أنك أوزانلري ديكركون در  
مشعل أساد وكر اسعاه شرر  
كه قومز أنينة دلده عبار

(١) شعري جوقدر شعراى عربك  
ديمه ابيائه فاو دون ور  
نيجه معنا لري وار رقص آور  
وارا سچنده نيجه أشعار كثار

وأول ما نعرف من شعراء الترك الذين نظموا شعرا عربيا القاضى برهان الدين المتوفى عام ١٣٩٨ م .

وله كذلك شعري الفارسية، وذلك ما يرفعه إلى منزلة الشاعر التركي بالمفهوم الحق عند قدماء الترك لأن الشاعر في عرفهم كان من أحاط علما بأصول العلوم وفروعها وعرف لغات الأدب الإسلامى الثلاث وهى العربية والفارسية والتركية . أما أن يقتدر على النظم فى لغة القرآن فهذا فضل كبير له وغاية لا يبلغها إلا نواحى الخواص أهل العلم والأدب .

وفى الشطر الأول من القرن الخامس عشر الميلادى نظم شاعر تركى يسمى يازنجى أوغلى محمد منظومة بالعربية عنوانها (مغارب الزمان)، وقد استقى مادتها من تفاسير القرآن والحديث وكتب المتصوفة وأفواه العلماء والحكماء حتى قيل إنها احتوت اثنى عشر علما. ولما أن ندرك من نظمه لها بالعربية أن العربية كانت عند الترك آنئذ لغة العلم بخاصة والشاعر إنما نظم فى أفانين العلم . وترجمها إلى التركية نثرا أخ للشاعر اسمه أحمد وسماها أنوار العاشقين كما يتيسر فهمها والانتفاع بها على النطاق الأوسع .

وتنسب إلى السلطان سليم الأول أبيات من الشعر العربى وهى معدودات لا ترقى

به إلى مرتبة الناضجين بالعربية من شعراء الترك . وإن كان له ديوان من الشعر الفارسى ينطوى على الجيد الرائق .

ويذكر بعده فضولى البغادى أمير الشعر التركى القديم الذى يحدثنا من شعره العربى فيقول فى مقدمة ديوانه التركى أنه نظم الأراجيز العربية<sup>(١)</sup> كما يذكر فى مقدمة ديوانه الفارسى أنه أطرب فصحاء العرب بشعره العربى<sup>(٢)</sup> .

وله ديوان من الشعر العربى ، ويقول بعضهم إن ديوانه العربى يتألف من ثلاثين ألف بيت من الشعر<sup>(٣)</sup> ومنذ خمسة عشر عاما أو ما يقرب ، أتيح لى الاطلاع على كتاب بعنوان الاعتقاد والقصائد العربية لفضولى الذى نشره حميد آراسلى الأستاذ بجامعة باكو الروسية . وبذلك أصبح فى الإمكان النظر فى شعره العربى فى مجموعة إضافية إلى ما تفرق منه فى ديوانه التركية بيتا أو بيتين .

من مثل قوله فيما يعرف فى الشعر التركى بالمنعت وهو مدح النبى صلى الله عليه وسلم وذكر صفاته :

أثنى على خير الأنام محمد  
كشف الدجى بضياء بدرجماله

بثنائه رفعت مدارح قدرنا  
نخصت تحيئنا عليه وآله

(١) فضولى : كليات فضولى . ص ٩ ( استانبول ١٣١٥ )

(٢) فضولى ديوان فضولى . ( مخطوطة بمكتبة جامعة استانبول رقم ٨٣٣ فارسى )

(٣) برسومه لى ظاهرة عثمانلى مؤلفا ص ١٣٦٠ يكنجى جلد ( استانبول ١٣٣٨ )

وهذا الشعر ذكرنا بشعر تلك المنظومات .  
التي تعرف بالواحدة منها بالمولد وهي لشعراء  
مغمورين ومنها التعبير عن شعور المؤمنين  
نحو خير الأنبياء والمرسلين .

ويقول فضولى في فن من فنون الشعر  
للفرس والترك الف به ، فما يكاد ديوان  
من دواوينهم يخلو منه ، وهم يطرقون هذا  
الفن في الصفحات الأولى على أنه تمهيد وديباجة :

يامن بسط الأرض وأجرى الأفلاك  
إدراك كماله كمال الإدراك  
في الأرض والسماء لأرب سواك  
ما نعيد يا واحد إلا إياك

وهذا النمط من الشعر هو المعروف في  
الفارسية بالدوبيت بمعنى البيتين وللفرس  
ولوع به وإيثار له على جميع أنماط  
الشعر ، وذلك لأنهم يعدونهم النمط الفارسي  
الخاص بهم ، وما عداه إنما هو مستعار من  
العرب ، وأخذوه الترك عنهم ونظموا فيه  
للتعبير عن أغراض بغيرها وهي التي يراد  
فيها الإبانة عن دقائق المعاني ، وعرض فكرة  
بعضها في إطار يحددها ، فالشاعر في بيتين  
اثنتين يجد نفسه ضرورة تحديد المعنى وتوضيحه  
بحيث لا يخرج من أبشطر أربعة .

ومن قول فضولى :

شربت رحيقان إناء محبة

ولاعدت أدرى ما الإناء ومن أنا

هويت حبيباً قد سما الغصن قامة

ووجها يفوق اليندر في أفق السما

مفصل إجمال الكمال جماله .

منزه حشّن عن سنوية ماسوى

هوى حيه المحراب شبه حظيرة

بلحس المصلى والإجابة للدعا

سعت بطول العمر حول حريمه

فما زاد من سعى سوى ثمر الحفا

فثل هذا الشعر لا يثبت على النقد ما فيه  
من ضعف وركّة ، والعجّة تتجلى في  
ألفاظ تنبى عن مواضعها ، وغيب الثقافية  
لا يشهد للشاعر إلا بقلّة البضاعة ، ويثقل  
على أنه لا يصدر في قول الشعر العربي عما  
ينبغي لشاعر العرب أن يصدر عنه .

أما إن كان الحكم على شعر فضولى -  
العرب يقتضينا الطوينى لأن التزر اليسير منه  
بين يدينا فإن القليل دليل على الكثير - كما أن  
الشاعر عاش في عصر تردى فيه الشعر العربي  
خصوصاً في الخفيض والشعر في الدرك  
الأسفل مما تعرف شاعراً عربياً في زمانه وبيئته  
قال خيراً بما قال . وليسفح له أنه نظم في  
الفارسية شعراً يفضل شعر الفرس من  
المجيدين ، إلى جانب ما نظم في لغته من  
بدائع كان له بها إمارة الشعر التركي  
القديم .

وللكلام أن يدور بعد فضولى على الشاعر

التركي سنبازاده وهبي المتوفى ١٨٠٠ -

كفضولى وإن كان فى نظرنا مبرزاً عليه لأنه  
كان أطول نفساً وأكثر تصرفاً فى فنون الشعر  
وأحسن عبارة .

ومن مستطرف ما يروى أنه لما ثقلت  
عليه الصلاة غاده بعض الشعراء ومنهم  
الشاعر سرورى الذى استفاضت له الشهرة  
بنظم التواريخ ، ورغب إليه وهى أن ينظم  
شعراً يؤرخ فيه وفاته بحساب الحروف ،  
فقال سرورى ما ترجمته ( اللهم احشر وهى  
مع امرئ القيس ) (١)

ونذكر من مثل هذا القول أن سرورى  
يلمح إلى أن وهى له الشعر الحسن المعجب  
فى لغة العرب . وهى ظاهر التأثير بالشعر  
العربى وصوره البيانى بقدر تأثيره بشعراء  
العرب ، وذلك ما يفرق بينه وبين شعراء  
الترك الذين لم يزيدوا على إيراد ما يودى  
فى الشعر التركى من معان ويعرض من  
صور فى لغة عربية تسوغ فى الذوق تارة  
ولا تسوغ تارات ، وهذا مثال من شعر  
وهى :

سلمى على لاحاطها بالرحل محمول  
والركب مرتحل . والقلب متبول  
ترائو، إلى بطرف مدنف غنج  
وردها من سجوم الدمع مبالول

دخلت منزلها ليلاً على وجل  
من أهلها وقناع الليل مسدول  
مالت إلى وقالت وهى ضاحكة :

يا طارق الليل جن أنت أم غول

فقلت: إني صب هائم وجل  
قد اجتزأت ومنك العذر مقبول

فنهتني وقالت وهى باكية

قم واهربن فسيف الصبح مسلول

وليس بخاف أن وهى متأثر ولا بد فى

مثل هذا المثال الجميل من شعره . بأكثر من

شاعر عربى جاهلى وإسلامى .

ولانبغ بكلامنا منتهاه دون أن نقول إن

شعراء الترك الذين نظموا بالعربية كان

لهم فارسى تحتويه دواوين أو ديوان أو قسم

من ديوان ، مما يجعلهم أصحاب ألسن

ثلاثة ، كما نحكم فى عموم وشمول بأن

ظاهرة تعدد الألسنة فى أدب الفرس والترك

من قواطع الأدلة على أن التراث الأدبى

الإسلامى فى عدة لغات متكاملات هى

لشعوب تساندت وتعاضدت بفضل من دين

الله الذى جمعها على وحدة فى عقيدتها التى

تشكلت منها وحدثها فى روحانياتها .

حسين مجيب المصرى  
الخبير بالجميع



(١) د . حسين مجيب المصرى : فى الأدب العربى والتركى . ص ٢٢ ( القاهرة ١٩٦٢ ) .

# دراسة وتحقيق لديوان أسرار الأمير أبي العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله الخليفة العباسي للكاتب محمد بدیع شریف

ونثر عبد الحميد وابن المقفع ، وترسل  
الجاحظ والرواة يرددون شعر فحول  
الجاهلية ، والنابتين في صدر الإسلام ،  
وعصر بني أمية ، واللغة في المحل الأرفع  
وسعة الأفق فتحت صدرها تستقبل نتاج  
حضارات الأمم في الترجمة والاقتباس ،  
وبيوت الحكمة وخزانات الأدب تزخر بالكتب  
والرسائل ، وأنديّة الجدل والمرء مفتحة  
أبوابها للمفكرين في معالجة الآراء الوافدة  
النابتة ، والمؤدبون يجوسون خلال القصور  
وأروقة المساجد يؤدّبون أبناء الخلفاء والأمراء  
والوزراء والوجهاء وقواد الجند فانغمرت  
هذه النبتة الهاشمية في غمرة هذه الحضارة  
بالمؤدبين والمعلمين والمترجمين وأساطين  
اللغة ، فكان من أشهر مؤدبيه أبو جعفر  
محمد بن عمران بن زياد الضبيّ صاحب  
القراءات والنحو ، وأبو العباس المنبرد  
الذي انتهت إليه مدرسة البصرة ، ثم عاش  
بقية عمره في بغداد ، وأبو العباس أحمد بن

**ولد** ابن المعتز في عهد  
جده المتوكل ، في  
عهد زاهر من أجلّ عهود الخلافة  
العباسية وترعرع في ظلال العيش الرغيد  
والعزة ، وظلت هذه النبتة الهاشمية النضرة  
تنمو في رعاية الأبوين والجد حتى وقعت  
الكارثة التي كانت الأولى من نوعها حين  
تصلىف خدام القصر فأتمروا بالمتوكل واغتالوه  
فتخضخت قوة الدولة ، وبدأ الضباب  
يلف تلك النضارة البهيجة في قصور الخلافة  
وأسرعت الحوادث تتلاحق حتى اغتيل  
أبوه وهو طفل لم تؤهله سنه أن يشعر  
بالكوارث ، ونفيت جدته إلى مكة وهو  
في حضنها . وبقيت حتى أعادها المعتمد  
الذي بدأت العزة في عهده تخطو سراعاً  
إلى قصور الخلافة وفي هذه العودة كان  
ابن المعتز في سن تؤهله لاستقبال التعليم  
والتهذيب ، فاحتضنته بغداد وهي تموج  
بالعلوم والآداب ، وتزدهر في ربوعها  
بلاغة القرآن والحديث وأدب الصحابة

يحيى ثعلب ، وقد انتهت إليه مدرسة الكوفة ومنهم أحمد بن سعيد الدمشقي راوية شعره الذي كان لا يفارقه ، وهيأت له جلدته مكتبة عامرة بالعلوم والآداب ، صارت مثواه ومرجعه وأحب المجالس إليه فانكب على الكتب يأخذ في التراث الأجنبي ما ترجم عنه في علم وأدب وفلسفة ، وفي علوم العرب وآدابها وفي القرآن الكريم والحديث ، ومثلما تهياً له هذا الجو العلمي كان ينعم بعيش رغيد في ظلال المعتمد والمعتضد والمكتفي حيث بلغت الدولة الذروة في القوة والعزة ومباهج الطبيعة التي تنبض برواء الحياة ، تنبسط في جنباتها المروج والبساتين ، وتمخر السفن السابحات غدواً ورواحاً في دجلة والفرات ، وتتنادح القصور الشاحنة في بغداد وسرّ من رأى مفروشة بالطنافس والأرائك المصفوفة والزراعي المبوثة ، والموائد عليها أواني الذهب والفضة مترعة بالخيرات بها تشتهي الأنفس وتلد الأعين ، وعيون المحصنات من بنات حواء الساحرة تبعث في النفس بهجة الحياة وغناء الجوارى يرنّ في أبهاء الأمراء والوجهاء ، والأسنة مشرعة والخيول مسرجة تملك اللجم عليها الكماة للدفاع عن الثغور ؛ وبعد هذا العيش الرغيد والطبيعة التي تنبض بالرواء ، أخذت البيئة السياسية والحربية ، تموجان بالاضطراب ، وطفقت المؤامرات المريبة تتوارى في مكائس الريب تعدل لخروج على السلطان واغتيالات الخلفاء ؛

والوسط الاجتماعي شرع يتمايل بين القوة والضعف ، فتظهر القوة أحياناً في الذروة التي ترفع الدولة بالنصر المؤبد ، وتنزل بها حيناً آخر بالهزيمة المنكرة . في كل هذه البيئات التي مر ذكرها وأثبتها في المقدمة توضيحاً وتفصيلاً ازدهر هذا الغصن في الدوحة العباسية بين جفاف ورواء وتربع في مكانة رفيعة في شعر نبيل ونثر هادئ مترسل مترع بالحكمة والمثل ، والافتنان في فنون التعبير والتصرف الساهر في البيان بخيال مجنح واسع وجميل ذلكم هو الشاعر النثر الفقيه العالم الأمير والخليفة أبو العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله ، الذي صار مثار الإعجاب والفخر وتطلعت إليه عيون المحبين وثقافته عيون الحاقدين ، تخافه ، وتتمنى أن لا يجلس على كرسي الخلافة ، وينظر ابن المعتز إلى أولئك وهؤلاء فيفضل دفتره وقلمه ، ويترك لشعره أن يسجل الحق والفخر والجد لخلفاء الدولة العباسية وقادة الجند ، ويصب الويل على الخارجين ، ويسفه الآراء الوافدة ، ويبسط للشباب أرضاً واسعة لمسارح اللهو يجد اللاهون والمنشدون فيها متعة الحياة في فنون عشرة تختلف قوة وضعفاً . وبعد الكارثة الغامضة التي ذهبت بحياته يترك ديوانه وشعره في مهيب رياح القدر ، وكان الصولي احتجن لنفسه رواية شعره كاملاً في نسخته تعاورتها أيدي النساخ صحة وخطاً ومسحاً وتحريفاً :

وشاءت الظروف أن أحبط الرحال في بون. Bonn عاصمة ألمانيا الغربية اليوم. في أوائل الثلاثينات مبعوثاً من وزارة التربية لنيل الدكتوراه في فرع من فروع التربية وأن أخص قسماً من الزمن في تعلم اللغة الألمانية ، وهيأت هذه الظروف لقاء مع الأستاذ «باول كاله» رئيس القسم الشرقي في جامعة بون ورئيس جماعة المستشرقين في ذلك العهد ، وفي هذا اللقاء اقترح عليّ أن ألتحق بهذه الجامعة وأن أخص ديوان ابن المعتز بالتحقيق ، وأن أكتب في أدبه بعد أن تبين له أنني متخرج في دار العلوم بمصر . وأكد لي أن تحقيق هذا الديوان يعود على الثقافة العربية بثروة ثمينة وسيكون في المراجع المهمة للعصر الذي عاش فيه ابن المعتز ولن يؤخرني هذا عن الوصول إلى الهدف الذي أبتغيه في دراستي .

وكان الأستاذ باول كاله ، معترفاً بالديوان ، فلما وافقته أسرع دون تردد ، فأحضر نسخة مصورة من المخطوطة النادرة المحفوظة في المكتبة السلمانية في قسم (لالهلي) في استنبول . ظهر أنها تحوي النصف الثاني من أشعار ديوان ابن المعتز ، وأنها صنيعة أبي بكر محمد بن يحيى الصولي . مكتوبة بخط جميل الرسم مضبوط بالشكل ، يرجع إلى سنة مائتين وخمس وسبعين من الهجرة في مائتين وثلاث ورقات . وفي نهاية الورقة الثانية بعد المائتين كتيب . وكمل شعر أبي

العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله . وفيه زيادات من إملائه وهو الفخر والطلب والغزل والمديح والهجاء والشراب والمعاتبات والطرود والأوصاف والذم والملح ، والمراثي والتعازي ، والزهد ، والشيب والأدب والحكمة .

ولا يوجد في هذه المخطوطة في فنون الشعر غير الشراب ، والمعاتبات والطرود والأوصاف والمراثي والزهد مع زيادات في حواشيها في روايات ابن المرزبان التي رمز إليها بحرف (ن) ، وروايات ابن عون ورمز إليها بحرف (ع) ، وما كان علامته (ص) فهو في زيادات الصولي نفسه ، ورمز بحرف (ح) إلى رواية حمزة ، وختمت الورقة الأخيرة بالبيتين التاليين :

ألا يا نفس إن ترَضَيْ بَقوت  
فأنت عزيزة أبداً بغنية

دعني عنك المطامع والأمانى  
فكم أمنية غلبت منية

وفي هذه الورقة ، عرض واسع لتعدد النسخ التي أخذت عن النسخة الأولى في عهود متفاوتة كلها تستند إلى رواية الصولي والزيادات التي وجدت عليها ، وقد انتشرت هذه النسخ بين أيدي قراء وكتاب مختلفون في عد التنازل العالمي والأدبي درجات ، فكثرت التحريف والمسخ الذي استمر إلى يومنا هذا بالاتفاق غير المتعمد مع الناشرين والباحثين والنقدة الذين لم يكلفوا أنفسهم

أقبل ما يشطلبه الدرس والتحقيق ، أولئككم تدفعهم لقمة العيش وتحلوهم المشقة على حساب ابن المعتز وغيره من فيجول الشعراء والعلماء الذين تركوا لنا تراثاً ثميناً .

وعلى اسم الله شرعت في دراسة نسخة (لاله لي) ، ومقابلتها بنسختين فقترتين مطبوعتين في نهاية القرن التاسع عشر في القاهرة وبيروت ، ومعها نسخة لأشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم في كتاب الأوراق للصولي أيضاً نشرها المستشرق هيوارث دن في القاهرة مفتوحة بمقابلة للمرجوم الدكتور طه حسين ، وهي نسخة ممسوخة مغمورة بالأخطاء التي وقع فيها المؤلفون والناشرون ، صرفت معاني الشعر عن مقاصدها وشوهدت محايين مضامينه وعصفت بذلك الخيال الشعري الحميم ، ومسخت ألفاظ اللغة العربية ، ذات الجرس والنغم وطهست معالم ذلكم النبل التعبيري الذي يمتاز به أبو العباس . وعن أولئككم الإنساخ أجذبت المطابع تنشر ما يقع تحت يديها دون تمحيص ، وبلا فهم ، وقد تبين لي كما ذكرت أنني لم أقع على أجزاء الديوان كلها ، وأن هناك جهداً مضنياً ينتظرني ، وبعد أن أفنيت زمناً ثميناً وكثرت أسئمت في التحقيق وقع مالم يكن في الحساب إذ عزل الأستاذ (كاليه) من منصبه وترك جامعة بون إلى جامعة أكسفورد ، فوضعت ابن المعتز على الرف وبقى مسكوتاً عنه واتجهت في دراستي إلى موضوع آخر ، ولما وضعت الحرب

أوتزارها . . . وعلت إلى العراق شغلتي عنه الوظائف الإدارية وكراسي التدريس ، وفي أواخر الأربعينات فجأتني رسائل الأستاذ كاليه . . . بحثني ويكتب فيها يقول : أرجو أنك قد حققت رغبة ظلت تراودني منذ زمن بعيد . وأنت أكملت ما أوصيتك به في شأن ديوان ابن المعتز وشرعت في طبعه ، وإن لم ، فإني أرجو أن تسرع في إنجازه فإن جماعة من علماء الاستشراق شرعت في إخراجة ، وأنت أولى أن تتولاه بنفسك . وفي أوائل الستينات زرت جامعة أكسفورد بغد عشرين عاماً من فراقنا ، فرأيت قد أخذت منه السنون والهموم ومتاعب البحث والتحقيق مأخذها وتسلسل شعره الأبيض على غارضيه حتى مس شخني أذنيه . ومع ذلك لم يدع الفرصة تفوت ، فاستعان لي على قراءة كلمات في مخطوطة شوه محاسنها اختلاف النقط ، وسر سروراً عظيماً حين أكدت له أنني سوف أحقق رغبته في إخراجة ، وفي سنة ألف وتسعمائة وسبعين ، تحررت من قيود الوظيفة بجميع أنواعها وعلت إلى خزنة مكتبي ، فوقعت عيني على مخطوطات كانت تنظرني ومنها نسخة (لاله لي) التي كنت أتممت تحقيقها في «بون» ورجعت إلى الفهارس وكتب الأدب وما كتب عن ابن المعتز إلى أيامنا هذه ، فوجدت لديوانه مخطوطات منتشرة في مكتبات الشرق والغرب ، أكثرها موجود في دار الكتب في القاهرة ، ووقعت بدى على مخطوطات

متعددة النسخ ، مختلفه التواريخ ، كلها ترجع إلى رواية الصولى ، رديئة النسخ ، كثيرة المنحول والتحريف ، واستعنت بمعهد المخطوطات في جامعة الدول العربية فتكونت لدى مجموعة محترمة في مقدمتها ( لاله لى ) ، ومخطوطة كوبنهاجن ومخطوطة مكتبة الملك الحسن في المغرب ومخطوطة لندن والمجموعة التي وردت في المجلد الرابع من سفينة ابن مبارك شاه ومخطوطة المدينة المنورة اختيار صاحب ابن عباد ، وجميع ما وجدته من هذه المخطوطات منها ما يرجع في التاريخ إلى الربع الأخير في القرن الثالث الهجرى ومنها ما يعود إلى القرن الرابع والسادس والتاسع والعاشر ، وأحدثها ما يعود إلى أواخر القرن الثالث عشر وتعتبر هذه النسخة الأخيرة أم الخطايا ، وقد يكون المطبوع الأول أخذ عنها ، فقد اعتاد الناشرون أن لا يذكروا المصدر الذى أخذوا عنه .

كانت هذه المخطوطات في صحتها وخطها عوناً لى ، وكان في مقدمتها نسخة ( لاله لى ) ونسخة كوبنهاجن ونسخة المدينة المنورة ، ونسخة السفينة . أما بقية النسخ ، فقد كانت رديئة ، أعانتنى في ناحية واحدة هي القاعدة المشهورة « وبضدها تتميز الأشياء »

في هذه المخطوطات عثرت على إحدى وعشرين قطعة في الشراب لم تنشر ولم ترد في مخطوط آخر ، وعلى سبع قصائد من المطولات خاصة منها ، القصيدة الرائعة بمدح المكتنى بثلاثة وستين بيتاً ، والأخرى

بمدح الموفق خمسة وأربعين بيتاً ، وفي مدح المعتضد أخرى باثنين وعشرين بيتاً ، وفي فن الغزل انفردت نسخة بتسع وستين قطعة وتنفرد نسخة السفينة التي ترجع إلى القرن التاسع الهجرى بسقطع في القصائد الممتعة منسوبة إلى ابن المعتز من أجملها إمتاعاً القصيدة الرائية التي لم تنشر في مطبوع ، ولم يأخذها مخطوط جاءت بثلاثة وثلاثين بيتاً .

وتختلف هذه النسخ أيضاً في الوضوح والغموض ، وينفرد بعضها بصحة الكامة الشعرية المناسبة للبيت على حين يقع مخطوط آخر في خطأ فظيع يبعد البيت عن معناه الأصيل ، وقد ظهر في هذا التحقيق والمقابلة بين المخطوطات ، والديوان المطبوع المتداول ، ( وهو أحدثها أنه ممسوخ وفيه من الأخطاء ما يتجاوز ألفاً وستمائة وخمسة وعشرين تعبيراً محرفاً أو منتحلاً ، أو مزيفاً ، نتيجة ضعف النساخ الذين مسخوا معانى الديوان ، وأثرا لعقده الناشرين الذين مشوا وراء المستشرقين والمحققين الذين لم يبدلوا فيه ما يستحقه من الجهد ، وقد عرضت جملة من النماذج في مقدمة الديوان ، لإظهاراً لجهد مضمّن بذل فيه ما يزيد على سبع سنوات من أجمل أيام الحياة في ألمانيا والقاهرة ، ففي كل هذه السنين كنت أجادل مع نساخ ديوانه ورواة أشعاره وأخباره في مخطوطات قضمت رديئة الأرض فيها بعض كلمات الأبيات

وحروف الكلمات أو عفت من تقادم العهد وحوادث الأيام ، فأصحح ما وقع فيه النساخ من الخطأ وما تورط به النقلة والأدباء من جراء السهو والغفلة ، فقد كانت النقطة في اختلاف وضعها تغير الكلمة والحماة ، وكان تبديل شطر بآخر من بيت يليه ، أو حذفه يعصف بالبيت كله ، ناهيك عن انتحال مرتجل ، أو إقحام كلمات نابية ، فقد نخطر للناسخ المستهتر أن يضع اللفظة تندراً واستهزاء ، فيفوت ذلك على المحقق ، والناقد والأديب ، مثلاً نجده عند الذين أخرجوا ديوانه ، الهزيل ، الأنسى والبستاني ، وشفيق جبرى ، في تبديل الكلمات الأصيلة بأخرى هزيلة كاللفظة العثير ، بالشعير ، والأثداء جمع ثدى النابض بالحياة بالأشلاء جمع شاو المقطوع من الجثة ، والنور للزهر بالثور ، أو كما جاء عند المستشرقين بوضع كلمة الديخ مكان كلمة الزنج والرخال مكان الرجال والغاديات ، مكان العاديات وشير حبيبة ابن المعتز الذى يرمز بها في مفتتح قصائد المدح والفخر والغزل وضع في مكانها « شيمر » مع أن هذه اللفظة المحببة مثبتة في جميع المخطوطات ، وعدة مئات من طراز هذا التحريف ، فصرت أتصيد الكلمة ذات المعنى الموائم للقصيدة والوزن في صحف المخطوطات ، وأمهات كتب الأدب ، ومراجع الشواهد ، حتى أعر على الصواب فى الكلمة ، وبلاستقراء والمقابلة يجد الباحث أن أكرم البستاني فى

تحقيقه ، ونعمان ميشيل فى شرحه ترسما خطوات الأنسى فى نشره ، ومضى الدين فى شرحه وجبرى فى تصديره ، زد على ذلك الخطأ الذى وقع فيه البستاني ترسما خطى هيوارث دن المستشرق . ومن بعض الأخطاء التى وقع فيها البستاني وهى كثيرة هذه اللوحة الجميلة التى شوه بها أدب الشاعر وتصويره .

قال ابن المعتز فى طردياته ، وأوردها البستاني فى الديوان مشوهة : خمسة أبيات فقط كما يلى :

تخالهم إسوار جيش أبلخا  
أو معهم جود يزين وسخا  
تمت ( بهم ، حال لهم مثل الرخا )  
أخاف طير أرضه ودوخا  
يعجلها فى مأها أن ترسخا  
حكم فيها منسراً مضمخا  
ومخلباً بدمها ملطخاً  
عوائد من خطفه وصرخا  
كأنه لما قطعنا فرسخا  
مصحف وراق أدق نسخا

ولم يكلف نفسه بتوضيح هذه القطعة إلا بشرح كلمتين فى الحاشية وهما ، قال :  
( الأبلخ العظيم والرخا طائر كبير ) .

وجاء تحريف القطعة بأكملها فوضعت كلمة تخالهم مكان تخاله « وكلمتى « أو معهم » مكان كلمة أوسعهم ، وكلمة « يزين » مكان كلمة « يدين » ( مثنى يد ) وفهمت

بتلك كلمة « وسخا » من الوسخ بدلا من  
 السخاء « وفي البيت الثاني وضعت كلمة  
 بهم » مكان كلمة « به » وشرحت كلمة  
 « الرخاء » التي يراد بها وفرة الخير  
 وباللهنية الغيش بظائر عظيم. وفي البيت  
 الثالث « وضع ميشيل نعمان » عوايذا من  
 خلقه « بدلا من « عوايذا من خطفه »  
 وحذف من المطبوعات كلها الشطر  
 الثاني من البيت الجاميس والشطر الأول  
 من البيت السادس وجمع بين الشطرين  
 الأول والثاني على التالى فى بيت واحد ،  
 وبهذا التحريف والحذف والتلفيق اختلت  
 خطوط الصورة التي رسمها ابن المعتز  
 للبازى فى رحلة من رحلات الصيد .  
 فهو فى نظره وتصويره : كمثل قائد عظيم  
 من الأساورة واتسع الجود سخى اليدين ،  
 يبذل لحيشه من الغنائم ما تقع يده عليه ،  
 ذاك يبطش بالأعداء ويقدم لأبطاله  
 الغنائم بكرم وعطاء ، وهذا يبطش بالطير ،  
 يذهلها أن تقع على مياهها ، ويتركها  
 لو اجيء صارت من الخوف ويورد منها  
 منتصرا مضمخ المنسر منضخ الخلب ،  
 ويقدم للجماعة صيدا شهبأ بكرم وسخاء ،  
 ويكمل ابن المعتز هذه الملحمة الطردية  
 بوصف للباز بعد ما يللمم الليل أذياله  
 ويكشف الضبح عن جبينه الوضاح ،  
 فإذا البازى مرقش كمثل مصحف أدق  
 الخطاط الماهر نسجه وتنميطة .  
 وتحرير القطعة الشعرية كما يلى

تحالة إنوار نجيش أبا  
 أوسعهم جود يدين وسخا  
 تمت به حال لهم فى الرخا  
 أخاف طر أرضه ودوخا  
 يعجبها من مأها أن ترسخا  
 حكم فيها منسرا مضمخا  
 ومخاها يدمها منضخا  
 عوايذا من يخطفه وصرخا  
 كأني لما قطعنا فرسخا  
 والضحى فى مشرقه قبل شمشخا  
 والليل فى مغربه قاء رسخا  
 مصحف وراق أدق نسخا  
 ومن هذه النماذج ما أخرجه الناشرون  
 بمشاكل بعضهم برقاب بعض فى الأخطاء  
 فمن الملح والأوصاف الأبيات الثلاثة التي  
 وردت بهذه الصيغة المضللة للقارئ والمشوهة  
 لشعر الشاعر قولهم :  
 رعى شهرين بالدير  
 قباباً كالطوامير  
 يقلبن إلى الذعر  
 عيوناً كالقوارير  
 وآذان سميعات  
 كأصناف الكوارير  
 وشرحها البشاني كما يلى :

القوارير الآوانى الزجاجية ، الكوارير  
 خلايا النحل ورواها بهذا التحريف مع  
 تجنب بيتين وردا فى نسخة الصاحب بن عباد

ووضع كلمة قباباً مكان قباباً ، واذان  
بالرفع بدلاً من آذاناً بالنصب وأصناف مكان  
أنصاف والكوارير مكان الكوافير جمع  
كافور وهو بيت المطاع إذا أنشق نصفين  
أشبه كل نصف منه أذن الحمار في انتصابها ،  
وتحرير القطعة بأبياتها الخمسة كما أوردتها  
نسخة لاله لي ونسخة المدينة المنورة هي :

زرعى شهرين بالديرين  
قباباً كالطوامير  
يقابن من المدر  
عيونا كالقوارير  
وآذاناً سميعات  
كأنصاف الكوافير  
وقد الأرض منها أسوق صم الحوافير  
كأن الأرض تأقها  
بآذنا الزناير

وابن المعتز في هذه القطعة يرسم صورة  
رائعة لجماعة من الأتقين والخمير الوحشية  
يغمروها النشاط في ضحوة الربيع ، فهن  
ضامرات البطون كبث الكتب المطوية  
لهن أعين تلتمع التماع قوارير الزجاج ضفء  
ولهن آذان مرهفات السمع منتصبات انتصاب  
كوافير الطاع عندما تنشق عنه ، جهزتهن  
الطبيعة بأرجل لها حوافر ضماء قوية يضربن  
بها الأرض رفعا وخفضا ، كأتما تلتقاهن  
أذنب الزناير . وابن المعتز مولع بتصوير  
المشاهد الطبيعية ، وله في وصف حمار

الوحش مطولة رويت بستة وخمسين بيتاً  
دونت في المخطوطات ولم تنشر منها غير  
ثلاثة أبيات جاءت في ديوان المعاني .

ولم يكن التحريف مقصوداً على  
اختلاف النقطة والحرف في الكلمة ،  
بل تعدى ذلك إلى انتحال اللفظة نفسها  
في البيت . ومن ذلك ما جاء في هذا البيت  
ضمن قصيدة عصماء يمدح بها الخليفة  
المعتضد . وهو :

برح الحشا برئخاً ظلاماً سرمداً  
ما فيه مسرى للخيال الطارق

هكذا عرض البيت في نسخة لندن  
والمغرب . ودار الكتب ، وطاعت ، عريضا  
غامضاً لم يفهم المراد منه وقد نقلته أول  
مرة مشيراً إلى غموضه . وتركته حيث  
هو حتى وقعت بيدي نسخة المدينة المنورة  
فإذا به ثاني بيت في مستهل القصيدة التي  
مطلعها :

قريب الحب من الحبيب الوامق  
من بعدما فتك الفراق بعاشق

يزعى الكواكب في ظلام سرمد  
ما فيه مسرى للخيال الطارق

هذه الأنواع من التحريف أوقعت نقدة  
الأدب والمؤلفين في ورطات تركت آثاراً  
سيئة في أدب ابن المعتز ، وقد عرضت  
الكثير منها في مقدمة الديوان وسجلتها  
كلها في أماكنها من الحواشي وبعد هذا

التحقيق المصنئ والمدراسة الطويالة وجدته أمام  
ثمرة صالحة من جملة أشعار صافية صحيحة ،  
وأمام شاعر من أولئك الشعراء الذي طبعت  
مواهب الفن على جباههم قبيل الرضا .  
إنه شاعر خرج من البيضة تحف به  
المواهب ، فتعلم وتدرّب ، وجالس  
العلماء والأدباء وأهل الفصاحة ، وحظي  
بالعزة والجاه ، ونعيم العيش وبؤسه بين  
يدى الخلفاء والأمراء ونشئ على دراسة  
القرآن والحديث . ولغة العرب وآدابها ،  
فصارت اللغة أدواته ، ومع أن التمهرفيها  
صعب فقد بجاءته طيعة ، تركض الألفاظ  
إلى المعاني الموهوبة ركضاً فتظهر صور  
شعرية لها نغم جميل ، إنه كان يختار  
الألفاظ لا لأجل أن يعبر عن إحساس ،  
بل ليخلق الإحساس .

لقد وصف الشاعر الفرنسي ( درتزار )  
الربيع في عصور نخلت ، ومع أن الناس  
لم يسمعه ولم يعلموا عن نشيد الربيع  
شيئاً ، فقد كانوا يسيرون في أرض  
الشعر التي أنشأها حين كان جالسا يغمره  
اليأس يتصيد الكلمات في لغته الأصعب  
ليخلق الإحساس للناس ، وهكذا كان  
ابن المعتز ، ولم يكن في أولئك الشعراء  
الهمزليين الحمقى الذين يتنادمون على  
موائد الوجهاء ، يقدمون بين أيديهم  
تاريخاً مفصوحاً ، ولا من أولئك الما جنين  
المتيمين الذين ينشدون قوافيهم بين يدي  
المترجات ، إنه شاعر مبدع خصب

الخيال والشاعر يضع في خياله ما يقع  
لبنى آدم في أفعالهم ، حتى المحرمين لهم  
مكان في هذا الخيال . أنشد ابن المعتز شعره  
في عشرة فنون جرياً على عادة شعراء  
عهد ، واستجابة لرغبات الناس الذين  
يريدون أن يتنقلوا في دولة الشعر ، من  
أرض إلى أرض .

قال في الفخر ، وكان فخره بنى العباس  
وحدهم ، سجل لهم حق الخلافة بقصائد  
رائعة يستلها أحياناً بوصف مشاهد الطبيعة  
في محاسنها وهدوئها وعنفها ، في سهولها  
ومفازاتها في حزنها ومتونها ؛ منح  
الحمد نبضات الحياة ، وجرد الكائن  
الحى من شعوره فإذا هو جماد لا تنبض  
في جوانحه نابضة فالسحب تسومها  
العواصف مكتحلة العيون تفرغ دموعها ،  
وتعود مرهء مسيح الكحل في جفونها ،  
والبرق يتقلب في طيات السحب مثلما  
يتقلب الأفعوان فوق كثران الرمال :

كأنها ورعدها مسترجع  
لجّ به على بكاه ذو صخب

جاءت بجفن أكحل وانصرفت  
مرهء من إسبال دمع منسكب  
إذا تعرّى البرق فيها خيلته

بطن شجاع في كتيب يضطرب  
وفي فن الغزل كان لابن المعتز معين  
يتدفق ، فقد كان سوق الحوارى مشروعا  
ومحافل الغناء لها المحل الأرفع في قصور  
الخلفاء والأمراء والأثرياء ، والطبيعة  
ريا بسواد العراق برافديه دجلة والفراوات

والغناء يستعذب من أفواه الحسناوات أكثر مما يسمع من حناجر الرجال ، ومكانة القينة المغنية ترتفع بمقدار ما لها من الثقافة والجمال وعدوبة الصوت ، والمغنون والمغنيات يترنمون بشعر فحول الشعراء ولم يشأ ابن المعتز الذي ملك ناصية البيان ، وأذن العمود الموسيقي أن يتخلف عن أقرانه من المبدعين ، فسلك في غزله أسلوب القصائد القصار ، ونهج فيه منهجين : أحدهما ما اتبعه الأقدمون في ديباجتي الفخر والمدح يقوله الشاعر ليتخذ منه مدخلا إلى غرضه ، وفي هذا النوع تلمح الإحساس بالجمال يكاد يكون عدوياً ، وثاني المنهجين ، ما يقوله الشاعر لنفسه ، وقد سار شعر ابن المعتز الغزلي في مفازات القرون تنأهبه أيدي الناسخين حذفاً ومسحاً وسرقة وانتحالا ، وأصاب جمعه تعدد الروايات وفلتت منه كثرة ، خاصة في المقطوعات القصيرة ، فأصبح للمرء عذر أن يخامر الشك في صحة كثير منها ، واحتفظت مخطوطة كوينهاجن التي أحيل في روايتها إلى رواية حمزة لكثرة التشابه بينها وما ورد في حاشيته لا له لي مرسوماً بحرف ( ح ) بثمان وخمسين قطعة ، بما يربو على مائتين وأربعة وثلاثين بيتاً واحتفظت السفينة لغزله بقصيدة مطولة في ثلاثة

وثلاثين بيتاً ومطلعها :  
حييت من ربيع وسقيت المطر  
يا طالما أصبحت محمود الأثر  
وفي مغانيك الغواني رتعا  
رباب ما بين دل وخفر  
قال ابن المعتز شعر الغزل جرياً على  
شيوخ هذه الصنعة ورواجها واتصالها بالحياة  
شأن كل نفس ترفعها غريزة تحس بالبقاء  
والجمال ، وهو كغيره من الشعراء يريد  
أن يجد لشعره مكانة ينتشر عليها الجمال  
ويتمتع بها بنو آدم ويتسابقون إلى البقاء  
تسابق هابيل وقابيل فقال شعره للمغنيات  
يتغنين بالفتيان وقاله للفتيان يتغنون  
بالفتيات وفي غزله الصحيح ظرف ونبل  
وحسن تعليل ومن المقطوعات الجميلة  
التي وردت في مخطوطه كوينهاجن قوله :  
قل للمليحة في الخمار الأبيض  
ولم ينلوت دَيْنَ الغريم المقتضى  
أعرضت ظالمة وأمرضت امرأ  
لو صح منك له الهوى لم يمرض  
يامن بها حسرات نفسي جمّة  
حتى الممات أظنها لا تنقضي  
لا تقبلي فيمن أقادك رقة  
فلكنه قول العذول المبغض  
ومدوح ابن المعتز ، هو ذلك الرجل  
الذي يسند أركان الدولة العباسية ويدفع  
عن كيانه ، خليفة كان المدوح ، أو أميراً  
أو وزيراً ، أو قائد جيش ، أو عالماً  
يضيف إلى صرح الحضارة الإسلامية  
العربية لبنة تقويه وتسنده ، وفي

مدحه بسلك السبيل في سبر أغوار النفس  
 فيبرز محاسنها في الشجاعة والكرم والحلم  
 والغضب والحزم وتدبير الرأي وإذا  
 رغب في صورة تتجلى فيها المروءة أو  
 النصر المؤثل في موقعة من المواقع الحربية ،  
 مهد لها بديباجة رائعة تبدأ أحياناً بغزل  
 ينسكب فيه الدمع ، وتذوب الكبد  
 عند الهجران وتفتح الأسارير وتبهج  
 النفس حال الوصال ، أو يفتتحها في  
 وصف مشاهد الطبيعة في أجوائها بسحبها  
 وبروقها ، ورعودها ، والبرد بمقاوזהا  
 ووعورتها وتعسف السير بها على ظهور  
 النوق العراب والخيول المطهمة ، ويتلطف  
 في مدخله هذا حتى يصل إلى مدوحه .

وتتسم قصائد ابن المعتز في مدح الخليفة  
 المعتضد بالتكاثر والتفاخر ، وقوة الخيال ،  
 وجزالة الأسلوب الذي يأسر الأنفس  
 لإبرازها خصائص اكتمال الرجولة ومنها  
 (العينية) عندما أخذ المعتضد صالح  
 ابن مدرك الخارج على سلطان الدولة ،  
 وقد بدأها بغزل رقيق ثم دخل إلى المدح  
 في مدخل بهيج جاء فيه :

ألا ترى بهجة الأيام قد رجعت  
 واليأس في ملك والعدل قد جمعا

واعترض الدين والدنيا بمعتضد  
 بالله ، في الله ما أعطى وما منعا

يا خاضبت السيف منذ شدت مآزره  
 وابن الحروب التي من ثديها رضعنا

كم من عدو أبحت السيف مهيجته  
 والسيف أحسم للداء الذي امتنعا

وعرض ابن المعتز الشراب عرضاً جميلاً ،  
 من يقرؤه يظن أن هذا العلامة الممتكف على  
 دفتره وقلمه ، يؤلف ويكتب ، ويقول  
 الشعر بأسلوب رقيق ، ولفظ بليغ وجزل ،  
 ووصف دقيق وخیال مجنح لاهم له إلا هذه  
 الحياة الرخوة ، وهذا وهم ، فإن ابن المعتز  
 العالم ، وصف الشراب لأهل الشراب ،  
 ليبسط لهم أرضاً يمشى عليها أولئك المدمنون  
 الذين يترددون في حياتهم على الخانات  
 والحمارات ويجمعون في الشتاء حول  
 الكانون ، وفي الربيع بين الزهور في الرياض  
 تجرى خلالها الجداول ، ويطوف عليهم  
 السقاة بكثوس دافقات ، يصب فيها الشراب  
 من الزقاق ، كأنه في انحداره منها سيموف  
 مقدودة من ذهب تدار بأقداح رءوسها  
 فضة وأجسامها من العسجد ، والحمرة في  
 شعره راح وراحة للقلوب ، تجلب السرور  
 وتنفي الهموم والكروب لطيفة كخلق الأماجد  
 الكرام ، والكثوس في خياله حين تدار  
 بأيدي السقاة كالثرى ، تبدو وتغرب ،  
 فكأن الشرق ساق وكأن الغرب يشرب وهي  
 إذا امتزجت بالماء نبت الدر في أرض من  
 الذهب ، وإذا لحظتها العيون رأت عجباً  
 كيف يضيء نور الماء نار العنب ، وبعد  
 هذا الوصف الذي كان يعارض فيه  
 أبانواس ، يعطف ابن المعتز في أرجوزته  
 المشهورة « في ذم الصبوح » في رسم صورة

مزرية للسكاري ، فهم عنده من البؤساء الذين إذا أصبح عليهم الصباح ولاحت الشمس في الأفق وقعت على رؤوسهم الدامغة بنارها وحرها ، فيسخن الشراب ، ويختلف المزاج ، ويكثر الضجاج فتغيم أقداحهم ، يأخذون بالحلحكة والتفرك ، وتفوح رائحة الآباط ، ويكره بعضهم بعضا ، وتراخي أعصابهم ، فيمشي بعضهم بلا رجلين ، ويأخذ الآخر الكأس بلا يدين ويطوف الصداق بهم فتتدلى على الصدور الرؤوس ويشتد الضجج بالنفوس ويرسم لهذا المظهر صورة بشعة في بيت لطيف وخيال مرتجل ويقول :

وقد شربوا حتى كأن وقابهم  
من الدين لم تخلق لمن عظام  
ويختم أرجوزته التي أشرنا إليها بقوله:  
هذا كاذب وما تركت أكثر.  
فجربوا ما قلته وفكروا

وفي الوصف يمتاز ابن المعتز بالوضوح والجمال ، ويرجع ذلك إلى سعة خياله وإطلاعه وثقافته ، وتمهره في اللغة ، ودقة ملاحظته ، وحلدة ذكائه ، إنه يختلف عن أولئك الشعراء الذين إذا عرضوا شيئا ، عرضوه عفواً ، أما هو فإنه يصف ليصور ، مثله كمثل الرسام ، هذا بخياله وذكائه يبرز صوره بالأسارير والخطوط والألوان ، وهذا بمواهبه وخياله وتمهره باللغة يبرزها بحروفه ونقطه وأسلوبه ، وقد لفتت هذه

الظاهرة أفكار الأدباء فدونوا عنه تلك الأسطورة المقارنة بين وصفه ووصف ابن الرومي . وصف البهيد والمهامه ، وصف الظبي والظليم وحمار الوحش والبازي ، وكلاب الصيد والخيل والجمال ووصف الأنهار والأودية والمفاوز والمروج والحنائن والقصور ووصف الأطلال والمنازل الخالية ببيان رائع . والجمال شعره في هذا الفن أخذ عنه علماء البيان والبديع شواهدهم للدلالة على نبل التعبير وإجادة التمثيل. وحلق أبو العباس في الوصف في فن الطرديات بجناحين قويين وخيال رفيع ، فقد كان العرب قديماً يعانون في عامة عصورهم ، لأنه ضرب من ضروب الرزق ، ومتعة من متع النفس ولون من ألوان الحرب والسلام .

ولما استبحرت حضارتهم في العراق والشام ومصر أصبح من الطبيعي أن يدونوا أصول الصيد وكان علماء اللغة سبقوا ودونوا أسماء الطيور والجوارح ، وأصائل الخيل والنوق العرب ، ووصفوها وصفاً دقيقاً ، تناول أصولها ، وأعضائها وحركاتها . وهو فن البَيَزَرَة الذي يقابل علم البَيْطَرَة ، وسموه أيضاً علم أصول الجوارح من حيث صحتها ومرضاها ومعرفه العلامة الدالة على قوتها وضعفها ، والبَيَزَرَة كلمة فارسية مشتقة من ( بيزار ) وعربت بازيار ، أي صاحب الباز وتربيته . وفي أوائل المائة الثانية من الهجرة كان البازيار في الدولة يدعى صاحب الصيد وكان غطريف بن قدامة ،

صاحب صيد هشام بن عبد الملك ، ولم يستعمل العرب كلمة البيّاز مثلما استعملوا : الصقّار والكلّاب ، والفهاد والقيّال والعقّاب لصاحب الصنم ، والكاتب والنهّاد والفيل والعقّاب ، وابن المعتز عالم شاعر وأمير صاحب سيف وقلم لم يفته هذا الضرب من المعرفة والمتعة الرياضية ، ولم يرضى لشعره أن يتخلف عن فن من أمتع الفنون تجتمع في ممارسته المروءة بضروبها من الشجاعة والكرم والحلم والحزم والسيادة والسياسة ، فشغف به ، وقال شعره فيه عن علم وروية ففتح هذا الفن جمال اللغة وسُمُو الخيال ، ورسم للصيد والطبيعة صوراً جميلة في غدوه ورواحه وللكلاب والخيول والبزاة والصقور والفهود ، ونفذ إلى أسرار حياتها فكشف غرائزها المتوحشة المهيبة ، فهو في غدوة من غدواته ، يخرج والصباح يردع الليل المدثر بقبائه الأسود المضرج ، والنجم لا يزال يتلألأ بهذا اللهب ، والجوزاء تخفق حزناً على الليل ، كأنها في خفقانها لواء تهزه الرياح . يخرج ابن المعتز في هذه الطبيعة الساحرة على جواده الأشقر السريع الممتلئ المازور المحجل القوى الذي تشتبك أضاعه بصلب ميتين الفقرات كما تشتبك أشجار الهورج بعموده يزينه حجل كما يزين الدملج معصم الحسناء التي تخطر بجلبابها الأحمر ، أما بازه فهو أحمر كأنه ملك متوج ، له مقاة صافية ثابتة ، يتحرك لحظها بمنة ويسرة لتفقد مواقع الصيد ، وله مخلب معقوف كمثل

حاجب الحسناء المزجج أبرش الخناجين مثل طيأسان الملك الموشى ، همه لإدخال السرور على الـ يادين ينقل إليهم الصيد فيتركهم بين ، ذابح وقادح زناد يؤجج ناره ، ومنضج ينضج اللحم ، ومعجل يستقبل الشواء ، ناهيك بوصفه كلاب الصيد ، فالسلوقية تندفع لاختطاف صيدها إذا شق الصباح جيب الليل ، وشمطت ذوائب الظلماء ، وهم النجم ليخفي وراء الأفق ، وابتسم الصبح ابتسام الشفة اللامياء ، وشرعت تصطاد بقر الوحش ، وظباء البيداء ، هذه السلوقية الداهية مطوية الأحشاء بحكمة الأعضاء إذا بدأت الشدة بانث كأنها مدّة من قلم سوداء ، أو هدبة من طرف الرداء تحماها أجنحة الهواء ، وهكذا يمعن شاعرنا بالوصف في فن البزرة أو فن الطرد إمعاناً يمنحه المكانة الرفيعة في هذا الفن .

ولا يقل ابن المعتز إبداعاً في الفنون الأخرى بلاغة وسلاسة أسلوب ، ولغة عذبة ، ولذة في المعاني ، وابتكاراً في التصوير ، ففي رثائه تبكى الألفاظ مع أسف الفؤاد وانسكاب الدمع ، وهو في عتابه مؤدب موجع العتاب ، وفي هجائه عف اللسان ، إذا جرّد الهجاء المروى من المنحول المفترى ، . وهو حكيم يقول الحكمة والمثل كغيره من شعراء زمانه وهو القائل :

ولما أنا دين للفناء على الده

نيا تنجزه الأصيل والبكر

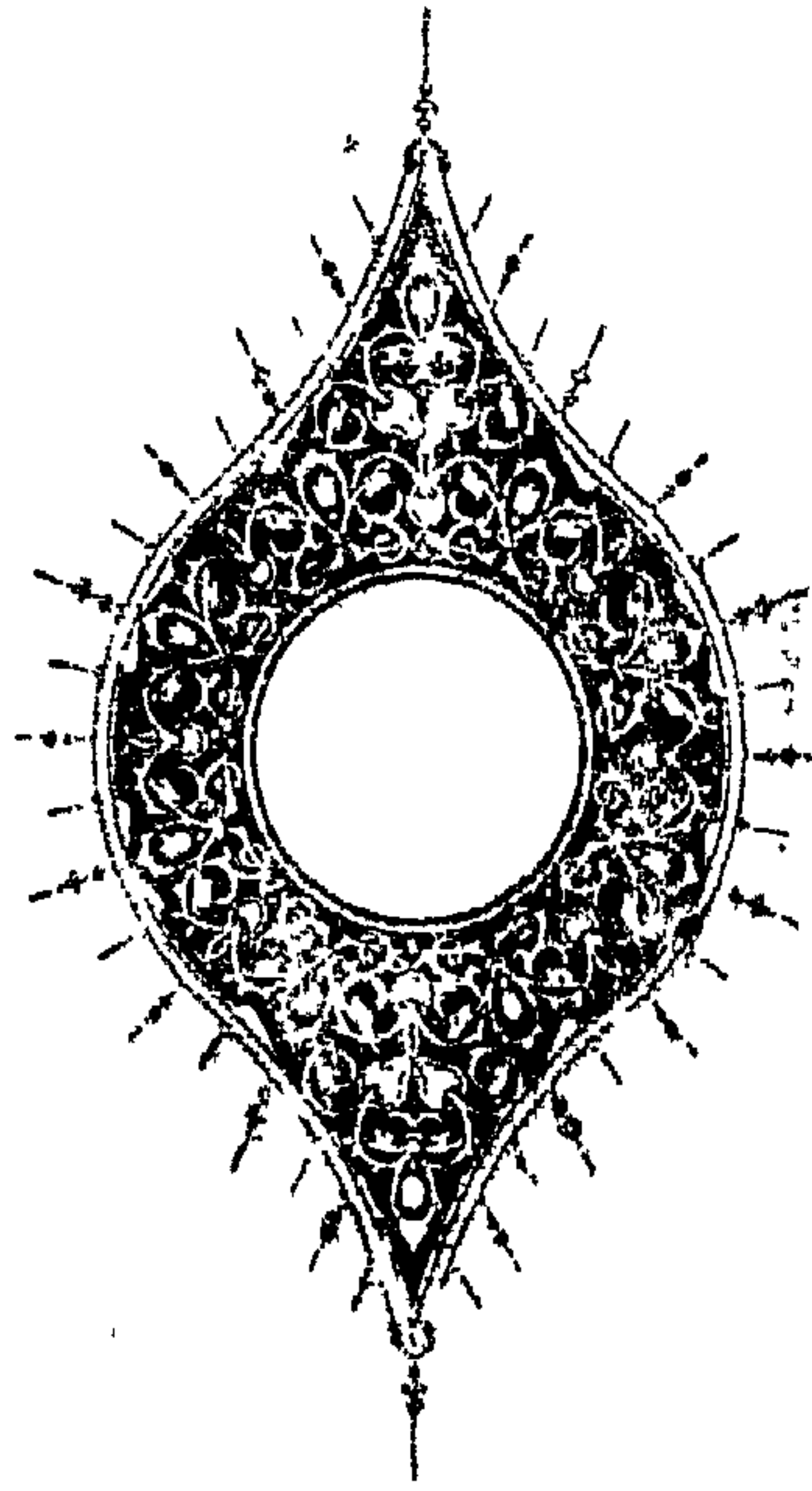
ويقول :

الموت أولى بالفتى من أن يُترى  
طابعٌ دهرٌ كما شاء انقلباً  
لائى غاياتى أجرى بعدما  
رأيتُ أترابى وقد صاروا تُرَب  
ويقول :

ما عا بنى إلا الحسـو  
دٌ وثلك من خسير المناقب  
وإذا ملكتَ المجدَ لم  
تَملكِ موداتِ الأقارب  
والهيسدُ والهيسادُ مقسـد  
روثان قد ذهبوا فذهب

وبعد فهذا قلُّ من كُثر ، ولست نادماً  
على زمن طويل قضيته فى تحقيق هذا الديوان  
ودراسته ، فقد بذلت فى هذه الدراسة  
ما أمكننى من الجهد فأُنصفت ابن المعتز  
الذى ظلمته الأيام ، وأرجعت له هذه  
الحماة النظيفة من شعره صافية يامع فيها  
فكر عربى عبقرى منح الحضارة العربية  
الإسلامية هذه الثروة الهائلة واضحة باغة  
قريش لغة القرآن ، وأسلوبه المعجز وتعبيره  
الموجز الذى يحز الفصل ، ويبسط آفاق الفكر  
ويمتد النفس .

محمد بدیع شریف  
الخبير بالجمع



# رَأْيُنا اللُّغَوِيَّ فِي حَاجَةِ إِلى التَّحْذِيبِ

## للدكتور رمضان عبد التواب

معنى

اللغويون والنحاة العرب

— منذ أواخر القرن

الأول الهجرى ، بدراسة الفصحى ،

وهى تلك اللغة الأدبية المشتركة بين مختلف

القبائل العربية ، تلك اللغة التى جعل بها

الشعراء نواظيرهم ، ومظاهر الحياة

من حولهم ، كما استخدمها الخطباء فى

محافلهم وأسواقهم الأدبية ، ثم توجهوا القرآن

الكريم ، فأنزله الله تعالى بأعلى ما تصبو

إليه هذه اللغة من مستوى . ومنذ ذلك الحين ،

ارتبطت هذه اللغة بالقرآن الكريم ، واجتهد

النحاة واللغويون فى دراستها ، وتحديد

معالمها من نواحي الأصوات ، والصيغ

والأبنية ، والدلالة ، وتركيب الجملة ،

ووظيفة الكلمة فى داخل هذا التركيب .

وقد نشأت الدراسات اللغوية عند العرب

بين كثير من الدراسات ، التى قامت

لخدمة الدين الإسلامى ، ولغرض فهم

القرآن الكريم ، المصادر الأولى للتشريع

الإسلامى ، ودستور المسلمين ، فقد أدت

الحاجة إلى معرفة معانى الألفاظ الغريبة

فى القرآن الكريم ، إلى دراسة الشعر العربى ،

للاستشهاد به على تلك المعانى ، فالسبب فى

الاشتغال بدراسة هذا الشعر فى العصور

الإسلامية الأولى ، كان — فيما أعتقد — هو

الحاجة إلى شرح الكلمات الصعبة من القرآن

الكريم ، وتفسيرها بالشواهد الشعرية .

ومن المعروف أن القرآن الكريم ، أنزل

بلغة فصحية ، تعالى عن مستوى العامة

من العرب ، ولذلك أخذ الناس فى الصدر

الأول من الإسلام ، يسألون كبار الصحابة

عن تفسير آياته وغريب ألفاظه . وتحدثنا

الروايات الإسلامية بأن الناس كانوا يسألون

الصحابة المشهور « عبد الله بن عباس » رضى

الله تعالى عنهما ، عن معنى ألفاظ معينة من

القرآن الكريم ، فيفسرها للناس ، ويستشهد

على تفسيرها بأبيات من الشعر العربى ، وقد

جمعت هذه الأسئلة وإجاباتها فى كتاب

مستقل ، باسم : « سؤالات نافع بن الأزرق »

ونشرها الدكتور إبراهيم السامرائى ، ببغداد

سنة ١٩٦٨ م ، كما ذكرها جلال الدين

السيوطي ، في النوع السادس والثلاثين من كتابته : « الإتيقان في علوم القرآن »<sup>(١)</sup> .

ويمكننا لذلك أن نعد تفسير ابن عباس للقرآن الكريم ، على هذا النحو ، نواة للمعاجم العربية ، فقد بدأت الدراسة في هذا الميدان من ميادين اللغة ، بالبحث عن معاني الألفاظ الغريبة في القرآن الكريم ، ولذلك نجد التأليف الأولى في المعاجم ، كانت تحمل اسم : « غريب القرآن » ، وأقدم مؤلف يحمل هذا الاسم ، هو لأبي سعيد أبان بن تغلب بن رباح البكري ، المتوفى سنة ١٤١ هـ<sup>(٢)</sup>

وخلص اللغويون العرب من ذلك ، شيئاً فشيئاً ، إلى دراسة ألفاظ الشعر ، واستخراج معانيها ، على غرار ما في كتاب : « المعاني الكبير » لابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦ هـ كما ساهى الرعيل الأول من اللغويين ، في الجزيرة العربية ، بجمعون اللغة من أفواه العرب ، فقد روى عن الكسائي المتوفى سنة ١٨٩ هـ ، أنه أنفذ خمس عشرة قنينة حبر ، في الكتابة عن العرب ، سوى ما حفظ<sup>(٣)</sup> .

وتردد في مؤلفات هؤلاء اللغويين العرب القدامى أسماء كثير من البدو الفصحاء ، الذين تلقوا اللغة عنهم ، مثل : أبي تمام الأعرابي ، وأبي ثروان العكلي ، وأبي الجراح العقيلي ، وأبي جميل الكلابي ، وأبي حزام

العكلي ، وأبي شبل الأعرابي ، وأبي صاعد الكلابي ، وأبي الغمر العقيلي ، وأبي مرة الكلابي ، وأبي مهدي الباهلي ، وأبي مهدي الكلابي ، وغيرهم ، بل لقد تلقوا اللغة أحياناً عن الأعرايبات ، مثل : أم الحمار من البكرية ، وغنية الكلابية ، وقريبة الأسدية ، وغيرهن ، ،

وانتشرت في تلك الفترة المبكرة ، طريقة تأليف الرسائل اللغوية الصغيرة ، ذات الموضوع الواحد ، ومن بقي لنا شيء من تأليفهم على هذه الطريقة ، في تلك الفترة : الأصمعي المتوفى سنة ٢١٦ هـ ، فقد نشر له « أوجست هفتر » كتابي : « خلق الإنسان » و « الإبل » ، في ليزج سنة ١٩٠٥ م ، وكتاب : « الخيل » ، في فينا سنة ١٨٩٥ م وكتاب « الشاء » في فينا سنة ١٨٩٦ م ، كما نشر له « رودلف جاير » كتاب : « الوحوش » في فينا سنة ١٨٨٧ م ، ونشر له « مولر » كتاب : « الفرق » في فينا سنة ١٨٧٦ م ، و « لويس شيوخو » كتاب : « النبات والشجر » في بيروت سنة ١٩١٤ م .

ومثل الأصمعي ، معاصره : أبو زيد الأنصاري المتوفى سنة ٢١٤ هـ ، الذي بقي لنا من مؤلفاته اللغوية ، ذات الموضوع الواحد : كتاب « المطر » نشره « جوتهايل »

(١) وانظر بعضها في الكامل للبهرد ٢٢٨/٢٢٢/٣ وإيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ٩٨/٧٦

(٢) انظر : معجم الأدباء ١٠٨/١

(٣) انظر : أنباء الرواة ٢٥٨/٢

في نيويورك سنة ١٨٩٥ م ، ثم نشرة «لويس شيخو» في بيروت سنة ١٩١٤ م ، وكتاب «الهمز» نشره «لويس شيخو» في بيروت سنة ١٩١٠ م ، وكتاب «اللبأ واللبن» نشره «لويس شيخو» في بيروت سنة ١٩١٤ م ، وكتاب «النوادر في اللغة» نشره سعيد الخوري الشرتوني ، في بيروت سنة ١٨٩٤ م ويطول بنا القول ، لو تتبعنا ما وصل إلينا ، من مؤلفات لغوية ، ذات موضوع واحد ، لعلماء عاشوا في هذه الفترة ، كابن الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ ، والفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ ، وأبي عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ٢١٠ هـ ، وابن الأعرابي المتوفى سنة ٢٣١ هـ ، وأبي عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هـ وابن السكيت المتوفى سنة ٢٤٤ هـ :

وقد عاش إلى بجانب هؤلاء كذلك علماء آخرون ، ألفوا معاجم شاملة للغة العربية ، غير متخصصة في موضوع واحد ، كالحليل ابن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة ١٧٥ هـ ، الذي ألف معجم «العين» ، وقد طبع جزء صغير منه ، بتحقيق الدكتور عبد الله درويش في بغداد سنة ١٩٦٧ م ، ثم صدر هذا الجزء مرة أخرى في بغداد سنة ١٩٨٠ م بتحقيق الدكتور مهدي الخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي : وبعد الحليل بزمن يسير جاء أبو عمرو الشيباني المتوفى سنة ٢٠٦ هـ ، وألف معجم «الجيم» . وقد نشر معجم الجيم بعناية مجمع اللغة العربية بمصر سنة ١٩٧٥ م :

وبعد هذه الفترة الأولى توقفت حركة جمع اللغة ، واقتصر جهد اللاحقين من اللغويين ، على تنظيم تلك المادة التي جمعها السابقون ، وتبويبها طبقاً لمناهج مختلفة ، فنشأت عندنا ثلاثة أنواع من المعاجم العربية ، أحدها : ينظم المادة على حسب المعاني والموضوعات بجمع تلك الرسائل اللغوية المفردة - التي تحدثنا عنها من قبل - في مؤلف واحد ، يضم أبواباً تشبه عناوينها عناوين الرسائل القديمة ، ومن هذا النوع من المعاجم : «الألفاظ الكتابية» لعبد الرحمن بن عيسى الهذلي المتوفى سنة ٣٢٠ هـ ، وقد طبع عدة طبعات آخرها بتحقيق الدكتور البدر اوى زهران سنة ١٩٨٠ م ، ومعجم «متخير الألفاظ» لآبن فارس اللغوي المتوفى سنة ٣٩٥ هـ نشره هلال ناجي في بغداد سنة ١٩٧٠ م ، وكتاب «التلخيص في معرفة أسماء الأشياء» لأبي هلال العسكري المتوفى بعد سنة ٣٩٥ هـ ، نشره الدكتور عزة حسن بدمشق سنة ١٩٦٩ م ، و «مبادئ اللغة» للخطيب الإسكافي المتوفى سنة ٤٢١ هـ ، نشر بالقاهرة سنة ١٣٢٥ هـ ، و «فقه اللغة» لأبي منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ ، طبع أكثر من مرة بالقاهرة وغيرها . وأهم كتب هذا النوع من المعاجم هو كتاب «المخصص في اللغة» لآبن سيده الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ ، وقد طبع في ١٧ سفراً بالقاهرة سنة ١٣١٦ هـ :

والنوع الثاني من المعاجم العربية ، يرتب المادة اللغوية ، على حسب مخارج الأصوات ، وطريقة التقاليد ، مثل تقليب مادة الضاد والراء والباء مثلاً ، على : ضرب - ضير - ربيض - رضب - بضر - برض ، وغير ذلك : وقد سار على هذه الطريقة كتاب « العين » للخليل بن أحمد الفراهيدي ، الذي كان من الرعيل الأول من اللغويين العرب ، وثابته على ذلك كثيرون منهم : أبو منصور الأزهري المتوفى سنة ٣٧٠ هـ في كتابه : « تهذيب اللغة » الذي نشرته دار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، بتحقيق عبد السلام هارون وآخرين بالقاهرة سنة ١٩٦٤ - ١٩٦٧ م ، وكذلك ابن سيده الأندلسي ، صاحب كتاب « المختص » السابق ، الذي ألف كتاباً آخر على طريقة كتاب « العين » وهو المحكم والمحيط الأعظم » وقد نشر معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة سبعة أجزاء منه حتى الآن .

أما النوع الثالث من المعاجم ، فإنه يرتب المادة اللغوية ، على الترتيب المجاني المعروف لنا ، إما بحسب الأصل الأول للكلمة ، كما فعل الزنجشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ في كتابه « أساس البلاغة » ، والفيومي المتوفى سنة ٧٧٠ هـ ، في كتابه : « المصباح المنير » : وإما بحسب الأصل الأخير للكلمة ، مع مراعاة الأصل الأول أيضاً . وقد كان المشهور عند الدارسين ، أن مبتدع هذا

الترتيب هو الجوهري المتوفى حوالي سنة ٤٠٠ هـ بناء على ما ذكره هو في مقدمة معجمه : « تاج اللغة وصحاح العربية » ، من قوله : « على ترتيب لم أسبق إليه ، وتهذيب لم أغلب عليه » ، غير أننا اكتشفنا حديثاً ، معجماً أقدم منه ، هو : « التنقيح » لأبي بشر اليمان ابن أبي اليمان البندنجي المتوفى ٢٨٤ هـ ، وقد حققه تلميذي الدكتور خليل العطية ، ونشره في بغداد سنة ١٩٧٦ م ، وهو يسير على نظام القافية ، أو الأصل الأخير من الكلمة . وأغاب الظن أن اللغويين اختاروا هذا النوع من الترتيب ، حتى يساعدوا الشاعر على اختيار قافيته في شعره .

ومن سار على هذا الترتيب كذلك : ابن منظور الإفريقي المصري المتوفى سنة ٧١١ هـ ، في معجمه المشهور : « لسان العرب » الذي طبع في بولاق سنة ١٣٠٠ - ١٣٠٧ هـ في عشرين جزءاً ، كما طبع في بيروت سنة ١٩٥٥ م في خمسة عشر مجلداً . وكذلك جواد الدين الفيروز آبادي المتوفى سنة ٨١٧ هـ ، في معجمه الذي طبقت شهرته الآفاق ، وهو : « القاموس المحيط » . وقد شرحه « الزبيدي » المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ ، في كتابه : « تاج العروس » .

هذا أحد جوانب تراثنا اللغوي في العربية ، وهو جانب متن اللغة ، أو « المعجم » ولا ينكر أحد ما بذله أسلافنا فيه ، من الجهد الكبير ، في البحث والتنقيب ، والجمع

والترتيب ، غير أنه لم يخل من بعض العيوب  
التي نلخص أهمها فيما يلي :

١ - مادة هذه المعاجم اللغوية ، قد جمعها  
الرعييل الأول من اللغويين ، ثم توقفت حركة  
الجمع هذه بعد فترة ، واقتصر جهاد العلماء  
بعد ذلك ، على تبويب هذه المادة وعرضها  
بطرق مختلفة ، وبذلك أغفلوا ناحية مهمة ،  
من نواحي الدراسات اللغوية ، تلك هي  
ناحية التطور اللغوي ، في نواحي : الأصوات  
والبنية ، والدلالة ، والأسلوب ، فلم يحاول  
مثلاً أحد المؤلفين في المعاجم في القرن الرابع  
أو الخامس الهجري مثلاً ، أن يبين لنا تطور  
معنى الكلمة ، التي جمعها من قبله أحد علماء  
القرن الثاني الهجري ، وبعبارة أخرى :  
لم يبين لنا المعنى ، الذي كان يفهم من الكلمة  
في عصره ، كما أنه لم يبين لنا كيف كانت  
تنطق الكلمة ، في لغة المتخاطب في عصره ،  
وليس لدينا في هذا المجال سوى إشارات  
سريعة ، فيما يسمى بكتب « لحن العامة » .

٢ - قصور هذه المعاجم في الاستدلال  
على المعنى بالشواهد أحياناً ، فهي رغم غناها  
بالشواهد ، من القرآن الكريم ، والحديث  
الشريف ، والأمثال ، والشعر ، فيها  
الكثير من المواد ، التي تخلو من هذا الشعر  
بخلاً تاماً ، مما قد يشكك في صحة ورودها  
عن العرب ، مثل المواد : كثل ، وكثل ،  
وكندش ، وكندس ، وغيرها .

وهذه الناحية تستدرك الآن ، بعمل معجم  
للغة العربية ، يستمد ألفاظه من الشعر والنثر ،  
وهذا المعجم ، بدأه المستشرق الألماني

« أوجست فيشر » A. Fischer في المجمع  
اللغوي بالقاهرة ، ويخرجه الآن نخبة من  
المستشرقين الألمان ، وعلى رأسهم أستاذنا  
بروفسور « شبيتالر » A. spitaler  
رئيس معهد اللغات السامية بجامعة ميونخ .

٣ - رغم أن شيئاً من اللغات السامية ، كان  
معروفاً لدى بعض اللغويين العرب ، فإنهم  
لم يفيدوا من هذه المعرفة ، في مقارنة العربية  
بأخواتها الساميات ، كالعبرية والآرامية  
والحبشية ، ومن الممكن أن تفيد هذه المقارنات  
في إلقاء الضوء على الدلالات المركزية  
والدلالات الهامشية ، لهذه اللفظة أو تلك ،  
والفصل في قضية التعريب والمولد والدخيل  
وغیرها من المصطلحات التي تمتلي بها معاجمنا  
العربية ، دون تحديد واضح لتلك المصطلحات .

٤ - التضعيف الذي نلاحظه في المؤلفات  
المتأخرة ، مثل : « لسان العرب » لابن منظور  
و « تاج العروس » للزبيدي . والسر في  
ذلك يرجع - في نظري - إلى نقل المادة  
اللغوية الواحدة ، من أكثر من مصدر ،  
فمثلاً ينقل صاحب اللسان عن « تهذيب  
اللغة » للأزهري ، و « المحكم »  
لابن سيده ، و « الصحاح » للجوهري ،  
وكل واحد من هذه المعاجم الثلاثة ، استخدم  
بعض المصادر التي استخدمها الآخر ،  
كالغريب المصنف لأبي عبيد ، ولذلك تقابلنا  
مثلاً عبارات هذا الكتاب الأخير في « لسان  
العرب » منقولة ثلاث مرات ، عن المصادر  
الثلاثة المتقدمة .

٥ - تخلط هذه المعاجم كثيراً ، بين مستوى العربية الفصحى ، واللهجات القديمة ، في اللفظ والدلالة ، بلا إشارة إلى ذلك في كثير من الأحيان ، مثل : السراط والصراط والزراط ، بمعنى : الطريق مثلاً ، وكذلك كلمة « العجوز » مثلاً ، أكثر من سبعين معنى ، من بينهما : الإبرة ، ، والجوع ، والسمن ، والقبلة ، واليد اليمنى . فن الحال أن تكون هذه المعاني جميعها ، مستعملة في الفصحى وحدها .

٦ - انتاب المادة اللغوية الكثيرة من التصحيف والتحريف ، بسبب كثرة تعاور النساخ لها على مر العصور . وقد وقع اللغويون العرب ، في وهم هذا التصحيف والتحريف في معاجمهم ، كالتحريف الذي وقع فيه الجوهري صاحب « الصحاح » حين استشهد على أن « اللجز » مقلوب : « اللزج » بيت ابن مقبل :

يعلون بالمردقوش الورد ضاحية  
على سعايب ماء الضالة اللجز

ونسى أن هذا البيت من قصيدة نونية في ديوان ابن مقبل<sup>(١)</sup> ، وصحة الروي فيه : « اللجن » !

وهذا هو محمد بن المستنير المعروف بقطرب والمتوفى سنة ٢٠٦ هـ ، يجعل في كتابه عن « الأضداد » كلمة : « برد » بمعنى :

التبريد والتسخين ، ويسوق على المعنى الثاني شاهداً ، هو قول الشاعر :

عافت الماء في الشتاء فقلنا  
برّديه تصاد فيه سخينا<sup>(٢)</sup>

ولا شك أن هذا تحريف لعبارة : « بل رديه » من الورود لشرب الماء ، قال أبو الطيب اللغوي في التعليق على هذا البيت : « قال قطرب : معنى برديه في هذا البيت : سخنيه . وقال أبو حاتم : هذا خطأ ، إنما هو : بل رديه ، من الورود ، ولكنه أدغم اللام في الراء ، كما يقرأ : « كلا بل ران على قلوبهم » قال أبو الطيب : وهذا الصحيح ، وبه يستقيم معنى البيت<sup>(٣)</sup> . »

ومثل ذلك أيضاً ، ما وقع فيه « الفيروز آبادي صاحب : « القاموس المحيط » حين نقل في معجمه<sup>(٤)</sup> ، أن : السواف - كسحاب - القشاء ، وداء يأخذ الإبل فتهلك . ومادري الفيروز آبادي أن هذا القشاء « ليس إلا تصحيفاً لكلمة : « الفناء » وهو : الهلاك ، الموجود في المعنى الثاني ، الذي ذكره .

٧ - عدم المنهجية في ترتيب مفردات المادة الواحدة ، فيتحتم على المرء في كثير من الأحيان ، أن يقرأ المادة كلها ، للعثور على بغينه ، إذ يلزمك أن تقرأ عشر صفحات في مادة ( عرف ) ، إذا كنت تبحث مثلاً معنى كلمة : « معرفة الفرس » وماشابه ذلك .

(٢) أضداد قطرب ٢٥٨

(٤) القاموس المحيط ( سوف ) ١٥٥/٣

(١) ديوان ابن عقيل ٣٠٧

(٣) أضداد أبي الطيب ٨٦/١

هذه هي أبرز العيوب في هذا القطاع اللغوي في العربية : وفي مقدورنا بالطبع التغلب على هذه العيوب ، إذا أعادنا النظر مرة أخرى في معاجمتنا اللغوية ، فصفيناها من الحشو والتكرار ، وفقه لنا بين مستوى الفصحى واللهجات القديمة ، في ألفاظها ومدلولاتها ، ورتبنا كلمات المادة الواحدة ، ترتيباً منهجياً صارماً ، وأعدنا استقراء النصوص القديمة من جديد ، لنخلص هذه المعاجم مما فيها من تحريف أو تصحيف ، أو مواد هي من صنع اللغويين ، ولم تجربها ألسنة العرب القدماء .

هذا ، ويعمل مجمع اللغة العربية بالقاهرة على إخراج معجم كبير للغة العربية ، مستخدماً المعاجم العربية ، التي وصلت إلينا ، إلى جانب كتب الأدب واللغة ، ودواوين الشعراء . وقد اتبع في تأليفه منهجاً صارماً ، تغلب فيه على شيء من العيوب السابقة . وقد خرج الجزء الأول من هذا « المعجم الكبير » خاصاً بحرف الهمزة ، وطبع بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٧٠ م ، وهو جهد يتطلب الكثير من الوقت ، وتعاون المتخصصين في هذا الميدان .

• • •

هذا هو جانب المعجم في تراثنا اللغوي : .. فإذا جئنا إلى الدراسة الخاصة بنظام الجملة ، ووظائف الكلمات في داخل الجملة ، وجدنا تراثاً ضخماً ، تباهى به الأمة العربية سائر

الأمم في هذا المضمار ، وقد وصل إلينا أول كتاب في هذا المجال كاملاً ، يهر النفوس ، ويستحوذ على القلوب ويبحث على الإعجاب بعقلية مبدعه ، وتفكير منشئه ، وهو كتاب سيبويه النحوي البصري المشهور ( المتوفى سنة ١٨٠ هـ ) . وتوالت المؤلفات العربية في هذا الميدان بعد سيبويه ، ومن أهم هذه المؤلفات : كتاب « المقتضب » لأبي العباس المبرد ( المتوفى سنة ٢٨٥ هـ ) ، و « أصول النحو » لابن السراج ( المتوفى سنة ٣١٦ هـ ) ، و « الحمل » للزجاجي ( المتوفى سنة ٣٤٠ هـ ) ، و « المفصل » للزمخشري ( المتوفى سنة ٥٣٨ هـ ) و « الإنصاف » لأبي البركات بن الأنباري ( المتوفى سنة ٥٧٧ هـ ) ، و « شرح المفصل » لابن يعيش ( المتوفى سنة ٦٤٣ هـ ) ، و « الألفية » المشهورة ، لابن مالك ( المتوفى سنة ٦٧٢ هـ ) ، وكتب العلامة المصري « ابن هشام » ( المتوفى سنة ٧٦١ هـ ) كشاور الذهب ، و قطر الندى ، وأوضح المسالك ، ومغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، وشرح الأشعموني ( المتوفى سنة ٨٧٢ هـ ) على ألفية ابن مالك ، و « جمع الهوامع » لجلال الدين السيوطي ( المتوفى سنة ٩١١ هـ ) ، وغير ذلك كثير كثير .

وإن من يتصفح هذه المؤلفات الكثيرة يعجب من الجهد المبذول فيها حقاً ، غير أنه بفضل وسط الآراء الجدلية النظرية ، التي

لا تفيد كثيراً في الدرس النحوي ، والاعتداد  
عن الواقع اللغوي إلى الافتراض ، وانظر  
معنى إلى قول الزجاج مثلاً : « والمأزني يجبر  
في : يأبها الرجل ، النصب في الرجل ، ولم  
يقبل بهذا القول أحد من البصريين غيره ،  
وهو قياس ، لأن موضع المفرد المنادى نصب  
فحملت صدمته على موضعه : وهذا في غير  
يأبها الرجل جائز عند جميع النحويين ،  
نحو قولك : يازيد الظريف والظريف :  
والنحويون لا يقولون إلا : يأبها الرجل ،  
ويأبها الناس ، والعرب لغتها في هذا الرفع ،  
ولم يرد عنها غيره (١) .

ففي هذا النص نجد المأزني يبتدع لغة لم  
تجر على لسان العرب ، ويترك الواقع اللغوي ،  
إلى افتراضات قياسية ما أنزل الله بها من  
سلطان ، فإذا كان العرب قد قالوا : يازيد  
الظريف ، فلا مانع عند المأزني أن تقول :  
يأبها الرجل ، وإن لم تقل بذلك العرب .

وما صنيع المأزني في هذا الزمن القديم ،  
إلا كصنيع من يبتدع قياساً باطلاً في لهجات  
الخطاب المعاصرة ، ويدعيه على أصحاب  
هذه اللهجات ، فيجيز أن تجمع كلمة :  
« تاج » على : « أتواج » ، قياساً على جمع  
مال على أموال ، أو يعكس فيجيز أن تجمع  
كلمة : « مال » على : « ميلان » ، قياساً  
على جمع تاج على تيجان ، وما أشبه ذلك

ما لا يصح أن يدخل إلا في دائرة الأوهام  
والخيلات .

وأنت واقع هنا وهناك ، في التراث  
النحوي ، على كثير من التعليقات الواهية  
التي لا يستند لها قانون لغوي ، أو قاعدة كلية  
تسرى على مجموعة من اللغات البشرية ،  
وتأمل معنى قول الزجاج في تعليل إعراب  
المتنى من اسم الإشارة واسم الموصول :  
« فإن قال قائل : فما بالك تقول : أثنى اللذان  
في الدار ، ورأيت اللذين في الدار ، فتعرب  
كل ما لا يعرب في ثنيتيه نحو : هذان ،  
وهذين : وأنت لا تعرب : هذا ، ولا هؤلاء ؟  
فالجواب في ذلك أن جميع ما لا يعرب في  
الواحد مشبه بالحرف الذي جاء لمعنى ،  
فإذا ثنيت ، فقد بطل شبه الحرف الذي جاء  
لمعنى ، لأن حروف المعاني لاثنى (٢) .

وقد فات الزجاج أن الجمع يمكن أن يقال  
فيه ما قاله هو في التثنية ، من بطلان شبه  
الحرف الذي جاء لمعنى ، فلماذا لم يعرب إذن  
اسم الموصول المجموع مثل : « الذين » ، واسم  
الإشارة للمجمع ، مثل : هؤلاء ؟ !

وليست كل التفسيرات التي قدمها النحاة  
القديمي للظواهر اللغوية في العربية  
خطأً نحذر الناس منه ، أو خطايا نستغفر الله  
للنحاة العرب من الوقوع في أدرانها ، وإنما  
نحذر بعض شبابنا الباحثين ، من الوقوع أسرى

(١) معنى القرآن وإعرابه للزجاج ٦٤ / ١

(٢) معنى القرآن وإعرابه للزجاج ٣٤ / ١

لبعض هذه التفسيرات الواهية ، وندعوهم إلى إعمال العقل في المنقول عن هؤلاء النحاة من مختلف التفسيرات للظواهر اللغوية .

ولسنا في دعوتنا هذه نخرج كبيراً عن منهج كبار علمائنا القدامى ، ورحم الله عبقرى العربية ، الخليل بن أحمد ، حين سئل عن العلل التي يعتل بها في النحو ، فقبل له : عن العرب أخذتها أم اخترعتها من نعمتك ؟ فقال : إن العرب نطقت على سبيلها وطاعها ، وعرفت مواقع كلامها ، وقام في عقولها علله ، وإن لم ينقل ذلك عنها . واعتلت أنا بما عندي أنه علة لما عللته منه ، فإن أكن أصبت العلة فهو الذي التمس ، وإن تكن هناك علة أخرى له ، فشئى في ذلك مثل رجل حكيم ، دخل داراً محكمة البناء ، عظيمة النظم والأقسام ، فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شئ منها ، قال : إنما فعل هذا هكذا لعلته كذا وكذا ، ولسبب كذا وكذا ، سنحت له وخطرت بباله ، محتملة لذلك . فجائز أن يكون الحكميم الباني للدار ، فعل ذلك للعللة ، التي ذكرها هذا الذي دخل الدار ، وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلة ... فإن سنح لغيرى علة لما عللته من النحو ، هي أليق مما ذكرته بالمعلول ، فليأت بها (١) .

ومن الأمور التي تلفت النظر ، في تراثنا النحوى الضخم ، خلوه في بعض الأحيان من الاستقراء الكامل ، لبعض

صور الظاهرة الواحدة ، من الظواهر النحوية ، ويكفى أن نذكر هنا بما يقوله النحاة ، منذ أيام سيبويه ، من أن الاستثناء في الكلام التام غير الموجب المنقطع ، كما في مثالهم لمشهور : «ما قام القوم إلا حماراً» يجب فيه نصب المستثنى على لغة أهل الحجاز وبها نزل قول الله تعالى : «ما لهم به من علم إلا اتباع الظن» . أما بنو تميم فلمهم يجيزون فيه الإتياع .

كقول زياد بن حمى التميمي :  
ليست عليهم إذا يغدون أردية  
إلا جياذ قسى النبع واللجم (٢)  
وليس النحاة على حق في هذا ، فليس بنو تميم وحدهم في تجويز الإتياع هنا ، فهلذا جران العود النخري يقول :  
وبلدة ليس بها أنيس  
إلا اليعافير وإلا العيس (٣)  
كما يقول ضرار بن الأزور في يوم اليمامة :  
عشية لا تغنى الرماح مكانها  
ولا النبل إلا المشرقي المصمم (٤)  
وضرار شاعر من بني أسد (٥) ومثله قول الأخطل التغلبي :  
فراوية السكران قفر فما لهم  
بها شبح إلا سلام وحرمل  
والسلام : الحجارة ، والحرمل : شجر (٦) .  
ومثله قول سعد بن مالك بن ضبيعة ،

(١) الإيضاح في علل النحو للزجاجي ٦٥

(٢) انظر : الحماسة بشرح المرزوقي ق ٣٩/٥٧٧ ص ١٤/٢ (٣) ديوانه ص ٥٢

(٤) انظر : تاريخ الطبرى ٢٩٧/٣ (٥) انظر : جبهة الأنساب لابن حزم ١٩٣

(٦) ديوان الأخطل ص ٢

جد طرفة بن العبد البكرى :

والحرب لا يبقى لحاحمها

التخييل والمراح

إلا الفتى الصبار فى الله

جندات والفرس الوقاح<sup>(١)</sup>

فهذه الأبيات — كما ترى —

لشعراء من نمير ، وأسد ، وتغلب ،

وبكر ، وغيرها كثير ، يثبت أن استقراء

النحاة العرب لهذه الظاهرة ، كان استقراء

ناقصا .

ومن العجب قول المرزوقى فى شرح

هذين البيتين الأخيرين ؛ إلا الفتى ، ارتفع

على أنه يدل من التخييل ، وهذه لغة تميم ،

بل إنه ليلاحظ فى هذا التراث النحوى ،

أن فيه متابعة ، تكاد تكون كاملة ، لكثير مما

جاء به سيبويه فى كتابه ، دون تمحيص

أو تدقيق ، على ما فى بعض مسائله أحيانا

من الخطأ المبني على تحريف فى الرواية

أو تغيير فى الشواهد العربية ؛ وهذا مثال

واحد ، من أمثلة كثيرة ، يدل على صدق

ما نذهب إليه :

يرى النحاة العرب ، منذ أيام سيبويه ،

أن ( كان ) الناسخة تحذف وحدها أحيانا

وذلك بعد أن المصدرية ، فى مثل قولك ،

«أما أنت منطلقاً انطلقت» ، وأصله — كما

يقول النحاة — انطلقت لأن كنت منطلقا ،

ثم قدمت اللام وما بعدها على : «انطلقت»

للاختصاص ، ثم حذفت اللام للاختصار ،

وحذفت «كان» لذلك فانفصل الضمير ،

ثم زيدت ( ما ) للتعويض ، ثم أدغمت

النون فى الميم للتقارب .

هكذا يقول النحاة العرب ، ويستشهدون

على ذلك ، بقول العباس بن مرداس

السلمى :

أبا خراشة أما أنت ذا نفر

فإن قومي لم تأكلهم الضبيع<sup>(٢)</sup>

وقول الشاعر :

إما أقمت وأما أنت مرتحلا

فالله يكلاً ما تأتى وما تذر<sup>(٣)</sup>

ويبدو أن هذه المسألة ، مبنية على تحريف

وقع فى بيت العباس بن مرداس السلمى ،

وهو البيت الوحيد الصحيح النسبة ،

بين شاهدى هذه المسألة ، لأن البيت

الثانى يروى بلا نسبة ، كما أنه يحتوى على

عبارات إسلامية ظاهرة ، مما يدل على أنه

مسموع بعد وضع القاعدة ، وعلى ضوئها .

وهذا يعنى أن المسألة لا وجود لها فى

اللغة العربية أصلا ، وأن النحاة وعلى رأسهم

سيبويه أو شيوخه ، قد وقعوا فى التحريف

فى بيت العباس بن مرداس وقاسوا عليه

أمثلتهم الأخرى ، وأن صواب رواية

البيت :

أبا خراشة إما كنت ذا نفر

فإن قومي لم تأكلهم الضبيع

هكذا : «إما كنت» بدلا من : «أما أنت»

التي يزعم النحاة ، منذ أيام سيبويه ، أن

(١) شرح المرزوقى للحماسة ٥٠١/٢ (٢) كتاب سيبويه ١٤٨/١ (٣) خزانة الأدب ٨٢/٢

البيت يروى بها و «إما» هذه هي : «إن»  
الشرطية المؤكدة بما الزائدة ، وهي كثيرة  
في الكلام العربي ، ويأتي بعدها المضارع  
كقوله تعالى : «إما تخافن من قوم خيانة»  
فأنبه إليهم على سواء » والماضى كقول  
الأبيورد الرياحي :

فلا يبعد نك الله إما تركتنا

حميدا وأودى بعدك المحمد والفخر (١)  
ولعل الدليل على صحة ما نقول ،  
أن بيت العباس بن مرداس ، يروى  
كثيرا في غير كتب النحو ( التي ينقل  
بعضها عن بعض ) ، بالرواية الصحيحة ،  
وهي : «إما كنت» ويكنى أن تراجع ذلك  
في كتاب العين للخليل بن أحمد ٣٣١/١  
وجمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري  
١١٠/٢ وتهذيب الألفاظ لابن السكيت  
٢٦ وحماسة الخالدين ٨٩/١ وجمهرة  
اللغة لابن دريد ٣٠٢/١ وشرح نهج  
البلاغة لابن أبي الحديد ٤٣/١ ولسان  
العرب ( خرش ) ١٤٣/٨ والاشتقاق  
لابن دريد ٣١٣ والشعر والشعراء لابن قتيبة  
٣٤١/١ وشرح ديوان جرير لمحمد بن حبيب  
٣٤٩/١ والحيوان للجاحظ ٢٤/٥ ، ٤٤٦/٦  
وغير ذلك

وهذا مثال ثان يؤكد ما قلناه ، من  
ابتداع بعض النحاة العرب لشيء من  
القواعد ، بناء على رواية مغيرة لهذا الشاهد  
أو ذاك من شواهد الشعر ، يقول ابن قتيبة :  
وقد رأيت سيبويه يذكر بيتا يحتاج به ،

(١) الكامل للبرد ٢١٥/١

في نسق الاسم المنصوب على المخفوض ، على  
المعنى ، لا على اللفظ ، وهو قول الشاعر :  
معاوى إننا بشر فأسجج  
فلسنا بالجبال ولا الحديد  
قال : كأنه أراد : لسنا الجبال ولا  
الحديد ، فرد الحديد على المعنى قبل دخول  
الباء . وقد غلط على الشاعر ، لأن هذا  
الشعر كله مخفوض ، قال الشاعر :  
فهبها أمة ذهبت ضياعا  
يزيد أميرها وأبو يزيد  
أكلتم أرضنا وجردتموها  
فهل من قائم أو من حصيد  
ويحتاج أيضا بقول الهذلي في كتابه ،  
وهو قوله :

بيت على معاري فاخترات

بهن ملوب كدم العباط

وليست هاهنا ضرورة ، فيحتاج  
الشاعر إلى أن يترك صرف « معار » .  
ولو قال : يبيت على معار فاخترات ، كان  
الشعر موزونا ، والإعراب صحيحا .  
قال أبو محمد : وهكذا قرأته على أصحاب  
الأصمعي : وكقوله في بيت آخر :

ليبك يزيد ضارع لخصومة

ومختبط مما تطيح الطوائح

وكان الأصمعي ينكر هذا ، ويقول :  
ما اضطره إليه ؟ الرواية : لييلك يزيد  
ضارع لخصومه (٢)

ولقد أسهم النساخ والطابعون ، في  
شيوخ التصحيف والتحريف في كثير  
من شواهد النحو ، ومسائله وقضاياها ،

(٢) الشعر والشعراء ٩٨/١

وأصبح من الواجب علينا التدقيق في إخراج هذه الكتب محققة ، على وجه تخلص فيه من مثل التحريفات الشنيعة ، التي تتداول بين المدارس بين ، في مشاهير الكتب النحوية ، فقد استشهد ابن عقيل في شرحه لألفية ابن مالك ، على جواز نصب المفعول لأجله ، إذا كان محلي بالألف واللام ، بقول قريط ابن أنيف : فليت لي بهم قوما إذا ركبوا شنوا الإغارة فرسانا وركبانا

والبيت على هذه الرواية ، التي جاءت في كتاب ابن عقيل ، ليس فيه شاهد على هذه المسألة ، لأن « الإغارة » مفعول به ، وليس مفعولا له . والذي في شعر قريط بن أنيف « شدوا الإغارة » . ويقول التبريزي في تفسيره : « ويروى شنوا الإغارة » ، أي فرقوها ، ومن روى : شدوا الإغارة ، فليس الإغارة مفعولا به ، ولا انتصابها على ذلك ، لكن انتصابها انتصاب المفعول له ، أي شدوا للإغارة<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن ما في كتاب ابن عقيل تحريف للرواية الأخرى ، « شدوا » وأن المراد : شدوا التحليل للإغارة ، وإن كان شراح شواهد ، كالشيخ عبد المنعم الجرجاوي والشيخ قطة العدوي ، يريان حذف المفعول به هنا أيضا ، فيقولان : « إن المعنى شنوا أنفسهم لأجل الإغارة على العدو » مع أن الذي في المعاجم : « شن الغارة » أي

(١) الخصائص ٦٩/١

فرقها . ولم يقل : « شنوا أنفسهم » فيما وقفت عليه من نصوص العربية .

\* \* \*

أما كتب فقه اللغة العربية : من تراثنا اللغوي فإنها حقا تبث على الإعجاب والإكبار ، إذ يظهر في شيء غير قليل من قضاياها . سبق علمائنا القدامى لأحدث النظريات اللغوية في العصر الحديث : بألف عام أو يزيد . وعلى رأس هذه الكتب : « الخصائص » و « سر صناعة الإعراب » للإمام ابن جني ( المتوفى سنة ٣٩٢ هـ ) و « الصاحي في فقه اللغة » لابن فارس اللغوي ( المتوفى سنة ٣٩٥ هـ ) ، و « المزهر في علوم اللغة وأنواعها » للإمام السيوطي ( المتوفى سنة ٩١١ هـ ) . في هذه الكتب وغيرها ، علم كثير . ونظريات لغوية . تقف شامخة أمام ما وصل إليه العلماء . في عصر التكنولوجيا الحديثة ، والعقول الإلكترونية .

ولكنك تعجب حين ترى في بعضها اشتغال هؤلاء العلماء ، بشيء من التعليقات الواهية ، والجدل العقيم ، واسمع معي إلى قول ابن جني ، متسائلا : لماذا رفع الفاعل ونصب المفعول ؟ ثم يجيب بقوله : « لأن الفعل لا يكون له أكثر من فاعل واحد وقد يكون له مفعولات كثيرة . فرفع الفاعل لقلته ، ونصب المفعول لكثرتة وذلك ليقل في كلامهم ما يستثقلون ، ويكثر في كلامهم ما يستخفون » .

كما يقول ابن جني في موضع آخر :  
«لماذا يكثر الأصل الثلاثي في اللغة العربية ،  
دون الرباعي والخماسي ؟ الجواب هو :  
لأنه حرف يبتدأ به ، وحرف يحشى  
به ، وحرف يوقف عليه . وليس اعتدال  
الثلاثي لقلة حروفه فحسب ، لو كان  
كذلك لكان الثنائي أكثر منه ، لأنه أقل  
حروفا ، وليس الأمر كذلك ، وأقل  
منه ما جاء على حرف واحد : . فتمكن  
الثلاثي إنما هو لقلة حروفه - لعمري -  
ولشيء آخر ، وهو حجز الحشو الذي هو  
عينه بين فائه ولامه . وذلك لتباينهما  
ولتعادي حالهما ، ألا ترى أن المبتدأ  
لا يكون إلا متحركا . وأن الموقوف  
عليه لا يكون إلا ساكنا ؟ فلما تنافرت  
حالاهما ، وسطوا العين حاجزا بينهما ،  
لئلا يفجئوا الحس بضد ما كان آخذ فيه (١) ،  
ويدلك على ما نقول كذلك هذا ،  
الجدل العنيف ، الذي يشيره ابن جني  
حول الحركة القصيرة . أهى قبل الحرف ،  
أو معه ، أو بعده ؟ وبدلا من أن يلجأ  
إلى التجربة . أخذ يستخدم منطق أرسطو ،  
في التدليل على أن الحركة القصيرة تقع  
بعد الحرف ، مثلها في ذلك مثل حروف  
المد وهي الألف والواو والياء ، فيقول :  
«واعلم أن الحركة التي يتحملها الحرف ،  
لا تخلو أن تكون في المرتبة قبله ، أو معه  
أو بعده ، فمحال أن تكون الحركة في

المرتبة قبل الحرف ، إذ لو كانت كذلك  
لما جاز الإدغام في الكلام أصلا ، ألا  
تري أنك تقول : قطع ، فتدغم الطاء  
الأولى في الثانية ، ولو كانت حركة الطاء  
الثانية في الرتبة قبلها ، لكانت حاجزة  
بين الطاء الأولى والطاء الثانية ، ولو كان  
الأمر كذلك لما جاز إدغام الأولى في  
الثانية ، فجواز الإدغام في الكلام دلالة  
على أن الحركة ليست قبل الحرف المتحرك  
بها . . . . . وبقي أن تكون معه أو بعده ،  
وفي الفرق بينهما بعض الإشكال ، فالذي  
يدل على أن حركة الحرف في المرتبة  
بعده ، أنك تجدها فاصلة بين المثليين ،  
نحو قولك : قصص ، ومضض ، فإن  
ظهر هذان المثالان ، ولم يدغم الأول منهما  
في الآخر منهما ، فظهرهما دلالة على فصل  
واقع بينهما ، وليس هاهنا فصل البتة ،  
غير الحركة المتأخرة عن الحرف الأول (٢) .

أما أبو علي الفارسي ، فإنه لم يتصور  
إمكان استقلال الحركة بالنطق ، ولم  
يستطع أن يفرق بين الصوت الصامت  
والحركة ، هذه التفرقة ، فكان يرى  
أن الحركة تحدث مع الحرف يقول ابن  
جني : «واستدل أبو علي على أن الحركة  
تحدث مع الحرف ، بأن النون الساكنة  
إذا تحركت ، زالت عن الحياشيم إلى الفم ،  
وكذلك الألف إذا تحركت انقلبت همزة

(١) الخصائص ١ / ٥٥

(٢) سر صناعة الإعراب ١ / ٣٢

فدل ذلك عنده ، على أن الحركة تحدث مع الحرف ، وهو لعمري استدلال قوى<sup>(١)</sup> .

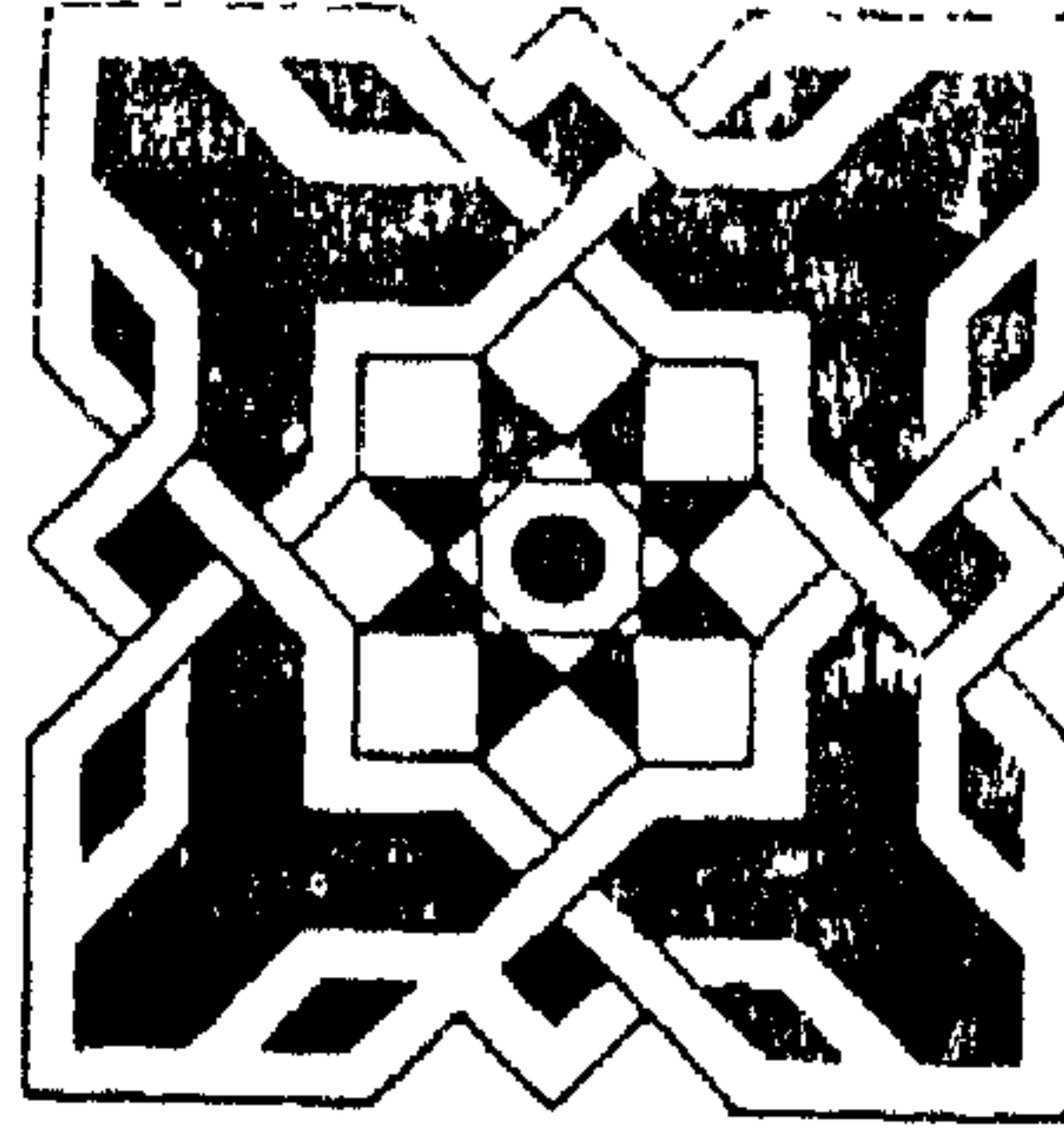
وقد فات أبا على الفارسي ، أن الذي يزول عن الخياشيم إلى الفم ، هو الحركة وليست النون ، وأن الذي يتحرك هو الهمزة ، وليست ألف المد ، لأن ألف المد حركة طويلة ، والحركة لا تحرك !

ولم تخل هذه الكتب كذلك من داء التصحيح والتحريف ، الذي ابتليت به الكتابة العربية ، منذ انقلم ، فقد وقع في كتاب « المزهر » للسيوطي النص التالي :  
« قال ابن درستويه في شرح الفصيح : قول العامة نحوى لغوى على وزن : جهل يجهل ، خطأ أو لغة رديئة » .  
وفي هامشه تعليقا على عبارة : « نحوى

لغوى » قال محققو المزهر : « لم نقف على ضبط هذه العبارة ! »

وهذا الذي لم يقف على ضبطه محققو الكتاب ، موجود على الصواب في تصحيح الفصيح لابن درستويه ، وهو قوله :  
« فتقول : غوى يغوى على نحو جهل يجهل » :  
هذه هي بعض الملاحظات ، التي لم يقصد كاتبها إلى الحصر والاستقصاء ، وإنما هو تنبيه للأذهان ، إلى أنه قد آن الأوان لتنقية تراثنا اللغوي من كل هذه الشوائب ، التي تركت آثارها الجذرية ، في وجه اللغة الحسنة ، لغتنا الجميلة :  
وما توفيتي إلا بالله عليه توكلت ، وإليه أنيب .

رمضان عبد التواب  
الخبير بالمجمع



(١) سر صناعة الإعراب ٣٧/١ ومع تحس ابن جني لرأى أستاذه أبي على الفارسي هنا ، ووصفه دليله بأنه « استدلال قوى » فإنه لم يرتض هذا الرأي في كتابه الخصائص ٢-٣٣٤ ورد استدلاله هناك .

# الحركة الأخيرة في الكلمات العربية المقترضة في لغة الهوسا للدكتور مصطفى حجازي السيد

(ب) الأعلام المنتهية بالألف المقصورة :

(ج) الأعلام المنتهية بالألف الممدودة .

(د) الأعلام التي ترد كثيراً في حالة النصب في القرآن الكريم .

٣- حركة الكسرة : وتأتي في نهاية الأعلام التالية :

(أ) الأعلام المركبة من المضاف والمضاف إليه

(ب) الأعلام المنتهية بحركة الكسرة الطويلة .

(ج) في حالة حذف المقطع الأخير من الاسم ، وانتهاء المقطع السابق على المحذوف بالكسرة .

(د) أعلام قليلة لم يمكن تحليلها .

ثانياً : الكلمات الأخرى : وتنتهي بالحركات التالية :

١- حركة الفتحة وتأتي مشروطة وغير مشروطة .

من هذا البحث هو دراسة ظاهرة لغوية

**الفرض**

هامة في الكلمات العربية المقترضة في لغة الهوسا . وهي الحركة الأخيرة في الكلمة المقترضة ، وتقوم المادة العلمية لهذه الدراسة على ما جمعت من مفردات لغوية أثناء قراءتي لكتب الأدب الهوسوي المذكورة في نهاية هذا البحث . وبدراسة هذه المادة المقترضة أمكن تقسيمها إلى قسمين القسم الأول ويشمل أسماء الأعلام العربية والمعربة المستعملة في اللغة العربية . والقسم الثاني ويشمل الكلمات الأخرى . وقد أمكن بعد استقراء المادة العلمية بكل قسم توزيعها على النحو التالي :

أولاً : اسم العلم : وينتهي بالحركات التالية :

١- حركة الضمة وهي الحركة السائدة .

٢- حركة الفتحة : في الحالات التالية :

(أ) الأعلام المنتهية بتاء التانيث .

في بداية هذا البحث أقدم بالشكر إلى د. محمد دهمي حجازي لملاحظاته القيمة التي أفادتني كثيراً في إخراج هذا العمل هذه الصورة .

(أ) حركة الفتحة المشروطة وتأتي في الحالات التالية :

- ١- في نهاية الكلمات التي أصلها فعل ماضى مبنى على الفتحة .
- ٢- في حالة حذف المقطع الأخير من الكلمة وانتهاء المقطع السابق على المحذوف بالكسرة .

- ٣- الكلمات المنتهية بالألف المقصورة .
- ٤- الكلمات المنتهية بالألف الممدودة .
- ٥- الكلمات المنتهية بتاء التانيث .
- ٦- كلمات مقترضة كما هي .

(ب) حركة الفتحة غير المشروطة وتأتي في نهاية عدد محدود من الكلمات منها :

- ١- كلمات أصلها مصدر .
- ٢- كلمات أصلها مصدر ميمي .
- ٣- كلمات أصلها اسم فاعل .
- ٤- كلمات أصلها اسم زمان .
- ٥- كلمات أصلها اسم جامد .
- ٢- حركة الكسرة وهي الحركة السائدة باستثناء الحالات السابقة وتأتي في نهاية الكلمات التالية :

- (أ) كلمات أصلها اسم فاعل .
- (ب) كلمات أصلها اسم مفعول .
- (ج) كلمات أصلها مصدر .
- (د) كلمات أصلها اسم جامد .
- (هـ) كلمات أصلها صفة .

- ٣- حركة الضمة تأتي في نهاية عدد محدود جداً من الكلمات التالية :
- (أ) كلمات أصلها مصدر .

(ب) كلمات أصلها اسم جامد .  
٤- السكون : ويأتي في نهاية الكلمات التالية :

- (أ) في نهاية الكلمات المقترضة منونة .
- (ب) في نهاية العقود من عشرين إلى تسعين .

- (ج) بعض الكلمات المنتهية بصوت النون .
- (د) بعض الكلمات المنتهية بصوت الراء وغيرها من الأصوات .

هذا عرض سريع للبحث وفي الصفحات التالية التفاصيل المدعمة بالأمثلة والأنماط المختلفة لكل حالة .

#### أولاً : أسماء الأعلام :

إذا نظرنا إلى اسم العلم في اللغة العربية من حيث الرفع والنصب والجر ، يبدو أن حالة الرفع هي أكثر الحالات شيوعاً ، إذ أنها ترتبط بالتركيب اللغوي . حيث تتركب اللغة من مجموعة من الجمل الفعلية والإسمية : وفي كلتا الحالتين ، يأتي الاسم مرفوعاً ، حيث يكون مبتدأ في الجملة الإسمية ، أو فاعلاً أو نائباً للفاعل في الجملة الفعلية ، وبدراسة أسماء الأعلام التي قمت بجمعها استطعت تحديد الحالات التي يأتي فيها الاسم مضموماً أو مفتوحاً أو مجروراً . على النحو التالي :

#### حركة الضمة :

لأسباب التي سبق ذكرها كانت الحركة الشائعة في نهاية أسماء الأعلام الهوسوية .

المقترضة من اللغة العربية هي حالة الرفع ،  
حيث يضعون حركة الضمة القصيرة في نهاية  
كل اسم كما نلاحظ في الأمثلة التالية :

الأمثلة :

|      |   |           |
|------|---|-----------|
| آدم  | < | ?aadamu   |
| أمين | < | ?amiinu   |
| عمر  | < | ?umaru    |
| سراج | < | Siraaaju  |
| شعيب | < | Shu ?aybu |
| معاذ | < | mu ?aazu  |
| نوح  | < | nuuhu     |
| زينب | < | zaynabu   |
| زبير | < | zubayru   |

حركة الفتحة :

ينتهي اسم المقترض بالفتحة في إحدى  
الحالات الآتية :

١ - إذا كان الاسم منتهياً بتاء التانيث ،  
حذفت التاء ، وبقيت حركة الفتحة السابقة  
عليها . على النحو التالي :

الأمثلة :

|       |   |         |
|-------|---|---------|
| أمينة | < | ?amiina |
| حبيبة | < | habiiba |
| خليجة | < | hadiiza |
| خليفة | < | haliifa |

|       |   |         |
|-------|---|---------|
| حايمة | < | haliima |
| هريرة | < | hurayra |
| رقية  | < | raqiia  |
| صفية  | < | safiiya |
| سكينة | < | sakiina |
| مكة   | < | maka    |

وقد شذ عن هذه القاعدة الأعلام التالية  
حيث لم تحذف من نهايتها تاء التانيث وانتهت  
بحركة الضمة القصيرة .

|       |   |           |
|-------|---|-----------|
| حفصة  | < | hafsatu   |
| سلامة | < | salaamatu |
| سارة  | < | saaratu   |

٢ - إذا كان اسم العلم ينتهي بألف التانيث  
الممدودة ، حذفت الهمزة وبقيت حركة  
الفتحة الطويلة :

مثال :

|      |   |       |
|------|---|-------|
| حواء | < | hawaa |
|------|---|-------|

٣ - إذا كان اسم العلم ينتهي بالألف  
المقصورة .

الأمثلة :

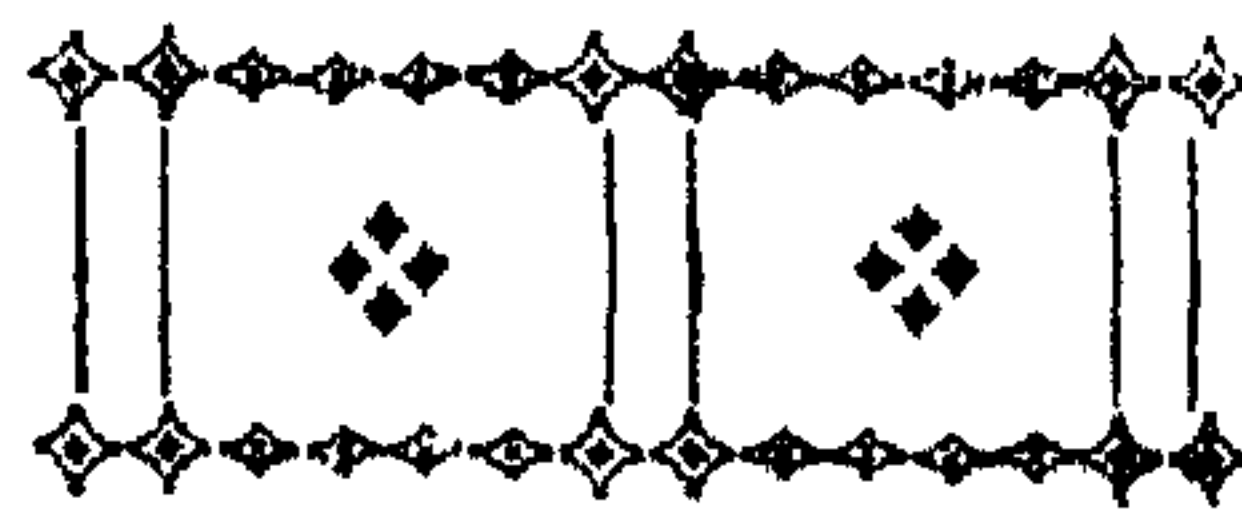
|       |   |         |
|-------|---|---------|
| عيسى  | < | ?iisa   |
| موسى  | < | muusa   |
| مصطفى | < | musḍafa |

ملحوظة : أ < ؟ ، ح < هـ ، ج < ز ، ش < sh ، ط < ḍ

٤ - أسماء الأعلام التي وردت كثيراً في القرآن الكريم منصوبة أو مجرورة بالفتحة وهي موضحة في الجدول التالي<sup>(١)</sup> :

| اسم العلم في اللغة العربية | اسم العلم المقترض في لغة الهوسا | عدد مرات وروده في القرآن الكريم |            |              |
|----------------------------|---------------------------------|---------------------------------|------------|--------------|
|                            |                                 | حالات النصب                     | حالات الضم | جملة الحالات |
| أيوب <                     | ?ayyuuba                        | ٤                               | —          | ٤            |
| داود <                     | dawda                           | ١٣                              | ٣          | ١٦           |
| فرعون <                    | fir ?awna                       | ٥٤                              | ١٦         | ٧٠           |
| هارون <                    | haaruuna                        | ١٧                              | ٣          | ٢٠           |
| عمران <                    | ?imraana                        | ٣                               | —          | ٣            |
| جبريل <                    | jibriila                        | ٢                               | ١          | ٣            |
| جهنم <                     | jahannama                       | ٥٨                              | ١٧         | ٧٥           |
| قارون <                    | qaaruuna                        | ٣                               | ١          | ٤            |
| إسماعيل <                  | samaa ?iila                     | ١١                              | ١          | ١٢           |
| يونس <                     | yuunusa                         | ٤                               | —          | ٤            |

ومن هذا يتضح أن الأسماء المنتهية بالفتحة أكثر ورودها بالقرآن منتهية بالفتحة :



(١) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة ١٩٤٥

## حركة الكسرة :

ينتهي اسم العلم العربي المقترض في لغة الهوسا بالكسرة في الحالات الآتية :

١ - إذا كان الاسم مركباً من المضاف والمضاف إليه فيكون المضاف مرفوعاً بالضمّة والمضاف إليه مجروراً بالكسرة على النحو التالي :

الأمثلة :

|                |   |            |
|----------------|---|------------|
| ?abdu?aziizi   | < | عبد العزيز |
| ?abdu?baasiḍi  | < | عبد الباسط |
| ?izzuḍḍiini    | < | عز الدين   |
| ?abdu?gaffaari | < | عبد الغفار |
| ?ablu?jabbaari | < | عبد الجبار |
| ?abdu?rahiimi  | < | عبد الرحيم |
| ?abdu?raaziki  | < | عبد الرازي |

٢ - إذا كان الاسم العربي المقترض ينتهي بحركة الكسرة الطويلة .

الأمثلة :

|            |   |        |
|------------|---|--------|
| ?alii      | < | علي    |
| ?ashmaawii | < | عشماوي |
| saanii     | < | ثاني   |
| suyuḍḍii   | < | سيوطي  |
| maadii     | < | مهدي   |

٣ - إذا حذف المقطع الأخير من الاسم وكانت الحركة السابقة على المقطع المحذوف كسرة بقيت كما هي على النحو التالي :

الأمثلة :

|        |   |       |
|--------|---|-------|
| bilkii | < | ياقيس |
| raabii | < | رابعة |

٤ - وإلى جانب الحالات السابقة وردت الأعلام الآتية منتهية بحركة الكسرة .

|           |   |       |
|-----------|---|-------|
| habiiḥii  | < | حبيب  |
| husayni   | < | حسين  |
| ?iidi     | < | إدريس |
| maalikii  | < | مالك  |
| walkiirii | < | نكير  |

## السكون :

والمقصود بالسكون هنا هو عدم وجود إحدى الحركات المذكورة آنفاً ، أي أن الاسم ينتهي بصوت صامت لا يليه أية حركة ، وقد جاءت الأعلام الآتية منتهية بصوت صامت .

الأمثلة :

|          |   |       |
|----------|---|-------|
| ?allah   | < | الله  |
| hasan    | < | حسن   |
| rajab    | < | رجب   |
| ramalaan | < | رمضان |
| safar    | < | صفر   |
| shabaan  | < | شعبان |
| shawwaal | < | شوال  |
| shayḍaan | < | شيطان |
| muharram | < | محرم  |

## ثانيا : الكلمات الاخرى :

والمقصود بالكلمات الأخرى تلك الكلمات التي ليست بأسماء أعلام ، وهي قلما تقتصر كما هي في اللغة العربية ، ولكن الغالب هو حدوث كثير من التغيرات في بنية الكلمة المقترضة حتى تتلاءم مع النظام البنيوي للغة الهوسا ، ومن التغيرات التي تحدث في هذه الكلمات ، ظاهرة الحذف الصوتي ، وإبدال أصوات الحلق والأطباق ، والأصوات التي تخرج مما بين الأسنان الأمامية . فيبدلون صوت الهمزة بالعين فيقولون — saa?a — بدلا من « ساعة » ويبدلون الهاء بالحاء فيقولون — haali — بدلا من « حال » وصوت الجيم القاهرية بالغين فيقولون — gargara — بدلا من « غرغرة » وصوت الهاء بالحاء فيقولون — husuuma — بدلا من « خصومة » .

وفي مجال الأطباق يبدلون صوت السين بالصاد فيقولون — sanaa?a — بدلا من « صناعة » واللام بالضاد فيقولون — ?alkaali — بدلا من « القاضي » ، وصوت الزاي بالظاء فيقولون — ?azzaalumi — بدلا من « الظالم » .

ويبدلون صوت التاء بالتاء فيقولون — tabbata — بدلا من « ثبت » الزاي باللام فيقولون — zimma — بدلا من « ذمة » (١) .

ومن ظواهر التغيرات الأخرى إضافة إحدى الحركات بين الصوتين الصامتين ، منعاً لالتقاءهما ، حيث يسود نظام المقطع المفتوح ، ولذلك كانت أكثر الصيغ العربية اقترضا صيغة فَعْلَلْ وفَعَّلَلْ حيث تستعمل الصيغة الأخيرة في لغة الهوسا للدلالة على تكرار الحدث من شخص واحد ، أو عدة أشخاص في وقت واحد ، فيقولون — yaa taara — بمعنى جمع ، ويقولون — yaa tattaara — بمعنى جمع .

ولما كانت اللغة العربية لغة إعراب عكس الحال في لغة الهوسا ، كانت قضية الحركة الأخيرة من الكلمة العربية المقترضة من القضايا الهامة التي تحتاج إلى دراسة ، وقد قمت بدراسة ٧٨٤ كلمة عربية مقترضة ، وتبعت الحركة الأخيرة في كل كلمة أصلية ، فكانت الكلمات التي تنتهي بحركة المفتحة ٣١٥ كلمة والتي تنتهي بحركة الكسرة ٣٦٠ كلمة والتي تنتهي بحركة الضمة ٣٦ كلمة ، بينما بلغ عدد الكلمات التي تنتهي بصوت صامت لا ياية حركة ٧٣ كلمة .

ومن هذا يتضح أن الحركة السائدة في نهاية الكلمات التي ليست بأسماء أعلام هي حركة الفتحة المشروطة — كما سنرى فيما بعد — وحركة الكسرة غير المشروطة بينما

(١) المزيد من التفاصيل أنظر الإبدال الصوتي في الكلمات العربية المقترضة في لغة الهوسا . للباحث ، والمنشور

في مجلة مجمع اللغة العربية العدد ٤٢

تسود حركة الضمة في نهاية أسماء الأعلام  
كما رأينا آنفاً . في بداية هذا البحث .

وفيما يلي دراسة للحركات النهائية في الكلمة  
العربية المقترضة والأنماط المختلفة التي جاءت  
فيها .

#### ١. - حركة الفتحة :

تأتي حركة الفتحة في نهاية الكلمة العربية  
المقترضة في لغة الهوسا مشروطة وغير مشروطة  
على النحو التالي .

#### أولاً : حركة الفتحة المشروطة :

تأتي حركة الفتحة المشروطة في نهاية  
الكلمات العربية التي أصلها فعل ماضى مبنى  
على الفتحة كما هو موضح فيما يلي :

( أ ) الأفعال الماضية على وزن فَعَلَّ :  
الأمثلة :

|         |   |      |
|---------|---|------|
| balaga  | < | باغ  |
| hasada  | < | حساد |
| la?ana  | < | لعن  |
| raka?a  | < | ركع  |
| sajada  | < | سجد  |
| sharaha | < | شرح  |
| sharada | < | شرط  |
| wajaba  | < | وجب  |

( ب ) الكلمات التي أصلها فعل ماضى  
على وزن فَعَّلَّ :  
الأمثلة :

|        |   |     |
|--------|---|-----|
| ?azina | < | أذن |
|--------|---|-----|

shaayda < شهد

wahima < وهم

( ج ) الكلمات التي أصلها فعل ماضى  
على وزن فَعَّلَّ :  
مثال :

rahusa < رَحُصَّ

( د ) الكلمات التي أصلها فعل ماضى  
على وزن فَعَّلَّ :  
الأمثلة :

|         |   |         |
|---------|---|---------|
| ?azzama | < | عَظَّم  |
| fallala | < | فَضَّل  |
| fassara | < | فَسَّر  |
| fawwala | < | فَوَّض  |
| jarraba | < | جَرَّب  |
| kaddara | < | قَدَّر  |
| sarrafa | < | صَرَّف  |
| wallafa | < | أَلْفَّ |

( هـ ) الكلمات التي أصلها فعل ماضى  
على وزن تَفَعَّلَّ :  
الأمثلة :

|            |   |          |
|------------|---|----------|
| ta?allaqa  | < | تَأَلَّق |
| ta?azzara  | < | تَعَزَّر |
| 'tadawwa?a | < | تَطَوَّع |
| tagayyara  | < | تَغَيَّر |

( و ) الكلمات التي أصلها فعل ماضى  
على وزن فَعَّالَ :  
مثال :

|         |   |          |
|---------|---|----------|
| sawaana | < | تَوَانَى |
|---------|---|----------|

(ز) الكلمات التي أصلها فعل ماضى  
على وزن فاعِلٌ :

مثال :

شاوَر < shaawara

(ح) الكلمات التي أصلها فعل ماضى  
على وزن فعَّ :

الأمثلة :

بَتَّ < batta

دَقَّ < daqqa

شَكَّ < shakka

(ط) الكلمات التي أصلها فعل ماضى  
على وزن إفْتَتَحَ :

مثال :

إنْتَهَى < ?intaha

(ك) الكلمات التي أصلها فعل ماضى  
على وزن فَعْمَلَلٌ :

مثال :

تَرْجَمَ < tarjama

٢- الكلمات التي يحذف منها المقطع  
الآخر : وتبقى حركة الفتححة السابقة عليها .

الأمثلة :

البَصَلَ < ?albasa

الْقَمَحَ < ?alkama

أَرْخَصَ < ?araha

الصَبَحَ < ?asuba

أَوْقَعَ < ?awka

نَكَرَانَ < nukura

تَكَرَّرَ < takara

٣- الكلمات المنتهية بالآلف المقصورة

الأمثلة :

دُنْيَا < duuniya

فَتَوَى < fatawa

هَدَايَا < hadaaya

مَعْنَى < ma?ana

٤- الكلمات العربية التي أصلها أسماء  
منتهية بآلف التأنيث المحدودة حيث تحذف  
الهمزة وتبقى حركة الفتححة الطويلة السابقة  
عليها :

الأمثلة :

الدَّعَاءُ < ?addu?aa

العِشَاءُ < ?al?isha

عَاشُورَاءُ < ?aashuuraa

العِشَاءُ < lishaa

رَجَاءُ < rajaa

رِيَاءُ < riya

صَحْرَاءُ < sahaara

شَعْرَاءُ < shu?ara

٥- الكلمات العربية التي أصلها أسماء  
منتهية بتاء التأنيث . حيث تحذف التاء وتبقى  
حركة الفتححة السابقة عليها وهي إما أسماء  
جامدة أو مصادر أو اسم فاعل .

(أ) الأسماء الحامدة والتي تنتهى بـ **تاء التانيث**.

|       |   |      |
|-------|---|------|
| kiswa | < | كسوة |
| niyya | < | نية  |

الأمثلة :

٤ - النمط cvcv cv

الأمثلة :

|         |   |      |
|---------|---|------|
| daʔawa  | < | دعوة |
| hidima  | < | خدمة |
| kisima  | < | قسمة |
| kitiʔa  | < | قطعة |
| niʔima  | < | نعمة |
| rashawa | < | رشوة |

|          |   |        |
|----------|---|--------|
| ʔalʔumma | < | الامة  |
| ʔalgaaya | < | الغاية |
| daabba   | < | دابة   |
| jariida  | < | جريدة  |
| naafila  | < | ناقلة  |
| taagiiya | < | طاقية  |
| wasiiqa  | < | وثيقه  |
| zuriya   | < | ذرية   |

(ب) الكلمات التي أصلها مصادر وقتتهى بـ **تاء التانيث** وتأتى على الأنماط التالية :

٥ - النمط cvcv cv

الأمثلة :

|          |   |       |
|----------|---|-------|
| ʔibaada  | < | عبادة |
| ʔishaara | < | إشاره |
| hikaaya  | < | حكاية |
| hasaara  | < | خسارة |
| najaasa  | < | نجاسة |
| sanaaʔa  | < | صناعة |
| waliima  | < | وليمة |

١ - النمط cvcv

مثال :

|      |   |      |
|------|---|------|
| huja | < | حججه |
|------|---|------|

٢ - النمط cvcv cv

الأمثلة :

|       |   |      |
|-------|---|------|
| daaʔa | < | طاعة |
| ziina | < | زينة |

٣ - النمط cvccv

الأمثلة :

|       |   |      |
|-------|---|------|
| ʔizza | < | عزة  |
| dawla | < | دولة |
| harka | < | حركة |
| hayba | < | هيبة |
| kissa | < | قصة  |

٦ - النمط cvccv cv

مثال :

|         |   |       |
|---------|---|-------|
| gargara | < | غرغرة |
|---------|---|-------|

٧ - النمط cvccvccv

الأمثلة :

|          |   |       |
|----------|---|-------|
| ʔanniyya | < | النية |
| tarbiyya | < | تربية |

٦- كلمات عربية مبنية على الفتحة  
واقترضت في لغة الهوسا كما هي ، وهي :

|          |   |      |
|----------|---|------|
| ?abada   | < | أبدأ |
| ?ammaa   | < | أما  |
| ?imma    | < | إما  |
| ?illa    | < | إلا  |
| ?ila     | < | إلى  |
| ?inda    | < | عند  |
| gayra    | < | غير  |
| la       | < | لا   |
| hatta    | < | حتى  |
| hayhaata | < | هيات |
| haka     | < | هكذا |

ثانيا : حركة الفتحة غير المشروطة :

وهي تأتي في نهاية عدد محدود من الكلمات  
باغ عددها فيما جمعت من مادة علمية ثلاثين  
كامة على النحو التالي :

(أ) في نهاية كلمات أصلها مصدر  
وتأتي على الأنماط التالية :

١ - النمط cvvcv

مثال :

|       |   |           |
|-------|---|-----------|
| riiba | < | ريج أوربا |
|-------|---|-----------|

٢ - النمط cvvcv

الأمثلة :

|        |   |     |
|--------|---|-----|
| ?afuwa | < | عفر |
| sababa | < | سبب |
| shkura | < | شكر |

٨ - النمط cvccvccv

الأمثلة :

|            |   |        |
|------------|---|--------|
| ?annafaga  | < | النفقة |
| ?annashawa | < | النشوة |

٩ - النمط cvccvccvccv

مثال :

|            |   |         |
|------------|---|---------|
| ?istihaara | < | استخارة |
|------------|---|---------|

(ج) كلمات أصلها مصدر ميمي وتنتهي  
بتاء التأنيث وتأتي على .

١ - النمط التالي cvcvvc

الأمثلة :

|            |   |        |
|------------|---|--------|
| ma ?aamala | < | معاملة |
| mabaaya ?a | < | مبايعة |
| mahaawara  | < | محاورة |
| makaalama  | < | مكالمة |
| makiida    | < | مكيدة  |
| musaa?aba  | < | مصافحة |
| mawaafaka  | < | موافقة |

(د) كلمات أصلها اسم فاعل وتنتهي

بتاء التأنيث .

مثال :

|        |   |       |
|--------|---|-------|
| mujiza | < | معجزة |
|--------|---|-------|

(هـ) كلمات أصلها اسم مكان وتنتهي

بتاء التأنيث .

مثال :

|           |   |       |
|-----------|---|-------|
| ma?aba ?a | < | مطبعة |
|-----------|---|-------|

### ٣ - النمط cvcvvcv

الأمثلة :

|         |   |      |
|---------|---|------|
| ?azaaba | < | عذاب |
| jidaala | < | جدال |
| hilaafa | < | خلاف |
| hanaana | < | حنان |
| kitaala | < | قتال |

(ب) كلمات أصلها مصدر ميمى :

الأمثلة :

|         |   |      |
|---------|---|------|
| mugaama | < | مقام |
|---------|---|------|

(ج) كلمات أصلها اسم فاعل :

الأمثلة :

|         |   |      |
|---------|---|------|
| daahila | < | داخل |
| haarija | < | خارج |
| waaqi?a | < | واقع |
| zaa?ida | < | زائد |

(د) كلمات أصلها اسم زمان :

مثال :

|          |   |      |
|----------|---|------|
| magariba | < | مغرب |
|----------|---|------|

(هـ) كلمات أصلها اسم جامد وتأتى

على الأنماط التالية :

#### ١ - النمط cvccv

مثال :

|       |   |            |
|-------|---|------------|
| girma | < | جُرم ، حجم |
|-------|---|------------|

#### ٢ - النمط cvcvvcv

مثال :

|        |   |      |
|--------|---|------|
| dara?a | < | ذراع |
|--------|---|------|

### ٣ - النمط cvcvvcv

مثال :

|         |   |      |
|---------|---|------|
| faraaga | < | فراغ |
| kasaala | < | كسل  |

#### ٤ - النمط cvvcvvcv

مثال :

|          |   |       |
|----------|---|-------|
| taariiha | < | تاريخ |
|----------|---|-------|

#### ٥ - النمط cvcvcvcv

مثال :

|          |   |      |
|----------|---|------|
| fihirisa | < | فهرس |
|----------|---|------|

#### ٦ - النمط cvccvcv

مثال :

|         |   |     |
|---------|---|-----|
| marmara | < | ممر |
|---------|---|-----|

#### ٧ - النمط cvcvcvcv

مثال :

|           |   |               |
|-----------|---|---------------|
| janaa?iza | < | جنائز < جنازه |
|-----------|---|---------------|

### ٢ - حركة الكسرة :

تأتى حركة الكسرة غير مشروطة فى نهاية الكلمات العربية المقترضة فى لغة الهوسا ، سواء كان أصلها اسم فاعل أو اسم مفعول ، أو مصدر أو اسم جامد أو صفة فى جميع أنماط الكلمة على النحو الموضح فيما بعد :

(أ) كلمات أصلها اسم فاعل وتأتى

على الأنماط التالية :

#### ١ - النمط cvcv

مثال :

|      |   |     |
|------|---|-----|
| haji | < | حاج |
|------|---|-----|

٢ - النمط cvcvv

مثال :

ولى <

٣ - النمط cvvcv

مثال :

والى <

٤ - النمط cvccv

مثال :

شاذ <

٥ - النمط cvccvv

مثال :

مفتى <

٦ - النمط cvvcvccv وهو الغالب :

الأمثلة :

دائم < daa?imii

فاجر < faajirii

فاسق < faasiqii

غالب < gaalibii

حاكم < haakimii

جاهل < jaahilii

كامل < kaamilii

كاذب < kaazibii

٧ - النمط cvccvccvv

مثال :

مثير الفتنة < maftinii

مشارك < mushirikii

٨ - النمط cvccvccvv

مثال :

مشكل < mushkilii

٩ - النمط cvccvvcvv

الأمثلة :

القاضى < ?alkaalii

الوالى < ?alwaalii

١٠ - النمط cvccvvcvccv

الأمثلة :

الخائن < ?alhaa?inii

الحاصل < ?alhaasiilii

المهاجر < التلميذ < ?almaajirii

التاجر < الثرى < ?attaajirii

الظالم < ?azzaalumii

١١ - النمط cvccvccvccv

مثال :

المبذر < ?almubazzarii

(ب) كلمات أصلها إسم مفعول وتأتى  
على الأنماط التالية

١ - النمط cvccvccv

مثال :

مراد < muraadi

٢ - النمط cvccvccv

مثال :

مستور < mastuuri

|                                   |   |       |                                      |   |                |
|-----------------------------------|---|-------|--------------------------------------|---|----------------|
| ٣ - النمط cvcvvcvvcv وهو الغالب : |   |       | الأمثلة :                            |   |                |
| ?izini                            | < | إذن   | mahaluuki                            | < | مخلوق          |
| darasii                           | < | درس   | makabuuli                            | < | مقبول [القبول] |
| faralii                           | < | فرض   | makasuudi                            | < | مقصود          |
| lafazii                           | < | لفظ   | makatuubi                            | < | مكتوب          |
| sihrii                            | < | سحر   | masaruufi                            | < | مصروف          |
| ٣ - النمط cvcvvcv                 |   |       | mashaguuli                           | < | مشغول          |
| الأمثلة :                         |   |       | mashahuuri                           | < | مشهور          |
| bayaani                           | < | بيان  | ٤ - النمط cvcvccvvcv                 |   |                |
| fasaadi                           | < | فساد  | الأمثلة :                            |   |                |
| jidaali                           | < | جدال  | madawwarii                           | < | مدور           |
| jihaadi                           | < | جهاد  | makassarii                           | < | مكسر           |
| salaati                           | < | صلاة  | muhammadii                           | < | محرم           |
| sukuuni                           | < | سكون  | murabba?ii                           | < | مربع           |
| ٤ - النمط cvvcvvcv                |   |       | (ج) كلمات عربية مقترضة أصلها         |   |                |
| الأمثلة :                         |   |       | مصدر وتأتي على الأنماط التالية ، وهي |   |                |
| taakiidi                          | < | تأكيد | الأكثر استعمالاً في اللغة :          |   |                |
| taasiiri                          | < | تأثير | ١ - النمط cvccv                      |   |                |
| taabiiri                          | < | تأخير | الأمثلة :                            |   |                |
| taariihi                          | < | تأريخ | ?aybi                                | < | عيب            |
| taawiili                          | < | تأويل | haddi                                | < | حد             |
| ٥ - النمط cvcvvcvvcv              |   |       | nassi                                | < | نص             |
| الأمثلة :                         |   |       | sawti                                | < | صوت            |
| tadabiiri                         | < | تدبير | sirri                                | < | سر             |
| tadaliisi                         | < | تدليس | ٢ - النمط cvcvvcv                    |   |                |
| tajawaali                         | < | تجوال | الأمثلة :                            |   |                |
| takadiiri                         | < | تقدير | ?amarrii                             | < | أمر            |
| takaliifi                         | < | تكايف |                                      |   |                |
| takaraari                         | < | تكرار |                                      |   |                |

|          |   |           |                                             |           |       |
|----------|---|-----------|---------------------------------------------|-----------|-------|
| ?abalii  | < | أهل       | cvccvvcv                                    | ٦ - النمط |       |
| ?ajamii  | < | عجمي      |                                             | الأمثلة : |       |
| kabarii  | < | قبر       | ?inkaari                                    | <         | إنكار |
| subu?ii  | < | سبع       | ?inzaali                                    | <         | انزال |
| sufusii  | < | ثلث       | tafsiiri                                    | <         | تفسير |
| tumunii  | < | ثمن       | talqiini                                    | <         | تأمين |
|          |   | ٣ - النمط | tartiibi                                    | <         | ترتيب |
|          |   | الأمثلة : | tawhiidi                                    | <         | توحيد |
| ?asaasi  | < | أساس      | cvccvccvccv                                 | ٧ - النمط |       |
| daliili  | < | دليل      |                                             | الأمثلة : |       |
| haraaji  | < | خراج      | ta?ammalii                                  | <         | تعامل |
| zabiibi  | < | زبيب      | ta?annutii                                  | <         | تعنت  |
|          |   | ٤ - النمط | taḍawwu?ii                                  | <         | تطوع  |
|          |   | الأمثلة : | talawwamii                                  | <         | تاوم  |
| ?awwalii | < | أول       | tasarrufii                                  | <         | تصرف  |
| daftarii | < | دفتر      | tawakkalii                                  | <         | توكل  |
| darhamii | < | درهم      | (د) كلمات أصلها اسم جامد وتأتي              |           |       |
| hinsarii | < | خنصر      | على الأنماط التالية وهي أكثر الأنماط شيوعاً |           |       |
| haykalii | < | هيكل      | في اللغة :                                  |           |       |
| hawdajii | < | هودج      | cvccv                                       | ١ - النمط |       |
|          |   |           |                                             | الأمثلة : |       |
|          |   | ٥ - النمط | ?irlii                                      | <         | عرض   |
|          |   | الأمثلة : | harfi                                       | <         | حرف   |
| ?ikliimi | < | إقليم     | jinsi                                       | <         | جنس   |
| bandiiri | < | بندير     | miski                                       | <         | مسك   |
| barraadi | < | براد      | cvccvvcv                                    | ٢ - النمط |       |
| kaftaani | < | قفطان     |                                             | الأمثلة : |       |
| sunduui  | < | صندوق     | ?inabii                                     | <         | عنب   |

(هـ) كلمات أصلها صيغة وتأتي على الأنماط التالية وهي أكثر الأنماط شيوعاً :

١ - النمط cvcvvcv

الأمثلة :

|       |   |         |
|-------|---|---------|
| أمين  | < | ?amiini |
| عنيد  | < | ?aniidi |
| بخيل  | < | bahiili |
| بليد  | < | baliidi |
| جميل  | < | jamiili |
| كريم  | < | kariimi |
| ضروري | < | laruuri |

٢ - النمط cvcvccv

الأمثلة :

|      |   |         |
|------|---|---------|
| عادر | < | ?aduwwi |
| مهم  | < | muhimmi |

ويلاحظ مما سبق أن حركة الكسرة تطول وتقصر في التتابعات التالية :

١ - التتابع cvcc - في نهاية الكلمة تسود في نهايته حركة الكسرة القصيرة على النحو التالي :

|       |   |           |
|-------|---|-----------|
| عدو   | < | ?aduwwi   |
| العرش | < | ?al?arshi |
| المسك | < | ?almiski  |
| حد    | < | haddi     |
| خط    | < | haḍḍi     |
| مهم   | < | muhimmi   |
| ملك   | < | mulki     |
| سر    | < | sirri     |

٢ - التتابع cvvc - في نهاية الكلمة تسود في نهايته حركة الكسرة القصيرة على النحو التالي :

|       |   |          |
|-------|---|----------|
| النور | < | ?annuuri |
| حال   | < | haali    |
| جواب  | < | jawaabi  |
| متاع  | < | mataa?i  |
| صداق  | < | sadaaki  |

٣ - التتابع cvc - في نهاية الكلمة تسود في نهايته حركة الكسرة الطويلة على النحو التالي :

|             |   |            |
|-------------|---|------------|
| أهل         | < | ?asalii    |
| العجب       | < | ?al?ajabii |
| بلد         | < | badalii    |
| بحر         | < | baharii    |
| مدد         | < | madadii    |
| ثمن         | < | samanii    |
| شكله < حركة | < | shakalii   |
| ثمن         | < | tumunii    |
| زمن         | < | zaamanii   |

٤ - يأتي التتابع ccii - أو cvvcii في نهاية الكلمة المقترضة إذا كانت تنتهي بياء النسب على النحو التالي :

|        |   |           |
|--------|---|-----------|
| هندي   | < | hindii    |
| سني    | < | sunni     |
| بخاري  | < | bunkaarii |
| هوائي  | < | hawaa?ii  |
| روحاني | < | rawhaanii |

وقد شذ عما سبق الكلمات التالية :

|       |   |          |
|-------|---|----------|
| العار | < | la?aarii |
| مشاهد | < | masaydii |

### ٣ - حركة الضمة :

تأتى حركة الضمة فى نهاية عدد محدود من الكلمات على النحو التالى :

( أ ) كلمات أصلها مصدر وتأتى على الأنماط التالية :

١ - النمط cvcvcv

الأمثلة :

|     |   |        |
|-----|---|--------|
| حقق | < | hiqidu |
| جمع | < | jama?u |
| نقص | < | naqasu |
| يأس | < | ya?asu |

٢ - النمط cvccv

الأمثلة :

|     |   |        |
|-----|---|--------|
| بيت | < | baytu  |
| فرق | < | farqu  |
| صلح | < | sulhu  |
| سم  | < | sammu  |
| شرك | < | shirku |
| ظلم | < | zulmu  |

٣ - النمط cvcvvcv

الأمثلة

|       |   |         |
|-------|---|---------|
| أمان  | < | ?amaanu |
| فداء  | < | fidaa?u |
| قراءة | < | karaatu |

٤ - cvccvvcv

مثال

|       |   |          |
|-------|---|----------|
| التعب | < | ?attaabu |
|-------|---|----------|

٥ - النمط cvccvvcvvcv

مثال :

|        |   |            |
|--------|---|------------|
| السلام | < | ?assalaamu |
|--------|---|------------|

( ب ) كلمات أصلها اسم جامد وتأتى على الأنماط التالية :

١ - النمط cvcvcv

مثال :

|      |   |        |
|------|---|--------|
| نحور | < | nahawu |
|------|---|--------|

٢ - النمط cvcvvcv

مثال :

|      |   |         |
|------|---|---------|
| سماء | < | samaa?u |
|------|---|---------|

٣ - النمط cvvvcvcv

مثال :

|      |   |          |
|------|---|----------|
| آلات | < | ?aalaatu |
|------|---|----------|

٤ - النمط cvccvvcvcv

مثال :

|       |   |          |
|-------|---|----------|
| الجيب | < | ?ljiifuu |
|-------|---|----------|

٥ - النمط cvccvcvcv

مثال :

|       |   |           |
|-------|---|-----------|
| الحزر | < | ?algazaru |
|-------|---|-----------|

٦ - النمط cvcvccvcv

الأمثلة :

|       |   |           |
|-------|---|-----------|
| زبرجد | < | zabargadu |
|-------|---|-----------|

|      |   |           |
|------|---|-----------|
| زمرد | < | zumurrudu |
|------|---|-----------|

#### ٤ - السكون :

تنتهي بعض الكلمات العربية المقترضة في لغة الهوسا ، بصوت صامت . وأكثر هذه الكلمات مقترضة من اللهجة العامية ، وأكثرها ينتهي بصوت النون أو الراء حيث يشيع استعمال هذين الصوتين كأداة لربط بعض الكلمات ببعضها في حالات معينة : وقد أمكن تصنيف الأصوات الصامتة في نهاية الكلمات المقترضة على النحو التالي :

#### ١ - صوت النون :

( أ ) يأتي في حالة اقتراض الكلمة منتهية بنون التنوين كما هو واضح في الأنماط الآتية .

#### ١ - النمط cvccvvn

الأمثلة :

|         |   |        |
|---------|---|--------|
| battan  | < | باتناً |
| hakkan  | < | حقاً   |
| hayyan  | < | حياً   |
| hayran  | < | خيراً  |
| shay?an | < | شيئاً  |

#### ٢ - النمط cvccvvn

الأمثلة :

|         |   |        |
|---------|---|--------|
| ?abadan | < | أبداً  |
| ajaban  | < | عجيباً |
| dafa?an | < | دفعاً  |
| masalan | < | مثلاً  |

#### ٣ - النمط cvccvvcvvn

الأمثلة :

|          |   |        |
|----------|---|--------|
| hanii?au | < | هنيئاً |
| misaalin | < | مثال   |
| muraaran | < | مراراً |

#### ٤ - النمط cvvcvvcvvn

مثال :

|          |   |        |
|----------|---|--------|
| waalihan | < | واضحاً |
|----------|---|--------|

#### ٥ - النمط cvvcvvcvvn

مثال :

|           |   |        |
|-----------|---|--------|
| ?aabaadin | < | آباداً |
|-----------|---|--------|

#### ٦ - النمط cvcccvvcvvn

مثال :

|          |   |        |
|----------|---|--------|
| sarmadan | < | شرمداً |
|----------|---|--------|

#### ٧ - النمط cvvcvvcvvn

الأمثلة :

|           |   |      |
|-----------|---|------|
| kaaffatan | < | كافة |
|-----------|---|------|

#### ٨ - النمط cvvcvvcvvcvvn

مثال :

|            |   |        |
|------------|---|--------|
| saata?izin | < | ساعتئذ |
|------------|---|--------|

( ب ) تأتي في نهاية العقود من عشرين إلى تسعين على النحو التالي :

|           |   |    |
|-----------|---|----|
| ?ishiriin | < | ٢٠ |
| talatiin  | < | ٣٠ |
| ?arba?iin | < | ٤٠ |
| hamsiin   | < | ٥٠ |

|     |           |     |
|-----|-----------|-----|
|     | ١ - النمط | cvr |
|     | مثال :    |     |
| mur | مر        | <   |
| zur | زور       | <   |

٢ - النمط cvcvr  
الأمثلة :

|       |       |   |
|-------|-------|---|
| bafur | بفخور | < |
| kamar | مثل   | < |
| sukar | سكر   | < |

٣ - النمط cvvcvvr  
مثال :

|         |      |   |
|---------|------|---|
| saahuur | سحور | < |
|---------|------|---|

٤ - النمط cvccvr  
الأمثلة :

|        |      |   |
|--------|------|---|
| ?akbar | أكبر | < |
| ?askar | عسكر | < |

٥ - النمط cvccvvr  
مثال :

|         |       |   |
|---------|-------|---|
| ?azahar | الظهر | < |
|---------|-------|---|

٦ - النمط cvcvcvvr  
مثال :

|           |       |   |
|-----------|-------|---|
| muhutalar | محتضر | < |
|-----------|-------|---|

٣ - كلمات تنتهي بصوت الباء :

الأمثلة :

|          |       |   |
|----------|-------|---|
| ?alkazib | الكذب | < |
| ?anab    | عنب   | < |

|          |   |    |
|----------|---|----|
| sittiin  | < | ٦٠ |
| saba?iin | < | ٧٠ |
| tamaniin | < | ٨٠ |
| tas?iin  | < | ٩٠ |

(ج) كلمات تنتهي بصوت النون وتأتي على الأنماط التالية :

١ - النمط cvevn

مثال :

|       |      |   |
|-------|------|---|
| kaman | مثلا | < |
|-------|------|---|

٢ - النمط cvvcvn

الأمثلة :

|        |           |   |
|--------|-----------|---|
| baayan | بين < خلف | < |
| laakin | لكن       |   |

٣ - النمط cvccvvn

الأمثلة :

|          |       |   |
|----------|-------|---|
| rumnaan  | رمان  | < |
| suldaan  | سلطان | < |
| shaydaan | شيطان | < |
| zaytuun  | زيتون | < |

٤ - النمط cvccvcvvn

مثال :

|           |        |   |
|-----------|--------|---|
| turjumaan | ترجمان | < |
|-----------|--------|---|

٥ - النمط cvcvcvcvn

مثال :

|            |        |   |
|------------|--------|---|
| za?afaraan | زعفران | < |
|------------|--------|---|

٢ - صوت الراء :

وتأتي الكلمات على الأنماط التالية

٧ - كلمات تنتهى بصوت الميم ،

الأمثلة :

|         |   |        |
|---------|---|--------|
| haram   | < | حرم    |
| liimaam | < | الأمام |

الخلاصة :

خلاصة البحث أن الكلمات العربية المقترضة في لغة الهوسا ، تنقسم من حيث الحركة النهائية إلى قسمين :

القسم الأول : وهو أسماء الأعلام وتسود حركة الضمة القصيرة في نهايتها ، فيما عدا الأسماء التي تنتهى بتاء التانيث أو ألف التانيث الممدودة حيث تبقى حركة الفتحة بعد حذف التاء ، وحركة الفتحة الطويلة بعد حذف الهذرة ، أو أسماء الأعلام التي وردت في القرآن الكريم كثيراً في حالة النصب بالفتحة ، بينما تأتى الأعلام التي تقع في موقع المضاف إليه منتهية بحركة الكسرة وكذلك الأعلام التي تنتهى بحركة الكسرة الطويلة .

أما القسم الثانى وهو الكلمات التي ليست بأسماء أعلام فتسود فيها حركة الكسرة الطويلة أو القصيرة حسب حركة المقطع قبل الأخير من الكلمة . ففي حالة وجود التتابع cvcc - أو cvvc - تأتى حركة الكسرة القصيرة في نهاية الكلمة ، أما في حالة وجود التتابع cvc - فتسود حركة الكسرة الطويلة في نهاية الكلمة ، أما التتابعان ccii - و cvvii - فيأتيان إذا كانت الكلمة تنتهى بياء النسب .

الأدب < ladab

صدف < sadab

٤ - كلمات تنتهى بصوت التاء .

الأمثلة :

فقط < fakat

تحت < tamat

٥ - كلمات تنتهى بصوت السين .

الأمثلة :

البرص < ?albaras

القرقيش < ?algaragiis

الحميس < ?alhamiis

الحبز < ?alkubus

بس < bas

مقادم < makadas

٦ - كلمات تنتهى بصوت اللام .

الأمثلة :

بطل < battaal

فلفل < filfil

فجل < fijil

في الأزل < fil?azal

رطل < ratat

ريال < riiyaal

خشب الصندل < sandal

زوال < zawwal

الكلمة ، وكانت الحركة السابقة على المقطع المحذوف هي حركة الفتحة :

٤ - الكلمات المنتهية بالألف المقصورة :

وإذا كانت حركة الضمة تسود في نهاية أسماء الإعلام إلا أنها تأتي في نهاية عدد محدود جداً من الكلمات الأخرى ، شأنها في ذلك شأن الكلمات المنتهية بصوت صامتة ويمكن القول أن الكلمات التي تنتهي بحركة الفتحة والسكون تعتبر دليلاً على انتقالها عن طريق العامية وليس عن طريق اللغة العربية الفصحى .

أما حركة الفتحة فتأتي في نهاية الكلمة العربية المقترضة غير مشروطه في كلمات معدودة ، وتأتي مشروطه في حالات كثيرة وهي الحالات الآتية :

١ - في نهاية الكلمات المبهمة على الفتحة مثل الفعل الماضي وبعض الأدوات والظروف وحروف الجر :

٢ - في حالة انتهاء الكلمة بثناء التأنيث المحدودة ، حيث تحذف التاء في الحالة الأولى والهمزة في الحالة الثانية وتبقى حركة الفتحة السابقة على المحذوف :

٣ - في حالة حذف المقطع الأخير من

مصطفى حجازي السيد  
الأستاذ بمعهد البحوث والدراسات  
الافريقية بجامعة القاهرة



أشهر مصادر البحث :

- Abraham : Dictionary of the Hausa Language, University of London press , 1973
- Ahmed , Umar Balarabe : Bora da Mora N.N.P.C
- Balew , Abubakar Tafawa : Shaihu Umar N.N.P.C 1937
- Bamalli , Nuhu : Bala Da Babiya N.N.P.C 1973
- Bello , Walin Katsina : Gandoki N.N.P.C 1973
- Dembo , Umar : Wasannin Yara N.N.P.C 1972
- Gogge , Adamu and Dauda Kano : Tabarmar Kunya, N.N.P.C 1973
- Imam, Abubakar : 1. Magana Jari ce I, II, III N.N.P.C 1973  
2. Ruwan Bagaja N.N.P.C 1973
- Ingawa , Ahmadu 3. Iliya Dan Maikarfi N.N.P.C 1973
- Ka'oje , Abdulahi : Dare Daya N.N.P.C 1973
- Makarfi , Shu'aibu : Jatau Na Kyallu N.N.P.C 1970
- Rimmer , Ahmadu Ingawa and Abu Musawa and Yakubu Auna : Zaman mutum da sana'arsa N.N.P.C 1970
- Tunau , Abubakar : Wasan Marafa Wusasa Tafida Jiki Magayi N.N.P.C 1973
- Yahaya , Ibrahim Yaro : Daren sha Biyu N.N.P.C 1971
- : Karamin Sani I, II, N.N.P.C 1973
- : Ka kara Karatu N.N.P.C 1971
- : Ka yi ta Karatu N.N.P.C 1973

N.N.P.C = Northern Nigerian Publishing Company Zaria , Nigeria

# ظاهرة الإبدال في العربية بين القصار والمحسين (٢)

للكتور محمد حماسة عبد اللطيف

## أنا :

حروف الإبدال  
والإبدال :

إبدال الحروف بعضها من بعض - بمعناه  
الواسع - يقع على أنواع مختلفة يمكن أن  
نصنفها على الوجه الآتي :

١ - الإبدال التصريفي .

٢ - الإبدال اللهجي .

٣ - الإبدال الشاذ .

٤ - إبدال الضرورة الشعرية .

وكل منها في حاجة إلى شيء من التفصيل  
على أن الذي يعنيننا من هذه الأنواع هو  
النوع الأول أي البديل التصريفي وما هي  
هذه الأنواع :

(١) الإبدال التصريفي :

وهو الذي تبدل الحروف فيه بعضها  
من بعض لعل تصريفية ، أي أن البديل فيها

يخضع لقوانين صوتية خاصة ، وهذا  
النوع تنطبق قوانينه على اللغة المشتركة (١)  
كلها ولذلك يمثل فيها ظاهرة تستحق  
الدراسة ، وقد حدده الرضي فيما نقله عنه  
الأشموني بأنه هو « ما لم يبدل أوقع  
في الخطأ أو مخالفة الأكثر ، فالموقع في الخطأ  
كقولك في : مال : مول ، والموقع في  
مخالفة الأكثر كقولك في سقاعة : سقاية (٢) » .

والحروف التي يقع فيها هذا النوع ثمانية  
أحرف هي : الهمزة والواو والألف والياء ،  
والدال والطاء والتاء والميم . وقد جمعها ابن مالك  
في كتابه تسهيل الفوائد في قوله « طويت  
دائماً (٣) » ووصف هذه الحروف بأنها  
ضرورية للتصريف ، أي أنها هي التي تقع

(١) « اللغة المشتركة » مصطلح بين دارسي اللغة المحدثين يقصد به اللغة التي نزل بها القرآن الكريم ، وقيل بها  
الشعر الجاهلي وهي اللغة التي يفهمها كل عربي من قبيلة قد تتخاطب بلهجة تتفق أو تختلف مع اللهجة الأم أي اللغة المشتركة .

(٢) انظر : شرح الأشموني ٢٨٣-٤ .

(٣) انظر : تسهيل الفوائد ص ٣٠٠ وقد أشار ابن مالك مرة أخرى إلى هذه الحروف بعبارة زاد فيها الهاء  
وذلك في ألفيته الشهيرة إذ يقول : « أحرف الإبدال هاءات موطيا » وذلك لأن الهاء تبدل من التاء في الوقف ، فإذا  
وقفت على كلمة مثل : فاطمة ومسلمة ومجتهدة إلى آخره قلبت تاء التانيث في الوقف هاء ، ومجال دراسة هذه الحالة هو  
باب الوقف .

تمت طائفة القواعد الصرفية بمعنى أن يقال مثلاً : إذا وقعت تاء الافتعال بعد حرف من حروف الإطباق قلبت طاءً مثل اضطبر فهذه قاعدة عامة لا تتخلف في كل صيغ الافتعال ، وكان يقال مثلاً : إذا وقعت الواو أو الياء عينا لاسم فاعل فعل ثلاثي أعلت في ماضيه قلبت همزة مثل : قائل وبائع ، فهذه أيضا قاعدة لا تتخلف في كل اسم فاعل توافر في ماضيه هذا الشرط ، وهكذا :

ويستطيع المتكلم باللغة أن ينطق بكل ما حدث فيه هذا الضرب من الإبدال أو الإعلال دون أن يقوم في نفسه سببه أو يعرف عانه ، لأنه ينطق باللغة على عادته وكما سمعها ، والذين استخلصوا هذه القواعد هم الصرفيون ، والغرض من هذه القواعد - كما يقول أبو علي الفارسي - إنما هو ليلحق من ليس من أهل اللغة بأهلها ويستوى من ليس بفصيح ومن هو فصيح (١) .

وبيان ذلك أن المتكلم بالعربية إذا صاغ اسم الفاعل من قام قال : قائم ، ولكن غير المتكلم بها ممن يحاولون تعلمها لا يجرى ذلك على لسانه دون أن يتعلم أن عين اسم الفاعل إذا كانت واواً - كما في هذا الفعل - تقلب همزة ، فالقواعد

التصريفية الخاصة بهذا النوع من أنواع الإبدال إنما هي لوصف خصائص هذه الظاهرة فتعين المتكلم بالعربية على تفسيرها ، وتعين المتعلمين لها على كيفية النطق وإيجادها .

### ( ب ) النوع الثاني هو ما يمكن أن يسمى « الإبدال اللهجي » :

ونقصد به ذلك النوع الذي لا يخضع لقاعدة تصريفية في اللغة المشتركة ، بل يخضع لمادة نطقية خاصة بأبناء لهجة معينة ويترد في هذه اللهجة المعينة دون أن يتمكن من التسرب إلى مستوى اللغة المشتركة بل يظل مقصورا على استعمال هذه اللهجة فحسب .

ومن هذا النوع إبدال الياء المشددة جيماً في الوقف كقول الراجز :  
نخالى عؤيف وأبو عليج  
المطعمان اللحم بالعشج  
وبالغداة كتل البرنج  
يقتلح بالود وبالصيصج (٢)

وهذه الظاهرة - وأعني بها إبدال الياء المشددة جيماً - من خصائص لهجة « قضاة » وتسمى « العجعة » أو « عججة قضاة » وربما أبدلوا الحيم من الياء في غير الوقف كقولهم في « الأيل » : الأجل ، وقد يبدلون

(١) ابن جني : المنصف شرح التصريف ٢٧٩/١ .

(٢) أبو عليج : أبو علي ، العشج ، البرنج : البرني نوع من التمر ، الصيصج : الصيصي ، وهو قرن البقر ، والكتل : جمع كتلة وهي القطعة المجتمعة .

الياء غير المشددة جيا أيضا كقول الراجز :

لَاهُمَّ إِن كَنَّتْ قَبَلَتْ حَجَّجُ  
فَلَا يَزَالُ شَاحِجٌ بِأَتَيْكَ بَسِجُ  
أَقْمَرُ نَهَاتٍ يَنْزَى وَفَرَّجِجُ<sup>(١)</sup>

فالياء في كل من : «حججى ووفرقي وبى»  
غير مشددة لأنها ياء المتكلم ومع ذلك أبدلت  
جيا .

ومن هذا النوع من الإبدال اللهجى  
«العننة» فى لهجة قيس وتميم ، وهى إبدال  
الهمزة المبدوء بها عينا ، فيقولون فى إنك عنك  
وفى أسلم : عسلم ، وفى أذن : عذن .

ومن هذا النوع «الفحفة» فى لغة هذيل  
وهى جعل الحاء عينا فى هذه اللهجة ، وقد  
قرئ قوله تعالى : «حتى حين» «على لهجتهم  
«عنى عين» ولعل هذا ضرب من المبالغة  
فى نطق الحاء ، لأن العين أدخل فى الحلق  
من الحاء .

ومن ذلك أيضا «الكشكشة» فى لهجة  
تميم وهى إبدال كاف الخطاب للمؤنثة  
شينا كقولهم فى خطاب المؤنثة المفردة :

ما الذى جاء بش ؟ يريدون : بك ، وقراءة  
بعضهم ( قد جعل ريش تحتش سرياً<sup>(٢)</sup> ) .

ومن ذلك أيضا «الكسكسة» فى لهجة  
بكر وهم يبدلون كاف الخطاب للمؤنثة  
سينا كقولهم فى خطاب المؤنثة : أبوس  
بدلا من : أبوك ، وفى أملك يقولون : أمس .

وهذا الضرب من الإبدال اللهجى كثير  
متعدد وليس هنا مجال دراسته أو عرضه<sup>(٣)</sup>  
لأن هذا النوع — كما يقول الرضى — «جدير بأن  
يذكر فى كتب اللغة لا فى كتب التصريف»<sup>(٤)</sup>  
فليس هذا النوع — إذن — من مباحث الإبدال  
التصريفى الذى نحن بصدد دراسته .

#### (ج) والنوع الثالث هو الإبدال الشاذ :

وهذا النوع مثل سابقه من حيث إنه  
لا يخضع لقاعدة تصريفية خاصة بمعنى أنه  
لا يمكن معه القول بأنه كلما كان كذا كان  
كذا ، غير أنه لا يرتبط باستعمال لهجى خاص  
أى أن ، كتب اللغة لم تنقله لنا بوصفه  
استعمالا للهجة قبيلة مخصوصة ، ولذلك  
فهو لا يطرد فى بابيه بل يتوقف فيه على  
حدود ما ورد ، ولا يمكن القياس عليه أو  
التوسع فيه .

(١) الشاحج : البغل ، الأقمر : الأبيض ، النهات : الصياح والنهاق ، ينزى : يحرك ، والوفرة : شعر  
الرأس إذا بلغ شحمة الأذن .

(٢) الآية ٢٤ من سورة مريم ( فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا ) أنظر فقه اللغة للثعالبي  
١١٤ ، ١١٥ ( الطبعة الأولى سنة ١٩٢٣ م ) وشرح الأشموني ٢٨٢/٤ .

(٣) أنظر : سر الصناعة ٢٣٤/١ المزهر للسيوطى ٢٢١/١ ، والصاحبى لابن فارس ص ٢٧/١٩ ولهجات  
العرب للمرحوم أحمد تيمور الوقوف على عدد من هذه اللهجات .

(٤) أنظر هذه العبارة — وقد نقلها الأشموني من شرح الكافية للرضى — فى الأشموني ٢٨٢-٤ .

ومن ذلك إبدال اللام من النون في كلمة  
أصيلان في مثل قول النابغة :

وقفت فيها أصيلانا أسائلها

عيّت جواربا وما بالربع من أحد

يقول سيبويه « وقد أبدلوا اللام من  
النون وذلك قليل جدا ، قالوا : أصيلال  
ولمّا هو أصيلان » (١) .

ومن ذلك إبدال اللام من الضاد في قول  
منظور بن حبة الأسدى :

لما رأى أن لا دعة ولا شبع

مال إلى أرطاة حقف فالطجع

وأصل « فالطجع » : فاضطجع ، أبدلت  
الضاد لاما إبدالاً شاذاً .

ومن ذلك إبدال الهمزة هاء كقولهم  
هياك في إياك ، و « لهنك قائم » في « لإنك  
قائم » (٢) ، وهرقت الماء في : أرقت الماء  
وهردت الشيء في أردت الشيء ، وهرحت  
الدابة في أرحت الدابة ، يقول سيبويه :  
« وقد أبدلت ( الهاء ) من الهمزة في  
هرقت وهرمت وهرحت الفرس تريد  
أرحت » ويقول أيضا : « ويقال إياك  
وهياك » (٣) .

( د ) النوع الرابع فهو إبدال الضرورة  
الشعرية :

وهو الذى يقع في الشعر من أجل إقامة  
الوزن أو القافية ، ويلاحظ أن الأمثلة  
التي ساقها الصرفيون في هذا المجال يقع  
فيها الإبدال في الحرف الأخير من الكلمة بأن  
يبدل ياء ، وذلك كما في قول النمر بن توبل  
الشكري :

لها أشاير من لحم تتمره  
من الثعالي وونخ من أرائنها

فقد أبدل من الياء في كلمة الثعالب ياء  
ومن الباء في كلمة أرائنها ياء كذلك ،  
وقد أبدلت العين من كلمة « الضفادع »  
ياء في قول الشاعر :

ومنهل ليس له خوارق

ولضفادى جمة نقائق  
وقد أبدلت الحروف الأخيرة من الكلمات :  
الثالث والخامس والسادس ياء في الشواهد  
الآتية :

قد مرّ عامان وهذا الشّال

وأنت بالهجران لا تُبالى

وقول الآخر :

مضت ثلاث سنين منذ حلّ بها  
وعام حلت وهذا التابع الخامى

(١) سيبويه : ٣١٤-٢ .

(٢) في مثل هذا التركيب تتأخر اللام إلى خبر إن وتسمى اللام المزحلقة ، ولكنهم لم يبالوا بهذا لاختلاف  
الصورة في « لهنك قائم » .

(٣) سيبويه ٣١٣-٢ .

وقول الآخر :

إذا ما عُدَّ أربعة فسَّال<sup>(١)</sup>

فزوجك خامس وأبوك سادى<sup>(٢)</sup>

واعتبار هذا النوع من إبدال الضرورة الشعرية هو رأى سيبويه وبعض النحاة الذين اتبعوه ، ويفسر سيبويه ذلك بأن الشاعر احتاج فى قوله :

ولضفادى جمعة نقانق

إلى حرف يكون ساكنا من أجل إقامة الوزن ولما كانت العين فى كلمة (ولضفادع) لا يصح أن تكون ساكنة ، لأنها ليست فى الوقف ، بل يجب أن تكون هنا مجرورة فقد أبدلها الشاعر ياء ، لأنها حرف يمكن أن يكون ساكنا<sup>(٣)</sup> ، ويقول المبرد : «واعلم أن الشعراء إذا اضطروا إلى إسكان حرف مما هو متحرك فلم يصلوا إلى ذلك أبدلوا منه الياء إن كانت قبله كسرة ، لأن الياء إذا كانت كذلك ( أى قبلها الكسرة ) لم تحرك فيسلم الإعراب ويصح الوزن<sup>(٤)</sup>»

ويرى بعض النحاة أن هذا النوع ليس من الإبدال للضرورة الشعرية ، بل هو من الترخيم فى غير النداء للضرورة .

ويرى فريق ثالث أن هذا النوع ليس من إبدال الضرورة الشعرية وليس من الترخيم

فى غير النداء للضرورة ، ولكنه من « البدل غير المقيس » أى من البدل الشاذ فهم بذلك يدرجون هذا النوع تحت النوع السابق ؛ ويرى فريق رابع أن هذه الكلمات صيغ مستعملة بجوار الصيغ الأخرى فكل من الثالث والثالى ، والخامس والخامى ، والسادس والسادى كلمة مستعملة جنب الأخرى ، دون أن يكون ثمة بدل ومبادل منه ، ولعل الإبدال كان فى فترة سابقة ، بحيث نسيت ولا يمكن معها أن تعد إحداهما أصلا والأخرى فرعاً ، وإلى هذا رأى ذهب ابن السكيت<sup>(٥)</sup> ، ولذلك عده ابن سيده فى الخصاص<sup>(٥)</sup> لغة .

ولعلك قد أدركت بعد عرض هذه الأنواع الأربعة من الإبدال أن النوع الأول منها وهو الإبدال التصريفى هو الذى يندرج تحت طائفة علم الصرف ، ولذلك يجب الرجوع إليه مرة أخرى لتتعرف حروفه التى يقع فيها هذا النوع من الإبدال ونحاول أن ندرس خصائصها .

**أولاً : حروف الإعلال :**

بالتعريف الذى سنأخذ به فى الإعلال تكون حروف الإعلال هى : الألف والواو والياء والهمزة .

وللصرفيين العرب نظرة خاصة إلى الهمزة إذ يلحقونها بأحرف العلة الثلاثة ، فهم

( ١ ) انظر هذه الشواهد فى المفصل للزخشرى ٣٦٤ وما بعدها وجمع الهوامع للسيوطى ١٥٧/٢ .

( ٢ ) انظر سيبويه ٣٤٤/١ . ( ٣ ) المقتضب للمبرد : ٢٤٧/١ .

( ٤ ) انظر إصلاح المنطق ٣٠١ . ( ٥ ) أنظر : الدرر اللوامع ٢١٢/٢ . ( ٦ ) سيبويه ١٦٥/٢ .

يقولون إنها أخت لحروف العلة اللاتي هن أمهات البديل والزوائد وكان الخليل بن أحمد يسميها الحروف الهوائية ويقول سيديويه : « فأبدلوا هذه الحروف التي منها الحركات لأنها أنخوات ، وهي أمهات البديل والزوائد ، وليس حرف يخلو منها أو من بعضها ، وبعضها حركاتها ، وليس حرف أقرب إلى الهمزة من الألف ، وهي إحدى الثلاث ، والواو والياء شبيهة بها أيضا مع شركتهما أقرب الحروف منها<sup>(١)</sup> ونص سيديويه يجعل هذه الأصوات الأربعة ( الألف والواو والياء والهمزة ) أنخوات ولعل هذا مما يسوغ البديل بينها »

والواو والياء والألف تسمى حروف المد واللين ، وهي متقاربة المخرج ، إذ ينطلق في نطقها الهواء خارجا من الرئتين لا يعترضه شيء ولا يشكل نطق كل منها إلا حركة الفم ، ويمكن مع التراخي بعض الشيء في نطق إحداها أن تتحول إلى الأخرى يقول ابن جني في وصف مخارج هذه الأحرف الثلاثة : « والحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة : الألف ثم الياء ثم الواو ، وأوسعها وألينها الألف ، إلا أن الصوت الذي يجري

في الألف مخالف للصوت الذي يجري في الياء والواو ، والصوت الذي يجري في الياء مخالف للصوت الذي يجري في الألف والواو ، والعلة في ذلك أنك تجد الفم والحلق في ثلاث الأحوال مختلف الأشكال »

أما الألف فتجد الحلق والفم معها منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر . وأما الياء فتجد معها الأضراس سفلا وعلوا قد اكتنفت جنبتي اللسان وضغطته ، وتفاج ( أي تباعد ) الحنك عن ظهر اللسان ، فيجري الصوت متصعبا هناك ، فلأجل تلك الفجوة ما<sup>(٢)</sup> استطال »

وأما الواو فتتضم لها معظم الشفتين وتدع بينهما بعض الانفراج ليخرج فيه النفس ويتصل الصوت .

فلما اختلفت أشكال الحلق والفم والشفتين مع هذه الأحرف الثلاثة اختلف الصدى المنبعث من الصدى<sup>(٣)</sup> .

فالأصوات الثلاثة مخرجها واحد وصفاتها متقاربة ، والهمزة أخت لها كما يقرر سيديويه ولهذا السبب ساغ البديل بينها ، وسوف نحاول أن نتناول كل واحد منها على حدة »

(١) أنظر العين ٦٤/١ .

(٢) ( ما ) هنا زائدة ، ويكرر هذا في أسلوب ابن جني .

(٣) ابن جني : سر الصناعة ٩٤٨/١ .

## ١ - الألف :

صوت الألف لا يكون إلا حرف مد ، ولا يقبل الحركة بحال ، لأنه هو نفسه - كما يرى علماء اللغة المحدثون والقدماء أيضا - فتحة طويلة هـ

والصرفيون العرب يرون أن الألف حركة طويلة ، وذلك لأنهم يقولون إن الحركات ( الفتحة والكسرة والضمة ) أبعاض حروف المد واللين ، غير أنهم لا يعاملونها على أنها كذلك ، وذلك لأن الطبيعة الاشتقاقية للغة العربية ، وبناء الكثير من كلماتها على أصول ثلاثية قد تكون الألف واحدا منها ، وصيرورة هذه الألف في تقلبيات الكلمة إلى واو أو ياء تجعل من الصعب القول بأن حروف المد واللين لا تكون إلا حركات في حالة كونها مدودة ، فإذا قلنا مثلا : إن ( باع ) مكونة من مقطعين :

ب + فتحة طويلة + ع + فتحة قصيرة

فإن هذا - مع صحته صوتيا - يصطدم مع التقلبيات الأخرى مثل : البَيْع والْبَيْاع والبَيْع ، والبَائِع ، وبَيْع ، وتَبَايَع ، وبَيَّاع ، ومُبَايَعَة وغيرها من الصيغ المأخوذة من مادة ( البيع ) أو من الجذر الثلاثي ( ب ي ع ) هـ

نحن - إذن - مضطرون أمام هذه الخاصية الاشتقاقية لما يسمى بالأسرة اللغوية

للجندر وتفريعاته في اللغة العربية أن نقول إن الألف الموجودة في ( باع ) ليست إلا أصلا من أصول الكلمة وهي منقلبة عن ياء ، ولا تكون الألف نفسها أصلا من أصول الكلمة فإذا وجدت أصلا في كلمة ما ، فإنها حينئذ تكون منقلبة عن واو أو عن ياء ، فالألف في نحو : قال ، صام ، قام ، طال ، طاف ، راح ، صال ، جال ، أصلها الواو : والألف في نحو : باع ، سال ، مال ، بات ، صار ، جاء أصلها الياء :

والألف في نحو : دعا ، دنا ، رجا ، سما ، نما أصلها الواو هـ

والألف في نحو : سعى ، رعى ، بنى ، هذى أصلها الياء هـ

وقد انقلبت الواو والياء في كل هذه الكلمات ألفا ، لأن الواو حرف من حروف المادة المعجمية لكل الكلمات التي يرى الصرفيون أن الألف منقلبة عنها فيها ، وكذلك الياء ،

وبخلاصة هذا كله أن الألف في نظر علماء الصرف قد تكون أحد أصول الكلمة غير أنها تكون منقلبة عن ياء أو عن واو ، وقد تكون زائدة في مثل : قاوم وسام وباع وقائم الخ ، ولا يمنعهم هذا من النظر إليها على أنها فتحة طويلة أخذت منها الحركة القصيرة وهي الفتحة لأن الحركات أبعاض حروف المد واللين ،

فالفَتْحة بعض الألف ، والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو وقد كان متقدما<sup>(١)</sup> والنحويين يسمون الفَتْحة الألف الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة والضمة الواو الصغيرة وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة<sup>(٢)</sup> .

## ٢ ، ٣ - الواو والياء :

لِلواو والياء حالتان :

أولاهما : أنهما قد يكونان حركتين طويلتين كما في : أدعو وأرجو ونسمو ونشكو ويرى ويجري ويهدى والداعى والقاضى فكل من الواو والياء في هذه الأمثلة عبارة عن حركة طويلة فالواو ضمة طويلة ، والياء كسرة طويلة ، ولا فرق بين الكسرة القصيرة والكسرة الطويلة إلا كمية الطول ، وكذلك لا فرق بين الضمة القصيرة والضمة الطويلة إلا كمية الطول فحسب .

ثانيهما :

هى أن كلا من الواو والياء قد تعامل معاملة الأصوات الصامتة وذلك إذا تحركتا في مثل ولد ، ويكتب فكل من الواو والياء في المثال المذكور قائم بوظيفة يقوم بها الصوت الصامت فليست كل منهما في مثل المثال المذكور ( حرف مد ) أو حركة طويلة ومما يؤيد أن الواو والياء

في هاتين الكلمتين ( ولد - يكتب ) وأمثالهما تؤيدان وظيفة الأصوات الصامتة أنهما - كالأصوات الصامتة تماما - متبوعتان بحركات ؛ أى أن الواو بحركة بالفتحة وكذلك الياء فلا يمكن عدّهما هما أنفسهما حركات في هذا المثال :

فإذا تحركت الواو والياء في مثل ولد ، وعد ، وثب الخ ويكتب ، يترك الخ ، وكذلك إذا وقعتا ساكنتين في مثل حوض ثوب وبيت وغيظ فإنهما يكونان من الأصوات الصامتة ، يقول الدكتور كمال بشر : « ومعنى هذا أن الواو والياء في اللغة العربية من الأصوات الصامتة في سياقين صوتيين معينين هما :

١ - إذا أتبعتهما الواو والياء بحركة من أى نوع ( أى إذا حركت كل منهما ) :

٢ - إذا وقعتا ساكنتين وقبلهما فتحة ؛ ولكن يجب ألا ننسى أنهما في هاتين الحالتين لهما شبه نطقى بالحركات كما أن لهما شباها وظيفيا بالأصوات الصامتة - من جهة أخرى - ولهذا يطلق عليهما العلماء في هاتين الحالتين « أنصاف الحركات » ويرى الدكتور بشر أنه من الممكن أن يسميا أنصاف صوامت أيضا ولكن المصطلح الأول أولى لشهرته في الدراسات اللغوية وهو أيضا ما تعارف عليه الدارسون<sup>(٢)</sup> .

(١) انظر سر صناعة الإعراب لابن جني ١٩/١ .

(٢) انظر د . بشر : علم اللغة العام : الأصوات ٨٥ ، ٨٦ .

وسواء أكانت الواو والياء من الصوامث أم من الحركات فقد هيأتهما طبيعتهما الصوتية إلى إمكان التبادل بحيث تتحولان في سياقات صوتية مختلفة إلى بعضهما أو إلى الألف أو الهمزة وفقاً للتناسق الصوتي على ماسنرى فيما بعد.

٤ - الهمزة :

سبق لنا طرف من آراء النحاة القدماء في الهمزة ، فبعضهم يرى الهمزة أختاً لحروف العلة ، ونود أن نذكر هنا أن الخليل ابن أحمد يرى أن الهمزة حرف علة (١) أو هي شبيهة بحروف العلة ، ولذلك عندما تخفف تصير إلى أحاد حروف العلة .

وصوت الهمزة ينتج من انطباق الوترين الصوتيين « الغشائين » والغضروفين الهرمين في الحنجرة انطباقاً كاملاً وشديداً بحيث لا يسمح للهواء بالمرور مطلقاً فيحتبس داخل الحنجرة ثم يسمح له بالخروج على صورة انفجار .

يقول سيوييه عن الواو والياء والألف « وهذه الحروف غير مهموسات وهي حروف لين ومد ومخارجها متسعة لهواء الصوت وليس شيء من الحروف أوسع مخارجها ولا أمد للصوت ، فإذا وقفت عندها لم تفسمها بشقة ولا لسان ولا حلق كضم غيرها فيهوى الصوت إذا وجد متسعاً حتى ينقطع آخره في موضع الهمزة ، وإذا

تفطنت وجدت متسراً ذلك ، وذلك قولك ظلموا ورموا وعمى وحسبلى .

وزعم الخليل أنهم لذلك قالوا ظلموا ورموا فكتبوا بعد الواو ألفاً ، وزعم الخليل أن بعضهم يقول رأيت رجلاً فيهمز وهذه حسبلاً وتقديرهما رجلع وحباع ، فهمز لقرب الألف من الهمزة حيث علم أنه سيصير إلى موضع الهمزة فأراد أن يجعلها همزة واحدة ، وكان أخف عليهم . وسمعناهم يقولون : هو يضربها فيهمز كل ألف في الوقف كما يستخفون في الإدغام فإذا وصلت لم يكن هذا ، لأن أخذك في ابتداء صوت آخر يمنع الصوت أن يبلغ تلك الغاية في السمع (٢) » .

وقال الليث : قال الخليل :

« في العربية تسعة وعشرون حرفاً منها خمسة وعشرون حرفاً صحاحاً لها أحياز ومخارج وأربعة هوائية وهي الواو والياء والألف اللينة والهمزة .

فأما الهمزة فسميت حرفاً هاوياً لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان ولا من مدارج الحلق ولا من مدارج اللهاة إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف ، وكان يقول كثيراً : الألف اللينة والواو والياء هوائية أي أنها في الهواء (٣) » .

(٢) سيوييه ٢٨٥/٢

(١) أنظر العين ٦٤/١ ، ٦٥

(٣) العين ٦٤/١

## ( ١ ) التاء :

التاء صوت (أو حرف) ينقلب إلى حروف أخرى كالطاء والذال ويكون ذلك في صيغة الافتعال وما يتفرع منه إذا كانت فاء الافتعال حرفا معيناً ، كما أن التاء تبدل منها الواو والياء في هذه الصيغة أيضاً أى صيغة الافتعال ، وما يتفرع منها ، فإبدال التاء طاء أو دالا وإبدالها من الواو والياء خاص بصيغ الافتعال وتقلب التاء طاء أو دالا للتناسب الصوتي وتبدل من الواو أو الياء تسهيلاً للنطق وتخفيفاً فيه .

وقد وصفت التاء بأنها صوت أسنانى لثوى انفجارى مهموس ، أما أنها صوت انفجارى فلأن الهواء يقف وقوفاً تاماً أثناء النطق بها عند نقطة التقاء طرف اللسان بأصول الشنايا العليا ومقدم اللثة ويضغط الهواء مدة من الزمن ثم ينفصل اللسان فجأة تاركاً نقطة الالتقاء فيحدث صوت انفجارى ، وأما أنه صوت مهموس فلأن الأوتار الصوتية لا تتذبذب حال النطق به ، ويلاحظ أن التاء هى النظير المرقق للطاء المستعملة في الفصحى المعاصرة .

وهذه النصوص تكشف فهم القدماء للقراءة الصوتية بين هذه الأحرف ولعل هذا ما سهّل التبادل بينها وتغييرها ببعضها دون أن يترتب على ذلك تغيير فى معنى الكلمة الواحدة .

وقد اختلف الدارسون المحدثون فى وصف هذا الصوت بالجهر أو بالهمس ، وبعضهم قال عنه إنه صوت لا هو بالمهموس ولا بالجهور (١) .

ومهما يكن من اتفاق هؤلاء أو اختلافهم فإن الذى يعنيننا هنا أن هذا الصوت يقع تحت طائفة الإبدال أو الإعلال فيتحول إلى ياء أو ألف أو واو كما تتحول هذه الأحرف إليه فى سياقات صوتية مختلفة لم تنل من هؤلاء المحدثين الاهتمام المناسب .

## ثانياً : حروف الإبدال :

حروف الإبدال — بالمفهوم الذى سنتناوله به — هى : الدال والطاء والتاء والميم ، وقد ينضم إليها فى بعض الحالات الذال والزاي والظاء فى حالة الإدغام فحسب .

ولكننا سنتناول بالتفصيل الحروف المشهورة منها وهى الدال والطاء والتاء وأما الميم فإن لها موقعا خاصا (٢) .

(١) انظر : د . تمام حسان مناهج البحث فى اللغة ١٠٣ ود . عبد الرحمن أيوب : أصوات اللغة ود . إبراهيم أنيس الأصوات اللغوية ٧٢ ود . كمال بشر : الأصوات ١١٢ ود . عبد الصبور شاهين : القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ٢٤ ، ٢٥ ود . محمود السمران : علم اللغة ص ١٩٥

(٢) تبدل الميم من النون الساكنة إذا وقعت بعدها الباء مثل : من بعد ، وأنبيهم ولهذا رست فى المصحف العثمانى ميم صغيرة فوق النون إشارة للقارئ ، ويلاحظ أن الميم جمعت خصائص من الباء الشفوية والنون الأنفية ولذلك صلت ميمرا بينهما ، ويسمى هذا فى فن التجويد القرآنى « الإقلاب » .

## ( ٢ ) الطاء :

وصف القدماء هذا الصوت بأنه صوت مجهور ، فقد عدها سيبويه من الحروف المجهورة - وهى التى تتذبذب الأوتار الصوتية عند النطق بها - ويرى سيبويه أن الفرق بين الطاء والذال هو الإطباق فحسب إذ يقول « ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا والصباد سينا والطاء ذالا ولخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس شئ من موضعها غيرها<sup>(١)</sup> » ، فلما كانت الذال صوتا مجهورا ، وكانت الطاء مشبهة لها فى غير الإطباق كانت الطاء صوتا مجهورا كذلك .

وقد وصف علماء اللغة المحدثون صوت الطاء بأنه صوت أسنانى لثوى انفجارى مهموس مفتح أو مطبق .

وقد وقف بعض الدارسين أمام وصف القدماء محاولا أن يلتمس له وجها ، وعالم ذلك بأحد ثلاثة أمور :

الأول : أن هؤلاء القدماء ربما أخطأوا فى الملاحظة ولا سيما أنهم لم يستخدموا إلا الملاحظة الذاتية التى لا تستند إلى أجهزة علمية أو غيرها ، فكانت الملاحظة الذاتية هى وسيلتهم الوحيدة .

الثانى : أن الطاء ربما كانت تنطق فى عصرهم بالطريقة التى وصفوها بها ثم

حدث تطور فى نطق هذا الصوت حتى صار إلى ما نعرفه اليوم : أى أنه كان فى عصرهم مجهورا ثم تطور النطق به حتى صار مهموسا .

الثالث : لعلمهم كانوا يصنفون صوتا يشبه صوت الطاء الذى نسمعه فى بعض لهجات الصعيد وفى نطق بعض السودانين الآن وهو صوت طاء مشربة بالهميز glattalization أى أننا نشعر عند نطقها بوجود عنصر الهمز فيها . ويتم نطق هذه الطاء بالطريقة التى تنطق بها طائنا الحالية بإضافة عنصر جديد هو إقفال الأوتار الصوتية حال النطق بها ومن ثم لا يمر الهواء خلال الحلق والنفث ، وبالتالي يختلف ضغط الهواء فى هاتين المنطقتين وفى خارج جهاز النطق عنه خلف الأوتار الصوتية وفجأة تنفصل الأعضاء المشتركة فى نطقها بعضها عن بعض فيخرج الهواء المضغوط خلف الأوتار بقوة ملتقيا مع الهواء المندفع من الخارج فى الفم فنسمع طاء مهموزة glottalized نتيجة إقفال الأوتار الصوتية حال النطق بها<sup>(٢)</sup> .

والذى أراه أنه ينبغى ألا نغفل هنا ظاهرة الإبدال بين التاء والطاء وتحول التاء - وهى مهموسة - إلى طاء فى صيغة افتعل إذا كانت فاء الافتعال صوتا مطبقاً أو مفتخما كالطاء

( ١ ) سيبويه ٤٠٦/٢ وانظر سر الصناعة ٢٢٣/١ حيث يقول « اعلم أن الطاء صوت مجهور » وكذلك المقتضب للمبرد ١٩٥/١ حيث عد الأصوات المهموسة ولم يعد بينها الطاء .  
( ٢ ) أنظر د . كمال بشر : الأصوات ١٠٣ ، ١٠٤ .

والظاء والصاد والضاد فينبغي إذن أن تكون الطاء مهموسة أيضا ، إذ الحاجة إلى التفخيم فحسب في مثل اصطر قلبت التاء طاء ، ولا يحتاج هنا بأن هذه من الممكن أن تكون صيغة مستقلة ولا علاقة لها بالتاء ، لأننا نرى أن القوالب الصرفية ثابتة ومطرودة وهذه التغييرات إنما تحدث لمناسبة الأصوات بعضها مع البعض الآخر عند انصبابها في القوالب الصرفية .

### ( ٣ ) الدال :

الدال صوت أسناني لثوي انفجاري مجهور . وهو النظير المجهور للتاء ، وليس بينهما من فرق إلا أن الوترين الصوتيين يتذبذبان مع الدال أثناء النطق ولذلك قلبت تاء الافتعال دالا عند وقوعها بعد صوت بين أسناني مجهور مثل الدال أو لثوي مجهور كالزاي .

ولعلك لاحظت أن هذه الأصوات الثلاثة (التاء والطاء والدال) أصوات أسنانية لثوية انفجارية فهي متقاربة في المخرج والصفة والتاء والطاء مهموستان ولا فرق بينهما إلا الإطباق ، والدال مجهورة ، ولذلك قلبت التاء طاء بعد الأصوات المفخمة أي فخمت التاء فصارت طاء ، وقلبت التاء دالا بعد الأصوات المجهورة أي صارت التاء صوتا مجهورا ولا فرق بين التاء والدال إلا في الجهر فقط .

يقول ابن جني « فإن فاء افتعل إذا كانت زايًا قلبت التاء دالا وذلك نحو : ازدجر ، وازدهي ، وازدار ، وازدان ، وازدلف ، وازدهف ونحو ذلك ، وأصل هذا كله : ازتجروا زتبي وازتاروا زتان وازتلفوا زتلف لأنه افتعل من الزجروا الزهر والزور والزين والزلف والزهف ، ولكن الزاي لما كانت مجهورة وكانت التاء مهموسة وكانت الدال أنحت التاء في المخرج وأنحت الزاي في الجهر قربوا بعض الصوت من بعض فأبدلوا التاء

أشبه الحروف من موضعها بالزاي وهي الدال فقالوا ازدجر وازدار<sup>(١)</sup> ونص ابن جني واضح في بيان أن المناسبة الصوتية هي سبب الإبدال ، وهذا وقوع من الصرفين القاء على العلة الصحيحة .

### رابعاً : فلسفة الصرفيين في تناول هذه الظاهرة :

ينبغي أن يكون واضحاً أن الصرفيين العرب لم يخلقوا هذه الظاهرة خالقاً ، ولا تكلفوا القول بها ارتجالاً ، وذلك لأن مهمة الباحثين ينبغي أن تكون وصفاً للظاهرة وتحديداتها ثم وضعاً للقواعد التي تحكمها على ما هي عليه دون تدخل منهم في مسارها لكنه يمكن القول بأن منهج الصرفيين العرب هو الذي استدعى الوقوف على هذه الظاهرة بالطريقة التي سلكوها معها ، وكان من الممكن

(١) ابن جني : سر صناعة الإعراب ٢٠٠/١ .

لو أنهم اتبعوا منهجا آخر ألا يكون ثمة ما يسمى  
إعلالا أو إبدالا (١).

ومن الحق أن نقرر بادية ذى بدء أن  
مسلك الصرفيين العرب كان مسلكا منسجما  
مع طبيعة اللغة العربية وفهم أسرارها .

وبيان ذلك أن اللغة العربية لغة اشتقاقية  
كأخواتها الساميات (٢) بمعنى أن الكلمات  
فيها تلتقى كل مجموعة منها في أسرة واحدة  
تنتمى إلى جذر ثلاثي في أقل صورة ، فكل  
ثلاثة أحرف تكون مادة لعدد من الكلمات  
تتفق في معنى أساسى وتزيد بعض هذه  
الكلمات معنى إضافيا على هذا المعنى الأصلي  
تبعاً للصيغة التي تكون عليها هذه المادة  
فمثلاً المادة (ف . هـ . م) من الممكن أن تُصَبَّ  
في عدد من « الصيغ » أو القوالب ، مثل  
فَعَل (فهم) وَيَفْعَل (يفهم) و(افْعَل) (افهم)  
وَفَاعِل (فاهم) ومَفْعُول (مفهوم) وِفْعَال  
(فهام) وِفْعَل (فهم) وَاَفْعَل (أفهم) وَيُفْعَل  
(يفهم) واستَفْعَل (استفهم) وتَفَاعَل (تفاهم)  
إلى آخر ما يمكن أن تصب فيه هذه المادة  
من القوالب أو الصيغ الصرفية التي تتفق مع  
بعضها في المعنى الأساسى الأول وهو الفهم

ولكن كل صيغة منها لها معنى أو دلالة  
صرفية إضافية تابعة من اختلاف الصيغة  
أو القالب .

ومن الواضح أن بعض هذه الصيغ أفعال  
وبعضها الآخر أسماء وعلى عالم الصرف أن  
يحدد هذه الصيغ ويحصرها ويحدد صفات  
كل صيغة من هذه الصيغ ويبين صيغ  
الأفعال وصيغ الأسماء .. إلخ .

ونحن نرى أن علماء الصرف العرب  
قد قاموا بجهود كبيرة في هذا المجال فحددوا  
صيغ الأفعال وصيغ الأسماء وبينوا الفروق  
الدقيقة بين كل صيغة وأخرى تحت ما سموه  
بمعانى حروف الزيادة ، وحروف الزيادة  
في الواقع هي اللواحق التي تكسب البنية دلالة  
إضافية مع المعنى الأصلي .

وقد اطردت هذه النظرة واستقامت  
لهم لأن طبيعة اللغة موافقة لهذا الفهم ، وعلى  
ذلك صنف المعاجم العربية بحيث تذكر المادة  
اللغوية المكونة من ثلاثة أصوات أو حروف  
على الأقل ويندرج تحت هذه المادة جميع الصيغ  
الممكنة أو قل جميع القوالب التي يمكن  
أن تصب فيها هذه المادة الصوتية الثلاثية

( ١ ) وكان ذلك يحدث لو أنهم لم ينظروا إلى اللغة على أنها لغة اشتقاقية تنتمى كل مجموعة من الكلمات فيها إلى  
جذر ثلاثي واحد مثلاً .

( ٢ ) يقرر كثير من الدارسين لفصيلة اللغات السامية أنها لغات اشتقاقية ويؤكد أن الأصوات التي يتألف منها  
أصل ما توجد مرتبة حسب ترتيبها في هذا الأصل في جميع الكلمات المشتقة على معناه فالأصوات الثلاثة ( ق . ت . ل )  
مثلاً التي يتألف منها الأصل الدال على معنى القتل توجد مرتبة بالشكل السابق في جميع الكلمات المشتقة على هذا المعنى  
مثل ( قتل ) يقتل ، قاتل ، قتال ، مقتول ، قتل ، إلخ ( أنظر اللغات السامية لنولدكه ص ١٠ وتاريخ اللغات السامية  
لرولفون ١٤ وفقه اللغة لعلي عبد الواحد رافى ١٣ ، ١٤ ط ٢ ) .

لتشكل بأشكال مختلفة تتفق في معنى أساسى ويفترق بعضها عن بعض بفروق دقيقة مضافة إلى المعنى الأساسى عن طريق اختلاف الصيغ أو المقاييس أو الأبنية أو الموازين وإن شئت عن طريق المورفيات أو اللواحق الصرفية بمعناها الأعم وقد سموا الجذر الأصل بالمصدر «المصدر كالمادة والفعل كالمركب من الصورة والمادة وكذا اسم الفاعل والمفعول والموضع والآلة وجميع ما هو مشتق من المصدر»<sup>(١)</sup> «كما يقول الرضى» .

وقد كان من الضرورى استجابة لهذا المنهج الذى سلكه الصرفيون العرب أن يوجد ماسمى بالإعلال والإبدال، وذلك أن الأصول الثلاثة التى يمكن وضعها فى صيغ مختلفة قد يكون بينها حرف علة مثل مادة (ق.و.ل) أو (ب.ى.ع) أو (د.ع.و) أو (س.ع.ى) إلخ .

فأداة (القاف والواو واللام) عند وضعها فى صيغة (فَعَل) ينبغى أن تكون (قَوَل) بواو مفتوحة — وهنا تخضع هذه الصورة (قَوَل) لقوانين صوتية تجعل استعمالها هو (قَالَ) لا (قَوَل) فهنا نجد صيغة هى :

فَعَل = قَوَل ← قَالَ

ولذلك نجد الصرفيين يقولون إن قال أصلها قَوَل ومرادهم بالأصل هنا الصورة المطابقة تماما لبناء الصيغة أو ما يسمى الميزان وهو «الباية التحتية» وكان عليهم أن يصفوا

التغيير الذى حدث وهو هنا قلب الواو ألفا وسبب هذا التغيير وهو هنا فى نظرهم تحرك الواو بعد فتح ، وقد فعل الصرفيون كل هذا .

فالمهم عند الصرفيين هو اطراد الأبنية أو النماذج أو القوالب أو «الموازين» ولذلك عندما يزنون كلمة (قال) وزنا صرفيا نجدهم يقولون: إن وزنها هو (فَعَل) أى أن الصورة التى تنطق بها (قال) صورة اقتضتها طبيعة الأصوات والاستعمال وما يتطلبه من انسجام فى الأصوات وسهولة فى النطق، ولكن الصورة الأصلية الصورة المطابقة للميزان ، قياسا على نظائرها من الصحيح مثل (كتب) و(أخذ) مثلا .

وهنا مسألة يمكن أن تثار حول هذه النقطة الأخيرة وهى هل ما يدعيه الصرفيون من أصول لبعض الكلمات التى حدث فيها الإعلال أو الإبدال يعد أصولا تاريخية بمعنى أن كلمة مثل (قال) كانت تستعمل فى فترة من فترات الاستعمال اللغوى بالصورة التى تصورها الصرفيون وهى (قَوَل) أو أن ذلك محض افتراض من أجل اطراد الموازين والأقيسة الصرفية ؟ .

والحق أن العلماء القدامى أنفسهم لم يغفلوا عن دراسة هذا الجانب ، ولكنها دراسة تناسب ما تيسر لهم من وسائل؛ فقد رأى ابن جنى أن مثل هذه الأصوات

(١) شرح الشافية : ٨٨٢ .

المفترضة ليست أصولاً تاريخية وأكد ذلك  
برضوح شديد في أكثر من موضع من كتبه  
يقول في كتابه «الخصائص» معنى قولنا:  
«أنه كان أصله كذا أنه لو جاء بجيء الصحيح  
ولم يعمل لوجب أن يكون مجيء على ما ذكرنا  
فأما أن يكون استعمال وقتاً من الزمان  
كذلك ثم انصرف عنه فيما بعد إلى هذا  
اللفظ، فخطأ لا يعتقده أحد من أهل النظر» (١).

ويقول أيضاً في كتابه المنصف :  
«وينبغي أن يعلم أنه ليس معنى قولنا:  
أنه كان الأصل في قام وباع : قنوم وبيع»  
وفي «أخاف وأقام أخوف وأقنوم» وفي  
«استعان واستقام : استعنون واستقنوم» أننا  
نريد به أنهم قد كانوا نطقوا مدة من الزمان  
بقنوم وبيع ونحوهما ثم إنهم أضربوا عن  
ذلك فيما بعد .

ولما نريد بذلك أن هذا لو نطق به على  
ما يوجب القياس بالحمل على أمثاله لقليل  
«قول وبيع واستقنوم واستعنون» .

ألا ترى أن استقام بوزن استخرج  
فقياسه أن يكون استقنوم إلا أن الواو  
قلبت ألفاً لتحركها الآن وانفتاح ما قبلها  
في الأصل ، أعني قوم ، وبدل على ذلك  
أيضاً ما يخرج من المعتلات على أصله .

ألا ترى إسقوهم : استروح واستنوق  
الحمل واستنيست الشاة فدل ذلك على

أن أصل استقام : استقنوم وقال الشاعر :  
صددت فأطولت الصدود وقلما  
وصال على طول الصدود يدوم  
فقوله : أطولت يدل على أن أصل  
أخاف : أخوف وقد قالوا أطال . وقالوا  
أحوجت زيدا إلى كذا وكذا وأغييت المرأة .  
وغير ذلك .

فهذه الأشياء الشاذة إنما خرجت كالتنبية  
على أصول ما غير ، وأنه لولا ما لحقه  
من العمل العارضة لكان سبيله أن يجيء  
على غير تلك الهيئة المستعملة (٢) .

فابن جني يعمل وجود بعض الكلمات  
التي لم يحدث فيها إعلال وكان ينبغي أن  
يقع فيها الإعلال بناء على ما أسسوه  
مثل ( أطول ) في قول الشاعر :

صددت فأطولت الصدود وقلما  
وصال على طول الصدود يدوم

ومثل ( استحوذ ) في قوله : تعالى «استحوذ  
عليهم الشيطان» وغيرها مما ذكر بأن هذه  
الكلمات وأمثالها جاءت منبهة على الأصل  
فوجود «أطول» وهي على وزن ( أفعل )  
تنبيه على أن كلمات مثل : أقام وأقال  
وغيرهما أصلهما أقنوم وأقنول على وزن  
( أفعل ) .

(١) ابن جني : الخصائص ٢٥٧/١ وانظر أيضاً صفحات ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ في هذا الجزء نفسه .

(٢) المنصف ١٩٠/١ ، ١٩١ .

وقد وقف بعض الدارسين المحدثين من هذه المسألة - أى مسألة الأصل - الذى يفترضه الصرفيون مواقف مختلفة ففهم من قال بأن « القول بأن صيغة ما أصل للكلمة أو صيغة أخرى مما يتنافى مع المنهج اللغوى الحديث » (١) ولذلك ينبغى الاكتفاء بتسجيل الحقائق الموجودة فى الصيغة بالفعل دون تأويل أو افتراض ، وهذا سلوك الوصفين من علماء اللغة .

ومنهم من ينتهج منهجا تاريخيا ، ويرى أننا ينبغى أن تتبع تاريخ الصيغ المختلفة لنكشف عما أصابها من تغير وما حدث لها من تطور عبر فترات التاريخ وتجب الاستعانة فى ذلك بمقارنة العربية بأخواتها الساميات وعلى هذا يمكن الاستدلال . بالكلمات التى بقيت لم يحدث فيها إعلال بأنها بقايا تاريخية للاستعمال لم يصيبها ما أصاب الكلمات الأخرى مما سماه الصرفيون إعلال ، فهم يستدلون على أن ( قال ) أصلها ( قَوَلَ ) تاريخيا - لا صرفيا فحسب - بوجودها فى الحبشية مثلا - وهى سامية - بالصورة الأخيرة .

ومهما يكن من أمر فإن هذه قضية يمكن أن يدرس الإعلال والإبدال فى ضوءها وقد تأتى بنتائج تعين على فهم أسرار اللغة غير أنها محتاجة إلى وثائق يمكن الاعتماد عليها فى هذا الصدد .

لكننا يمكننا القول الآن بأن الأساس الذى اعتمد عليه الصرفيون العرب فى دراسة هذه الظاهرة هو ملاحظوه من خصائص اللغة العربية وأهم هذه الخصائص « الاشتقاق فى اللغة » واعتماد كل مجموعة من الكلمات على أصل ثلاثى يتشكل فى عدد من الصيغ تكشف عنه نظم المعاجم العربية - وما أكثرها - بصورة غاية فى النصوص والبين .

وهذا هو الأساس الأول الذى استند إليه الصرفيون فى النظر إلى ظاهرة الإعلال والإبدال .

أما الأساس الثانى فهو مراعاة الانسجام والتناسق الصوتيين أو ماسموه بالمناسبة الصوتية فى الكلمة ولذلك عللوا حدوث الإعلال بأنه للتخفيف ، وهذا الأساس فى واقع الأمر ليس إلا تعليلا للأساس الأول ، ومبلغ علمى أنهم قد أصابوا توفيقا كبيرا فى كثير من هذه التعليقات .

ينبغى أن نسجل هنا بأمانة أن هؤلاء العلماء قد وقف كثير منهم على إفهم كثير من أسرار العربية ، وعللوا لهذه الظاهرة تعليلا صحيحا فى كثير من الأحيان ، فظاهرة الإعلال عندهم ترجع لأسباب مختلفة هدفها جميعا التخفيف ، فالعربية تستثقل مقاطع خاصة كالواو ساكنة بين الياء المفتوحة والكسرة ولذلك حذفت الواو فى مضارع وَثَبَ وَعَدَ وَثِقَ على سبيل المثال فلم يقل يَثُوبُ ولا يَئُودُ ولا يوثق : بل قيل : يَثِبُ وَيَعِدُ وَيُوثِقُ .

( ١ ) د . تمام حسان . مناهج البحث فى اللغة ١٨١ .

ويعبر عن ذلك ابن الحاجب بقوله «وتحذف الواو من نحو يَعيد ويَلد لو وقعها بين ياء وكسرة أصلية» وهذه طريقة وصفية تعتمد على ملاحظة الظاهرة الصوتية دون تدخل من الباحث ، ولكنه يكتفى بوصفها بالطريقة التي قدمها بها .

ولما كان الإعلال مجاله حروف العلة فقد اهتموا بذكر خصائص حروف العلة وحاولوا تتبعها ، ولهم في ذلك أحكام يصيب بعضها ويحانب الصواب بعضها الآخر فقد أدركوا التقارب بين الياء والواو ، لكنهم يهتمون ببعض أحرف العلة بالثقل دون بعض ، وهذا ما لا نوافقهم عليه .

وقد التفتوا إلى ظاهرة التناسب بين الأصوات وصيرورتها من نمط واحد ، على حد تعبير بعضهم ، ولهم في ذلك نصوص كثيرة دقيقة ، وظاهرة الإعلال والإبدال في حقيقة أمرها إنما هي للتناسب بين الأصوات في الكلمة ، والصوت يتأثر بما قبله وما بعده أى بالظروف المحيطة به ، يقول ابن جني : «ويدلك على أن الشيء إذا جاور الشيء دخل في كثير من أحكامه لأجل المجاورة قولهم : قَنِية ، وصَبِيَّة ، وفلان من عِلِيَّة الناس ، وهو ابن عمي دنيا ، وصَبِيَّان . وأصل قَنِية من قنوت ، وصَبِيَّة وصَبِيَّان من صبوت ، وعِلِيَّة من علوت ، ودُنِيَّا من دنوت . وقياسه : قَنِوَّة ، وصَبُوَّة ،

وصَبُوَّان . وعلُوَّة ودُنُوَّان ولكن لما جاورت الواو الكسرة قبلها صارت الكسرة كأنها قبل الواو ، ولم يعتمد الساكن حاجزا لضعفه (١) وتغيير أصول الكلمة بما يناسب الصيغة أو البنية يغير ظروف الصوت فيحدث أن تتحول الواو مرة إلى ياء وأخرى إلى ألف أو همزة وعكس ذلك كله واقع ، وهكذا .

وهذا إدراك سليم من الصرفيين ، وفهم صائب لا نريد أن نزكيه بما يقوله ريتشاردز : «إن وقع الصوت لدى النفس لا يتوقف على الصوت نفسه بقدر ما يتوقف على ظروفه المحيطة به ؛ أى على مقدار ما بينه وبين ما قبله وما بعده من الأصوات من انسجام فإن هذه الأصوات تتألف وتكون شبكة محبوكة النسيج ، وأن الكلمة التي تستطيع أن تقع موقع الرضا والقبول لدى هذه الأصوات جميعا وتنسجم معها كلها في وقت واحد هي الكلمة التي تظهر بمظهر الفوز الموسيقي» (٢) وقد حاولوا وصف تغير الأصوات حتى تنسجم موسيقاها وبينوا السبب في ذلك بما يدل على أنهم فهموا الظاهرة على هذا النحو الدقيق ، فمما لاشك فيه أن المتكلم يجد عند نطق همزتين متجاورتين من الثقل ما يعييه ، ولذلك تخلصت العربية من التقاء همزتين متجاورتين بقلب الثانية إلى حرف علة يناسب الموضع صوتيا ولذلك يقول المازني : «إذا التقت الهمزتان في واحدة فلا بد من إبدال الثانية على كل حال» (٣) .

(١) المنصف شرح التصريف لابن جني ٢/٢ ، وتجدر الإشارة هنا إلى أن تأثير الجوار يمتد إلى ظاهرة الإعراب نفسها وهي أعلى ما يحرص عليه النحاة فعرف الجر على الجوار والإتباع وغير ذلك .

(٢) (٣) المنصف ٢/٢ هـ

ولإذا خفي عليهم سبب بعض التغييرات فإنهم كانوا يعللون بها بأنها لطرود الباب على وتيرة واحدة حتى يحصل التشاكل ، ففي مضارع (يعد) مثلاً قالوا إن الواو حذفت لأنها مستقلة بين الياء المفتوحة والكسرة فلما وجدوا أنها محذوفة في : أعد ونعد وتعد - وهي فيها لم تقع بين ياء مفتوحة وكسرة - قالوا : إن الحذف في هذه نوع من الاطراد حتى لا يحصل تخالف في الصيغة الواحدة ، والقرار من حصول التخالف إلى حصول التشاكل سبب عندهم كذلك لوجود إبدال الواو في صيغة افتعل تاء ، فلولا تقاب فاء الافتعال إذا كانت واوا تاء لصارت مرة واوا إذا قلت في اتصل مبنيًا للمجهول «اتصل» وصارت ياء إذا كان مبنيًا للمعلوم (اتصل) وفي المضارع واسم الفاعل والمفعول : يوتصل وموتصل وموصل : وفي الأمر : ايتصل « فلما حصل هذا الداعي إلى مطاق قلبها إلى حرف جلد (قوى) لا يتغير في الأحوال - وللواو بانقلابها تاء عهد قديم - كان انقلابها تاء ههنا أولى ولا سيما وبعدها تاء الافتعال وبانقلابها إليها يحصل التخفيف بالإدغام فيها » (١).

وأما في الإبدال فقد رأينا تفسير ابن جني السابق في إبدال تاء الافتعال دالا بأنه

لمناسبة الأصوات بعضها لبعض في المخرج أو الصفة ، فهي تبدل دالا إذا كان قبلها الزاي ليتناسب الصوت المجهور مع المجهور ، وتبدل طاء إذا كان قبلها صوت مطبق أى مفخم ليتناسب التفخيم مع مثيله وهكذا . ونستطيع بعد هذا أن نلخص فلسفة الصرفيين العرب في تفسير ظاهرة الإعلال والإبدال فيما يأتي :

١ - إن تناول الصرفيين لهذه الظاهرة يكشف عن فهمهم الصحيح لخصائص العربية إذ أنها لغة اشتقاقية ، والقول بما قالوا به في بعض مسائل الإعلال يطرده مع هذه الخاصية التي تشترك فيها العربية مع أخواتها الساميات ، فالقول بأن (قال) أصلها (قَوَل) مثلاً إنما هو رد هذه الصورة المنطوقة إلى الجذر الذي تنتمي إليه وهو (ق.و.ل) وقد أكد ابن جني هذا المعنى في النصوص التي نقلناها عنه من أجل اطراد الأقيسة والنماذج وإن كان هذا لا ينفي أن يكون ثمة أصل تاريخي لمثل هذه الصيغ كما يتضح في الأمثلة التي لم يحدث فيها إعلال مثل : استحوذ وأغيلت المرأة واستنوق الحمل واستتيست الشاة إلخ غير أن هذا الفرض الأخير محتاج إلى دراسة تاريخية مقارنة حتى يُطمأن إلى صحته .

(١) شرح الشافية ٢/٨٢ ، ٨٣ .

٢- إن تلمس الصرفيين لأسباب التغير في هيئة الكلمات التي حدث فيها الإبدال والإبدال يكشف عن فهم فيه صواب كثير لخصائص الأصوات العربية والتشكيل المقطعي لكلماتها، والأسباب التي قدموها في هذا السبيل من حيث الخفة والاستثقال والتناسب الصوتي وغير ذلك أسباب صحيحة في مجملها برغم أنهم لم يكونوا يملكون إلا الملاحظة الذاتية .

ولكن هناك بعض الملاحظات التي يجب الالتفات إليها في هذا الصدد ويمكن أن نجعلها فيما يأتي :

١- لقد أكثر الصرفيون العرب من افتراض الأمثلة غير المستعملة في اللغة وفقاً للنماذج أو الموازين أو المقاييس التي استخلصوها . وأكثروا مما سموه بمسائل التمرين كأن يقولوا : « صنع من كذا على وزن كذا » من أجل التدريب على مسائل التصريف .

وهذه المسائل - وإن كانت تعين على التمكن من أحكام التصريف لأنها تطبق قواعده على افتراضات ذهنية - أرى أنها تعوق ما يجب على الباحث من قصص اهتمامه بالمستعمل المنطوق من اللغة فضلاً عن أنها تزهّد كثيراً من الباحثين في دراسة هذا الجانب بله الشادين فيه .

وتعوق دون الإقبال على هذا الفرع من الدراسة ، ويكفي الرجوع إلى باب «مسائل التمرين» في أي كتاب من كتب الصرف التي تذكر هذا النوع حتى يمكن التحقق من صدق هذه المقولة<sup>(١)</sup> ، ولأود أن أذكر هنا أمثلة لهذا الضرب حتى لأرعب القارئ ، ويجب أن تخلص كتب التصريف من هذه التدريبات غير المجدية وتنقي منها .

٢- لقد اعتمد هؤلاء الدارسون القدامى على ملاحظتهم الذاتية وحدها إذ لم يكن متاحاً لهم في عصرهم مثل ما يتيح لدارسي اليوم من الأجهزة العلمية المختلفة والملاحظة الذاتية في حد ذاتها إحدى الوسائل في الوصف اللغوي غير أن الباحث يقع لظروف مختلفة في خطأ في الملاحظة أو قد تعجز وسائل الملاحظة عن إدراك الظاهرة على النحو الصحيح ، ومعظم هذه الأخطاء تقع في وصف الأصوات وقد رأينا نموذجاً لذلك ما سبق في صوت ( الطاء ) إذ وصف بأنه صوت مجهور ، ومن ذلك قول الرضوي « اعلم أن التاء قريبة من الواو في المخرج لكون التاء من أصول الثنايا والواو من الشفتين ويجمعها الهمس »<sup>(٢)</sup> ومدلول هذا النص أن الواو مهموسة كالتاء ، والحق أن الواو صوت مجهور<sup>(٣)</sup> .

(١) أنظر مثلاً شرح الشافية ٢/٢٩٤ وما بعدها .

(٢) المنصف ٣/٩٧ وما بعدها وشرح الشافية ٢/٨٠ وما بعدها .

(٣) انظر في الجهر والهمس الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس ص ٢١ على سبيل المثال .

٣ - من الملاحظات في دراسة الإعلال والإبدال كذلك أنهم خلطوا بين اللهجات العربية في هذه الظاهرة ، وعدوا ما كان خاصاً باللهجة من اللهجات مبدأً عاماً أو قانوناً على اللغة المشتركة والأمثلة على ذلك كثيرة .

وهذا الجانب جزء من نظرة النحاة والصرفيين للغة بوجه عام وكان من الواجب عليهم أن يقعدوا للغة المشتركة أو اللغة الأدبية ، أو كان عليهم أن يحددوا مستوى معيناً من المستويات ويضعوا قواعده على حدة حتى لا يحدث خلط في التقعيد كأن يقول الرضى مثلاً : « وبعضهم يقلب الواو الواقعة بين الياء المفتوحة والفتحة ألفاً لأن فيه ثقلاً لكن ليس بحيث يحذف الواو له فيقول في : يَوجَل يَاجَل وبعضهم يقلبها ياء لأن الياء أخف من الواو ، وبعضهم يستشنع قلب الواو ياء لعلّة ظاهرة فيكسرياء المضارع ليكون انقلاب الواو ياء لوقوعها بعد كسرة (١) فكلمة « بعضهم » في نص الرضى تشير إلى قبيلة من العرب أي مجموعة لغوية معينة بلاشك ، ولا يمكن أن يكون المقصود بكلمة « بعضهم » بعض العلماء لأن العالم ليس من حقه أن يتدخل في الاستعمال اللغوي كما هو واضح ، وتلاحظ أن الرضى ذكر هذا الكلام بإجمال ولم يحدد أصحاب كل قول وهل هذا داخل في صلب اللغة المشتركة أو لا وأيهما نختار ... إلخ .

٤ - مع الدقة الملحوظة في تناول الصرفيين العرب لهذه الظاهرة نلاحظ أيضاً أنهم اضطربوا أمام بعض الظواهر فلم تتفق لهم سبيل واحدة في التفسير وقد صرح الرضى بهذا حين قال في مسألة من المسائل : « واضطرب في هذا المقام كلامهم » والحق أن هذا الاضطراب الذي يشير إليه الرضى كان في مسألة من مسائل التمرين ، فالمثال مفترض وفيه خلاف واضطراب فكأننا نخلق المشكلة لنختلف في حلها ، وهذا ما قلنا من قبل إنه يجب التخلص منه .

٥ - هناك أيضاً تكلف في محاولة التماس العلة في كل تغيير يحدث وبعض هذه العلل واه ضعيف ، وبعضها ملفق كأن يقولوا مثلاً في « استقام » : أصلها استقوم - وهذا القدر نتفهم وجهة نظرهم فيه - ويبينون السبب في التغيير فيقولون : نقلت حركة الواو إلى الساكن الصحيح قبلها ، ثم يحاولون بعد ذلك التماس العلة لقلب الواو ألفاً ، فيقولون : تحركت الواو بحسب الأصل - لأنها من قوم - وانفتح ما قبلها بحسب الآن فقلبت ألفاً .

وهذا في الواقع تلفيق بين حالين لا يستريح له العقل لأن الموضوع افتراض من أوله ، ونحن قد نسلم بأن الأصل هو

(١) شرح انشافية ٢/٩١ ، ٩٢ .

استقوم لأن القالب أو الميزان أو المقياس هو ( استعمل ) للصحيح والمعتل فإذا سلمنا بأن حركة الواو انتقلت حقا إلى الحرف الساكن الصحيح قبلها فينبغي أن نقول: إن حرف العلة المناسب للمفتحة هو الألف ولذلك قابت الواو ألفا لهذا السبب ولا داعي إلى التلفيق بين الأسباب مع مراعاة أنها مفترضة من أصلها من أجل اطراد الصيغة ، وتجب الإشارة إلى أن بعض العلماء - كابن هشام - قد تجنب كثيرا من التعقيدات الموروثة وعالج كثيرا من المسائل علجا فيه سهولة ويسر .

#### خامسا : رأى بعض الحديثين في الاعلال والابدال :

رأينا أن القول بالاعلال والابدال جاء نتيجة لفكرة الصرفيين العرب القائلة بأن ثمة أصلا افتراضيا مطابقا للميزان أو مطابقا للقالب الصرفي فصيغة «استقول» تعد أصلا له «استقال» وصيغة «أقول» تعد أصلا له «أقال» وصيغة «قوم» تعد أصلا له «قام» وصيغة «دَعَوَ» تعد أصلا له «دعا» وصيغة «ازتجر» تعد أصلا له «ازدجر» وهكذا ، ومن هنا ساغ القول عندهم بأن الواو قلبت ألفا ، والياء قلبت ألفا والتاء أبدلت طاء الخ ،

وأن هذا نابع من أن الصحيح والمعتل يخضعان معا لمقياس واحد .

أما علماء اللغة المحدثون فإن بعضهم في الحقيقة لم يتعرضوا تعرضا مباشرا لظاهرة الإعلال والابدال ولكن يمكن فهم وجهة نظرهم من خلال أقوال متناثرة تعد أسسا لهذه القضية ، فالدكتور إبراهيم أنيس والدكتور تمام حسان مثلا يريان : أن القول بأن صيغة ما أصل لكلمة أخرى مما يتنافى مع المنهج اللغوي الحديث (١) ويؤكد الدكتور كمال بشر هذا المبدأ إذ يقول : إن الفكرة التي تتضمن أن هناك أصلا واحدا فقط تفرعت عنه بقية الصيغ مع شيء من التعديل والتغيير في صورها فكرة لا تعترف بها الدراسات الوصفية الحديثة في البحوث اللغوية ، ويرى أن لكل صيغة خصائصها ووظائفها المعينة فكل صيغة من أعطى ، يعطى ، عطى ، معطى ، معط كلمة مستقلة وكذلك الحكم في نحو يقود وقائد وقيادة ، ويقول إن هناك أساسا عاما يجب اتباعه دائما في الدراسات الوصفية « وهذا الأساس هو الاعتماد دائما على الخصائص والمميزات الموجودة فعلا بالصيغة نفسها بقطع النظر عن إمكانية ردها إلى أصل تشترك فيه مع غيرها أو عدم إمكانية ذلك » (٢) .

(١) انظر من أسرار اللغة : ٥٥ ومناهج البحث في اللغة : ١٨١ .

(٢) انظر التعليق ٢٦ من صفحة ٤٩ وما بعدها في كتاب « دور الكلمة في اللغة » الذي ترجمه الدكتور كمال بشر

وعلى كل كثير من قضاياها .

والواقع أن ماذهب إليه الدكتور تمام والدكتور بشر صحيح في ذاته وقد كان هناك من القدماء من أشار إلى هذه اللفظة، يقول السيوطي: « وزعم قوم من أهل النظر أن الكلم كله أصل وليس منه شيء اشتق من غيره (١) » ولكن السيوطي لم يعين هؤلاء الذين وصفهم بأنهم أهل النظر ، وفي مقابل هذا الرأي يذكر أن كلا من الخليل وسيبويه وأبي عمرو وأبي الخطاب وعيسى بن عمر والأصمعي وابن زييد وأبي عبيدة والجرمي وقطرب والمازني والمبرد والزجاج والكسائي والفراء والشيباني وابن الأعرابي وثعلب يذهب إلى أن الكلم بعضه مشتق وبعضه غير مشتق ، ويغلو بعض العلماء فيرى أن الكلم كله مشتق وقد نسب هذا المذهب للزجاج (٢)

غير أن انطباق ما يقول به كل من الدكتور تمام والدكتور بشر على لغة اشتقاقية يقوم الاشتقاق فيها بدور كبير كاللغة العربية على وجه الخصوص قد يقابل بكثير من الصعوبات ، وإذا كان ستيفن أولمان وهو يتحدث عن بعض مجموعات الكلمات في اللغة الإنجليزية

مثل : Lead ، Leader ، Leadership  
ومثل : give ، gives ، gave ، given

يقول : « ومهما يكن من أمر فإن هناك صلات ترابطية قوية بين أفراد كل مجموعة من مجموعات هذين النموذجين : صلات تبرر بصورة قوية جواز معاملة كل سلسلة منها على أنها وحدة عضوية متكاملة » مع أن هذه الظاهرة غير مطردة في اللغة الإنجليزية ، إذا كان ستيفن أولمان يقول هذا عن لغة كالإنجليزية ، فهل يحق لنا أن نقول بمثل ما قال به الدكتور تمام والدكتور بشر عن اللغة العربية وهي لغة اشتقاقية .

إنني أرى أن كلا من الدكتور تمام والدكتور بشر قد تأثر باللغة الإنجليزية في هذا الحكم ، وما قالوا به صحيح في ذاته وهو أكثر انطباقاً على لغة غير اشتقاقية وأرى أيضاً أن لكل لغة ظروفها الخاصة التي ينبغي أن تدرس في ضوءها .

ولقد ذهب الدكتور بشر مذهباً أبعد من هذا إذ أخذ على الصرفيين العرب قولهم بأن كلمة كذا أصلها كذا ، كأن يقولوا إن «قل» أصلها «قول» وحذفت الواو لالتقاء الساكنين ، يقول الدكتور كمال بشر لقد درج علماء الصرف التقليديون على أن يقولوا مثلاً :

قُلْ أصلها قُولٌ (٣)

التقى ساكنان الواو واللام فحذفت الواو لالتقاء الساكنين فصارت : قل .

(١) الطبع ٢٣١/٦ (٣) انظر الجمع ٢٣/٦ ، ٢٣١ (تحقيق الدكتور مكرم) .

(٢) دور الكلمة في اللغة ٤٩ ، ٥٠ (ترجمة د. كمال بشر) .

(\*) يقول الصرفيون إن قل أصلها (اقول) نقلت حركة الواو إلى الساكن الصحيح قبلها فحذفت همزة الوصل لأنه لم يعد هناك داع لها فصارت الكلمة (قول) فحذفت الواو تخلصاً من التقاء الساكنين ، سيكون الواو وسكون اللام في الأمر الساكن الآخر .

وحقيقة الأمر أن قل جاءت على هذه الصورة منذ بداية الأمر ، ولم يكن من المستطاع أن تأتي بالصورة الثانية « قول » في النطق الفعلي ، لسبب صوتي ظاهر يرتبط بخواص التركيب المقطعي في العربية الفصحى . لقد ثبت بالدراسة أن التركيب المقطعي :

صوت صامت + حركة + طويلة +  
صوت صامت ( cvvc ) + تركيب ممنوع  
في هذه اللغة إلا في حالتين اثنتين هما :

١ - في حالة الوقف .

٢ - أن تكون الحركة الطويلة متلوة بمثلين مدغمين من أصل الكلمة مثل شابة ودابة ، أما ما ذهب إليه هؤلاء الصرفيون فهو عمل افتراضي لا نأخذ به في الدرس اللغوي الحديث (١) .

مرة أخرى نقول إن ما قاله الدكتور بشر صحيح في ذاته ، ولكن الصرفيين العرب أو التقليديين كما يسميهم الدكتور بشر قد قرروا أنهم أنفسهم أن هذه الأصول افتراضية لم تكن مستعملة في وقت من الأوقات ثم عدل عنها إلى الصيغة المستعملة أو حدث تطور فيها حتى صارت الكلمة إلى ما صارت إليه ، ولكنهم يعنون بالأصل الصورة التي كان ينبغي أن تكون عليها الكلمة لو لم يحدث فيها ما سموه هم إعلالا

بالحذف وسماه الدكتور بشر تركيبا مقطعيا ممنوعا ، وهذا الأصل الافتراضي عند هؤلاء الصرفيين أيضاً تركيب مقطعي ممنوع وقد بينوا سبب امتناعه لكنهم لا يغفلون عن طبيعة اللغة الاشتقاقية ويحاولون بكل سبيل أن يربطوا كل كلمة بأصلها الاشتقائي أو بالحذر الذي تنتمي إليه ، ولم يغفلوا أيضاً عن مهمة الصرف الحقيقية وهي دراسة الصيغ والفروق بين كل صيغة وأخرى والتغيرات التي تصيب بعض حروف الكلمات عندما تصب في صيغة معينة أو قالب معين ، وحديثهم عما ينبغي أن يكون إنما هو من أجل توضيح ما هو كائن وشرحه وتفسيره .

ولقد أخذ الدكتور بشر على الصرفيين العرب أيضاً معالجتهم لمسائل الإبدال التي تبدل فيها تاء الافتعال ( طاء ) أو ( دالا ) ورأى أن منهجهم في هذا يتسم بسمتين واضحتين :

أولاهما : إيمانهم بفكرة الأصل بمعنى أن هناك أصلاً ثابتاً ترجع إليه كل الصيغ المتشابهة بطريق مباشر إن أمكن وإلا فبطريق غير مباشر على الافتراض والتأويل .  
ثانيتهما : محاولة حشدهم الأمثلة المتفقة في شيء آخر تحت نظام واحد ، أو إخضاعهم لها لميزان واحد فابتكر واصطبر

(١) د . بشر : الأصوات ١٨٥ ، ١٨٦ . وانظر له أيضاً : دراسات في علم اللغة القسم الثاني ص ١١٠ .

عندهم كلامهما على وزن افتعل وكلامهما يرجع إلى أصل ثلاثي هو الباء والكاف والراء في الأول والصاد والباء والراء في الثاني .

ويرى أن سبيل المعالجة لهذه المسائل هو الوصف على حالتها الراهنة دون إلحائها إلى أصل واحد باتباع مبدأ تعدد الأنظمة في البحث اللغوي Polysgatic Principles لأن مبدأ توحيد الأنظمة جبر الصرفيين العرب إلى التأويل والتخريج والافتراض والوصف وتعدد الأنظمة لا يتم إلا على أسس صوتية تقتضيها خصائص الصيغ المذكورة (١) .

ولم أرى أن طريقة الصرفيين لم تخرج عما وصفه الدكتور إِبْرَاهِيم بأنه « التفسير العلمي » فما قدموه في علاج هذه المسائل إنما هو وصف لسلوك الأصوات في سياقات معينة ، كما أن مبدأ توحيد الأنظمة ليس عيباً ، وليس خيراً منه مبدأ تعدد الأنظمة ، وخاصة أن مبدأ توحيد الأنظمة يؤدي إلى تبسيط سبل الفهم والحصر وإدراك أوجه التشابه والاختلاف ، ولا شك أنني عندما أقول ( افتعل ) أسهل وأوضح من أن أقول ( افطعل ) و ( افدعل ) ، وإذا سألت أحد المبتدئين عن صيغة اصطر ما ميزانها لقال على الفور : افتعل

وكذلك ازدهر وافتكر فهذه الثلاثة من وزن واحد ولكن التناسق الصوتي هو الذي أبقى التاء في موضع واستبدل بها طاء ودالا في الموضعين الآخرين .

وإذا كان الدكتور بشر يرى أن هذه الأمور ينبغي أن يتكفل بها علم الأصوات فإننا نرى أن هؤلاء — وليس هذا دفاعاً عنهم بل هو تقرير لواقع — لم يقصروا في هذا الجانب وقد ردوا كل تغيير من تغييرات الإعلال والإبدال إلى سبب صوتي يرجع إلى استحالة في النطق أو تركيب مقطعي ممتنع وسموا بعض هذا تناسباً صوتياً في المخرج أو في الصفة غير أن لهم مصطلحات تختلف بعض الاختلاف عن المصطلحات الحديثة وكما أنهم اعتمدوا على الوسيلة الوحيدة التي يمتلكونها في ذلك الوقت وهي الملاحظة الذاتية ومع ذلك حققوا نتائج عظيمة .

وهناك بعض الدارسين الذين تعرضوا لدراسة الإعلال والإبدال ، وقد عالجوا هذه الظاهرة على أسس صوتية محضة ، ومن هؤلاء جان كانتينو في كتابه « دروس في علم أصوات العربية » (٢) وقد عالج بعض مسائل الإعلال في مواضع متناثرة تحت قوانين صوتية قائمة على الوصف ،

(١) انظر دراسات في علم اللغة ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٢) ترجمه إلى العربية صالح القرماني وطبع سنة ١٩٦٦ م ( الجامعة التونسية ) .

ولكنها لم تسلم له في كثير من الأحيان كقوله « وإذا وقعت الواو والياء بين فتحة طويلة وكسرة أو ضمة قصيرة قلبتا همزة ، نحو : قال - قائل وباع - بائع وعجوز - عجائز وجزائر - جزائر ، وإرضاي (١) - إرضاء ووفاي - وفاء (٢) .

ونحن نرى أن وضع القاعدة بهذه الصورة ناقص لأن ثمة واوات وأوياءات تقع بين فتحة طويلة وكسرة أو ضمة ولا تقلب همزة وذلك مثل جدمع مقود مقاود وجمع معيشة ومعاش دون همزة .

ولكن النحاة القدماء والصرفيين العرب قد وضعوا القاعدة مستقصاة إذ نصوا على شرط قلب الواو والياء همزة في اسم الفاعل أن تكون الواو أو الياء معلقة في الماضي فإذا لم تعل في الماضي لم تقلب أي منهما همزة وكذلك شرطوا لقلبها همزة في الجمع الذي على وزن مفاعل أن تكون الواو أو الياء في المفرد فإذا كانت كل منهما متحركة أو أصلية لم تبدل منهما الهمزة ، ولذلك حكموا بشذوذ همز « مصائب » وشذوذ همز « معاش » .

وليس معنى أننا ننكر أن يدرس الإعلال والإبدال دراسة صوتية ، بل على العكس

من ذلك أننا نرى أن دراسة الظاهرة صوتياً قد تساعد على فهمها وتجليتها غير أننا نرى أنها لكي تدرس دراسة صوتية ينبغي أن تعمق هذه الدراسة حتى لا يحدث تناقض في القواعد التي يمكن وضعها لإحكام هذه الظاهرة .

ونلاحظ أيضاً أن جان كانتينو يلجأ مع هذه الدراسة الصوتية إلى مثل ما لجأ إليه الصرفيون العرب القدماء كأن يقول بأن كذا حمل على كذا أي قيس عليه مثل قوله « إذا وقعت الواو والياء بين فتحة طويلة وفتحة قصيرة سلمتا نحو : قال وسائر وأما قولهم في النصب « إرضاء » و « وفاء » فلا يناقض هذه القاعدة كما يظهر لك وإنما ذلك راجع إلى حملهم حالة النصب على حالة الرفع والجر (٣) والواقع أنه يتناقض ولن يسلم من هذا التناقض بسبب قوله إنهم حملوا حالة النصب على حالة الرفع والجر . لأن الممول فيه على الوصف الصوتي هو النطق ولا يستقيم مع طريقة الوصف الصوتي القول : بأن كذا حمل على كذا ، وإلا فقد عدنا إلى أسلوب القدماء وطريقتهم في التناول ، ومعنى هذا أنه ينبغي ألا نلجأ إلى أسلوب آخر إلا إذا كان متكاملاً مطرداً لا ينقض آخره أوله .

(١) الصواب أن تكون ( إرضاء ) لأنها من الرضوان والمادة ( ر . ض . و ) .

(٢) انظر صفحة ١٣٩ . (٣) المرجع المشار إليه ص ١٣٩ .

وإننا لنلاحظ كذلك أن الأمور التي سلمت عن طريق الوصف الصوتي كقول جسان كانتينو « وإذا وقعت الواو بعد كسرة ياء وينتج عن هذه العملية حدوث مجموعة هي « سي » تصير كسرة طويلة أي ( سي ) إذا كان بعدها حرف ، وتبقى على حالها إذا كانت متبوعة بحركة نحو : ميولاد - ميلاد

ديوار ديوار  
عاليو عالي

أقول إننا نلاحظ أن مثل هذه الأمور التي سلمت عن طريق الوصف الصوتي قد سلمت كذلك للنحاة والصرفيين العرب القدامى من قبل وهذا الوصف نفسه .

وهناك باحثون آخرون عرضوا لمسائل الإعلال والإبدال منهم هنري فليش الذي وضع أسسا عامة لهذه الظاهرة هي في الواقع وصف لمواقع قلب حروف العلة بعضها إلى بعض وهذا الوصف مجمل يمكن أن يتوجه إليه النقد ، ولأنود أن نطيل بذكر ما عرض له (٢) كما أن هناك من أرجع ظاهرة الإعلال إلى أصل سامي قديم حيث يقول : «وأحد أنواع تبديل الواو والياء بالهمزة

مطرد قديم جدا وهو في حالة وقوعها بعد فتحة ممدودة مثاله قائم وسائر إلى غيرهما . والدليل على أن ذلك التبديل يرتق إلى اللغة السامية الأم هو أنها نجده في الأكادية والآرامية» (٣) .

وإذا كان برجسراسر يؤكّد أن الإعلال بين الواو والياء وبين الهمزة ظاهرة سامية الأصل لوجودها في عدة لغات سامية فإن باحثا محدثا ينكر هذه الظاهرة من أساسها ويحكم بتخطي القدماء ومن وافقهم من المحدثين فيقول «إننا - من وجهة نظرنا - نحكم بخطأ القدماء ومن وافقهم من المحدثين في كل ما زعموه من دعاوى الإبدال في هذا الباب لسبب بسيط هو عدم وجود العلاقة الصوتية المشتركة لحدوث الإبدال» (٤) ثم يجهد نفسه في محاولة للبحث عن تفسير آخر لهذه الظاهرة ، وقد اقتنع بتفسيرات خاصة منها أن إبدال الواو والياء همزة في الطرف بعد ألف زائدة مثل كساء وبناء ليس إبدالا وإنما هو إقفال للمقطع المفتوح وتصحيح الكلمة في الوقف فآثر الناطق إقفال هذا المقطع المفتوح بإحلال الهمزة محل صوت اللين لعل سبيل الإبدال ، بل من أجل تصحيح نهاية

(١) انظر ص ١٣٩ .

(٢) يمكن الرجوع إلى أسس هنري فليش هذه في العربية الفصحى ( ترجمة د . عبد الصبور شاهين ) من ٣٥ إلى ٥٠ وكذلك ( القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث للدكتور عبد الصبور شاهين حيث شرح كثيرا من هذه الأسس في بحث مشكلة الهمزة ، وناقشها صفحة ٥٥ وما بعدها ، واعتمد عليها .

(٣) برجسراسر : التطور النحوي : ٣١

(٤) القراءات القرآنية د . عبد الصبور شاهين ٧٧ ، قد ردد هذه الآراء نفسها في كتابه « المنهج الصوتي للنبذة العربية » ص ١٦٧ وما بعدها حتى صفحة ٢٠٢ .

الكلمة . ولا علاقة صوتية مطلقا بين  
الهمزة وبين الياء والواو . توجب إبدال  
(ما)<sup>(١)</sup> وإذا كان ما يقوله صحيحا فلماذا  
لم يقفل المقطع في مثل (الآي) و (الغاي)  
و (الراي)<sup>(٢)</sup> وكل ما آخره مقطع مفتوح  
منته بحرف علة ، ثم إذا كان هذا من أجل  
الوقوف - كما يقول - فلماذا لم تعد تلك الكلمات  
إلى حالتها عند وصلها؟ وبعد هذا كله فإنه  
يرى أن هذه الهمزة كانت ياء أو واو  
لكنه لا يريد أن يسميها إبدالا ، ونحن نقول له :  
سميها ما شئت ما دامت تسميتها (إبدالا)  
غير مرضية عندك ، فنحن نسميها كما سماها  
الأقدمون - والمحدثون أيضا - حفاظا على  
المصطلح ووصفا للظاهرة .

وأما بقية مسائل الإبدال بين أحرف  
العلة والهمزة فإنه يخضعها لتفسير واحد  
« لأن مشكلتها واحدة هي مشكلة تتابع  
الحركات على تفاوت في كميتها من مسألة  
لأخرى<sup>(٣)</sup> وليس هذا على سبيل الإبدال  
ولكنه - هذه المرة - على سبيل التعويض  
فكل من : قاويل تحولت إلى قائل فعوض

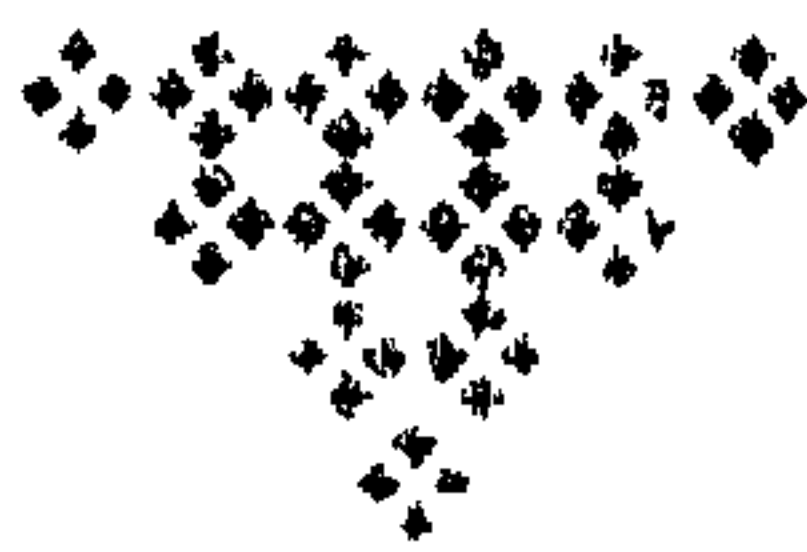
بالهمزة عن الواو . وعجائز تحولت  
إلى عجائز وصحائف إلى صحائف إلخ .  
كل ذلك على سبيل التعويض حتى لا تتابع  
الحركات .

ولست أدري ما الذي جعل العرب  
« يعوضون » في هذه المسائل ولا يفعلون  
ذلك في نحو : مَقَامُود : مُجَامِر ، وَمُعَايِن  
وَمُسَبَّيْن وَأَمْشَاهَا وهي في المنطق مثل عجائز  
وصحائف؟ إن العربية عندما أعلنت تلك  
وصححت هذه كانت ترمى إلى نوع من  
الاطراد تنبه له الصرفيون القدماء .

إن هذه الآراء التي تنظر إلى القديم  
بعين الاحتقار وتري أن الأخذ به  
ضرب من « الرجعية » لا تليق أن تقع  
عند أول خطوة تحاول بها الفكالك من أسر  
صوابه . لقد درس القدماء اللغة من جوانبها  
المختلفة . واطردت نظرتهم واستقامت  
لهم الطريق فلم يقعوا في مثل ما يقع فيه أولئك  
« المحدثون » من خلط واضطراب »

والله ولي التوفيق

محمد حماسة عبد اللطيف  
مدرس النحو بكلية دار العلوم



(١) السابق ص ٨١ . (٢) جمع آية وغاية ورابة . انظر القاموس ٣٧٢٤ . ٣٣/٨ .  
(٣) القراءات القرآنية : ٨٨ .

# إعـدال الـواو والـياء فـي الـلغـة العـربـية دكتور صلاح عبد صالح منين

## مخرج الواو والياء وصفتهما :

### ( أ ) الواو :

تبدأ أعضاء النطق في اتخاذ الوضع المناسب لنطق الضمة ، ثم تترك هذا الوضع بسرعة إلى وضع نطق حركة الفتحة ، وعند نطق الواو تنضم الشفتان ، ويرفع أقصى اللسان نحو أقصى الحنك ، ويسد الطريق إلى الأنف بأن يرفع الحنك اللين ويتذبذب الوتران الصوتيان ، فالواو إذاً صوت مجهور شفوي حنكي قصي<sup>(١)</sup> .

أما ابن الجزري فقد وصف للواو مخرجين ، الأول الجوف وهو للألف والواو الساكنة المضموم ما قبلها والياء الساكنة المكسور ما قبلها . وهذه الحروف تسمى أحروف المد واللين . وتسمى الهوائية والجوفية . قال التحليل : وإنما نسبنا إلى الجوف لأنه آخر انقطاع مخرجهن . والمخرج الثاني وهو للواو غير المدية ومخرجها مما بين الشفتين<sup>(٢)</sup> .

ونتفق مع ابن الجزري في تحديد مخرج الواو المدية وغير المدية ، إلا أننا نزيد عليه بأن أقصى اللسان يرتفع نحو أقصى الحنك عند نطق الواو فالواو في رأي صوت شفوي حنكي قصي<sup>(٣)</sup> .

### ( ب ) الياء :

تبدأ أعضاء النطق في اتخاذ الوضع المناسب لنطق حركة الكسرة ، ثم تنتقل بسرعة إلى نطق حركة الفتحة . وعند نطق الياء يرتفع وسط اللسان تجاه الحنك الصلب وتكسر الشفتان ، ويسد الطريق إلى الأنف بأن يرفع الحنك اللين ويتذبذب الوتران الصوتيان . فالياء صوت مجهور حنكي وسيط<sup>(٤)</sup> .

أما ابن الجزري فقد وصف للياء مخرجين ، الأول : الجوف وهو للياء عندما تكون حرف مد أو لين ، والثاني : وهو للياء غير المدية ،

( ١ ) د . محمود السمران ، علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربي : ١٩٧ - ١٩٨

( ٢ ) ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر : ١٩٩/١

( ٣ ) علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربي : ١٩٨

ومخرجها من وسط اللسان بينه وبين وسط  
الحنك<sup>(١)</sup>.

ونتفق مع ابن الجزرى فى تحديد مخرج  
الياء المدية وغير المدية ، إلا أننا نزيد عليه  
أن الشفتين تكسران ، وهذا فى الحقيقة يميز  
الياء المدية فى نحو ( فى ) .

اختلاف الواو والياء عن الحروف الأخرى :

تختلف الواو والياء عن الحروف الأخرى ،  
فهما ليسا رخوين ، لأنه لا يحدث تضيق  
فى مجرى الفم بشكل يساعد على إنتاج  
الاحتكاك ، وهما ليسا شديدين ، لأنه  
لا يحدث التقاء محكم لأعضاء النطق بشكل  
يساعد على إنتاج الانفجار ، يقول ابن جنى  
فى تأكيد هذا الخلاف : « اعلم أن الصوت  
عرض يخرج مع النفس مستطيلاً ، حتى  
يعرض له فى الحلق والفم والشفتين مقاطع  
تثنيه عن امتداده واستطالته ، فيسمى المقطع ،  
أيما عرض له حرفاً ، وتختلف أجراس  
الحروف بحسب اختلاف مقاطعها . . . فإن  
اتسع مخرج الحرف حتى لا يقطع الصوت  
عن امتداده واستطالته استمر الصوت ممتداً  
حتى ينفذ ، فيفيض حسيراً إلى مخرج الهمزة ،  
فينقطع بالضرورة عندها ، إذا لم يجد منقطعاً  
فما فوقها .

والحروف التى اتسعت مخرجها ثلاثة :  
الألف ثم الياء ثم الواو وأوسعها وألينها الألف  
إلا أن الصوت الذى يجرى فى الألف مخالف  
للصوت الذى يجرى فى الياء والواو ، والصوت  
الذى يجرى فى الياء مخالف للصوت الذى  
يجرى فى الألف والواو . والعلة فى ذلك  
أنك تجد الفم والحلق فى ثلاث أحوال  
مختلف الأشكال . . . أما الألف فتجد الحلق  
والفم معها منفتحين غير معترضين على الصوت  
بضغط أو حصر ، وأما الياء فتجد معها  
الأضراس سفلاً وعلواً قد اكتنفت جنبتي  
اللسان وضغطته وتفاج<sup>(٢)</sup> الحنك عن ظهر  
اللسان ، فجرى الصوت متصعداً هناك .  
فلأجل تلك الفجوة ما استطال : وأما الواو  
فتضم لها معظم الشفتين وتدع بينهما بعض  
الانفراج ، ليخرج فيه النفس ويتصل  
الصوت<sup>(٣)</sup> .

#### وظيفة الواو والياء :

١ - تقوم الواو والياء بوظيفة الحروف  
فتتبع بحركة مثل ولد ، ويترك ، وقد تسكنان  
نحو حَرَضَ وبَيَّتَ .

٢ - تقوم الواو والياء بوظيفة الحركات<sup>(٤)</sup>  
وهذا ما أسماه اللغويون واو المد نحو كتبوا  
وياء المد نحو تكتبين ، وللمصطلحين مصطلح  
خاص وهو الضمة الطويلة والكسرة الطويلة .

(٢) تفاج : تباعد .

(١) النشر فى القراءات العشر : ٢٠٠/١ .

(٣) ابن جنى ، سر صناعة الإعراب : ٨-٩١ .

(٤) د . كمال بشر ، الأصوات : ٨٤ - ٨٥ .

معنى هذا أن الواو والياء طبيعتهما انتقالية ،  
ولذا يسميان صوتين انزلاقيين . والأمثلة  
الآتية توضح ذلك :

من المعروف أن المضارع من ( دعا )  
هو ( يدعو ) ومن ( رمى ) هو ( يرمى ) .  
فالواو في ( يدعو ) والياء في ( يرمى ) حرفا  
مد ، وعند نصب هذين الفعلين بالفتحة  
على آخرهما سجد أن الواو والياء يقومان  
بوظيفة الجروف نحو ( لن يدْعُوْا ) و ( لن  
يرْمِيْ ) . ويرجع هذا الانتقال في الوظيفة  
إلى أن الواو واقعة بين ضمة وفتحة ، والياء  
واقعة بين كسرة وفتحة ، فهما إذاً يسهلان  
الانتقال بين هاتين الحركتين ، وهذا الانتقال  
يتضح أيضاً عند إسناد الفعلين ( يدعو ويرمى )  
إلى ألف الاثنين فيقال : ( يدعوان ويرميان )  
وأشار ابن الحاجب إلى ذلك بقوله : إن  
الواو والياء هنا يصحان نحو لن يغزو ولن  
يرمى<sup>(١)</sup> .

التغيير الذى يطرأ على الواو والياء :

يسمى التغيير الذى يطرأ على الواو أو الياء  
بالإعلال<sup>(٢)</sup> أو بالتطور . من ذلك مثلاً  
تتحول الواو أو الياء إلى فتحة طويلة ( ألف  
مد ) نحو قَوْمَ وَقَامَ . وَبَيْنَ وَبَنَانٍ ، وتبدل  
الواو المسبوقة بالكسرة ياء نحو مُعَوِّدٌ وَمَعِيدٌ .

وتبدل الياء المسبوقة بالضمة واواً نحو طُيْبِيَّ  
وطُورِيَّ ، وتبدل الواو والياء هززة إذا وقعتا  
بعد فتحة طويلة ( ألف مد ) نحو قاوم  
وقاظم ، باين وبائن .

فالإعلال إذاً ضرب من التطور . ومما  
يبدل على ذلك أن هناك صيغةً حافظت على  
الصيغة الأصلية في بيئة معينة . فإذا انتقلنا  
إلى بيئة أخرى وجدنا أن هذه الصيغة  
تطورت ، فتغيرت عن الصيغة الأصلية .  
من ذلك مثلاً :

١ - روى أبو زيد أن قيس تقول :  
العَفَاءَ وغيرها يقول : عَفَاةً<sup>(٣)</sup> .

٢ - قرأ قتادة قوله تعالى : « لَمْثُوبَةٌ مِنْ  
عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ » ( البقرة آية ١٠٣ ) بإسكان  
الثاء وفتح الواو أى « لَمْثُوبَةٌ »<sup>(٤)</sup> . ووصف  
للحياني هذه الصيغة بأنها شاذة ، وأضاف  
إلى ذلك قوله : « وقال الكلبيون لا نعرف  
المثُوبَةَ ولكن المثابة »<sup>(٥)</sup> .

٣ - حكى الفراء قول الشاعر عياض  
ابن أم درة الطائي :

حمى لا يحل الدهر إلا بإذننا  
ولا نسأل الأقوام عهد الميثاق  
في حين رواه أبو زيد بالواو على القياس  
أى عهد الموائق .

(١) شرح الشافية : ١٥٥ .

(٢) شرح المفصل : ٥٤/١٠ .

(٣) د . علم الدين الجندى ، اللهجات في التراث : ٤٣١ .

(٤) مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه . نشره برجستراسر سنة ١٩٣٤ .

(٥) لسان العرب لابن منظور .

٤ - ذكر ابن جني عن أبي علي قراءة عليه عن أبي العباس عن أبي عثمان الأصمعي . قال : بنو تميم - فيما زعم علماؤنا - يتمون منعولاً من الياء فيقولون : ثوب مخيوط . وبر مكبول . وبسرة مطبوبة (١) . وأنشد علقمة :

يوم رذاذ عليه الدجن مغيوم (٢)

قال الشاعر :

قد كان قومك يزعمونك سيداً  
وإن خال أنك سيد معيون (٣)

أما أهل الحجاز في مثل هذا فيحذفون (٤) .

٥ - جاء في الخصائص لابن جني ، أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن عن أحمد بن يحيى ، قال : يقال استصوبت الشيء ولا يقال : استصبت الشيء . ومنه استحوذ وأغليت المرأة واستنوق الحمل . واستتيست الشاة (٥) .

٦ - جاء في الكتاب لسيبويه وتبدل ( الواو ) مكان الألف في الوقف وذلك قول بعضهم : أفعو (٦) وعزا اللسان صيغة أفعو إلى تميم وصيغة أفعى إلى أهل الحجاز (٧) .

وبعد فهذه صيغ قديمة لم يالحقها التطور . وليست شاذة كما ذهب اللغويون ، فقد

وصف ابن جني هذه الصيغ بأنها مبردة في الاستعمال (٨) .

يوصف التطور الذي يطرأ على الأصوات بأنه بطيء . ولا يحدث في كل الصيغ اللغوية . فقد يحدث في صيغة ولا يحدث في صيغة أخرى ، فمثلاً الصيغة السامية القديمة ( قَوم ) احتفظت بها الحبشية القديمة ( الجعزية ) فهي فيها ( Qawam ) (٩) أما في العربية فقد تطورت وأصبحت ( قَام ) ، والصيغة السامية القديمة ( عَور ) و ( صَيَد ) ظلت في العربية دون تطور . ومن هذا القبيل أيضاً أن الواو والياء تُعلَّان في نحو ( يَقُول ) و ( يَسِين ) فتحول الأولى إلى ( يَقُول ) والثانية إلى ( يَسِين ) ، ولكنهما لم يُعلَّان في صيغة الفعل المضاعف نحو ابْيَضَّ واسْوَدَّ . وصيغة التعجب نحو ( ما أبين ) و ( ما أقوم ) . ومن هذا أيضاً أن الواو والياء المحركتين بالفتحة الطويلة تعلان في المصدر ، فتقلبان ألفاً . ثم يستعاض عن أحد الألفين بتاء مربوطة نحو ( استقوام ) و ( استقامة ) ، ولكنهما يسلمان في صيغ جموع التكسير نحو ( قوت وأقوات ) و ( صَوْت وأصوات ) .

(١) انظر نوادر أبي زيد - ٢٦٤ والخصائص ٣-١٥٧ ، وشرح المفصل ١٢٢/٥

(٢) المقتضب : ١٠١/١ ، الخصائص : ٢٦١/١ ، اللقي : ٥٧٦/٤

(٣) قائله العباس بن مرداس راجع المقتضب : ٢٠١/١ ، وشرح شواهد الشافية : ٢٨١ ، وشرح التصريح : ٣٩٥/٢

(٤) د . علم الدين الجندى ، اللهجات في التراث : ٤٣١ و ٤١٥

(٥) الخصائص : ١ / ٩٧-٩٨

(٦) الكتاب : ٢١١/٤ تحقيق عبد السلام هارون

(٧) اللسان ٢٠ / ١٨

(٨) القياس والنحو العربي مجلة كلية اللغة العربية : ٣٠٢/١٠

(٩) ( ترجمتي الخاصة ) Dilmann, Ethiopic Gr. P. 105

ويرتبط حدوث التطور أيضاً بظاهرة أخرى هي ظاهرة الموقعية (١) ، من أمثلة ذلك ما يلي :

١- إذا سبقت الواو أو الياء الساكنتان بفتحة قصيرة فإنهما لا يسقطان إذا وقعا في وسط الكلمة نحو : يَوْمٌ ، وَيَسْتٌ ، وَحَوْقٌ ، وَشَيْطَانٌ ، ويسقطان إذا وقعا في طرف الصيغة نحو ( عَصَوُ وَعَصَا ) و ( قُرَى وقرى ) .

٢- الواو والياء المتحركتان بالفتحة المسبوقتان بساكن تتحولان إلى فتحة طويلة ( ألف مد ) إذا وقعتا في الوسط نحو ( يَتَقَوِّمُ وَيُقَامُ ) ( أَقْوَمَ وَأَقَامَ ) ولكنهما تسليمان إذا وقعتا في الطرف نحو عَدُوٌّ وَحَيٌّ وَصِنُوٌّ .

قوانين التطور اللغوي :

من أهم قوانين التطور اللغوي المشابهة والمخالفة :

أولاً : المشابهة :

هي عملية تحويل صوت إلى صوت آخر يشابهه أو يكون قريباً من الصوت التالي له أو السابق له ، والمشابهة نوعان : النوع الأول ، وفيه يؤثر الصوت الأول على الصوت الثاني ، فيتحول الصوت الثاني إلى صوت يشبه الصوت الأول وتسمى مشابهة تقديمية .

والنوع الثاني ، وفيه يؤثر الصوت الثاني على الصوت الأول فيتحول إلى صوت مشابه له أو قريب منه وتسمى مشابهة رجعية .

**المشابهة التقديمية :**

ويؤدي هذا النوع إلى سقوط الصوت الثاني . والصوت المؤثر قد يكون صامتاً أو حركة . والمتأثر واو أو ياء .

( أ ) عندما يكون الصوت المؤثر صامتاً ( حرفاً ) :

١- تؤثر الياء على الضمة الطويلة ( واو المد ) التالية لها في صيغة اسم المفعول الأجوف اليائي . فتحول إلى كسرة طويلة ( ياء مد ) ثم تسقط الياء ، وتنتقل الكسرة الطويلة ( ياء المد ) إلى الصامت ( الساكن ) قبلها فيتغير التركيب المقطعي للكلمة نحو مَبَّيُوعٌ ومُسَبَّعٌ .

٢- تؤثر الياء الساكنة على الواو التالية لها مباشرة فتحول إلى ياء ، وتندغم في الياء السابقة نحو أيَّوامٌ وأَيَّامٌ ، سَيَّوَرْدٌ وسَيَّيْدٌ .

( ب ) عندما يكون الصوت المؤثر حركة :

١- تؤثر الكسرة على الياء الساكنة التالية لها فتحول إلى ياء مد للكسرة السابقة ،

( ١ ) يقصد بالموقعية الموقع الذي يقع فيه الواو أو الياء ، فقد يقعان في بداية الكلمة أو في وسط الكلمة أو في طرف الكلمة ، وقد بنى سيبويه دراسته لإعلال الواو والياء على موقعيهما في الكلمة ، يقول في قلب الواو همزة في نحو وعاء وإعاء : ولكن ناسا كثيرين يجرون الواو إذا كانت مكسورة مجرى المضمومة ، فهمزون الواو المكسورة إذا كانت أولاً ... ( الكتاب : ٣٣١/٤ ) وبنى سائر اللغويين قواعد إعلاهم على أساس الموقعية ، من ذلك مثلاً : إذا نظرت الواو والياء بعد ألف زائدة قلبت همزة ( تصريف الأسماء د . عبد الرحمن شاهين : ١٦٧ ) .

ويتحول المقطع المغلق إلى مقطع مفتوح نحو : ( مَيْمَات ومَيْمَات ) .

وتؤثر الضمة على الواو الساكنة التالية لها فتتحول إلى واو مد للضمة السابقة ويتحول المقطع المغلق إلى مقطع مفتوح نحو ( مَوْصَدَة ومَوْصَدَة ) .

٢ - تؤثر الكسرة على الواو التالية ، فتتحول إلى ياء نحو ( رَضِيو ورَضِي ) ، وإن كانت الواو ساكنة تتحول إلى ياء وتصبح الياء كسرة طويلة ( ياء مد ) نحو ( إَوْعَاد وإِيعَاد ) و ( عَالُو وعَالِي وعَال ) و ( مَوْلَاد ومِيلَاد ) ، وأشار اللغويون القدماء إلى ذلك فقالوا . تبدل الواو ياء لوقوعها ساكنة مفردة إثر كسرة<sup>(١)</sup> .

### المشابهة الرجعية :

يؤدي هذا النوع إلى سقوط الصوت الأول ، والصوت المؤثر قد يكون الواو أو الياء أو حركة .

( أ ) عندما يكون الصوت الثاني المؤثر واواً أو ياء ، والمتأثر هو الواو أو الياء :

١ - تؤثر الياء على الواو الساكنة السابقة لها مباشرة ، فتتحول إلى ياء نحو ( شَوَى وشَوَى ) و ( كَوَى وكَى ) .

(ب) عندما يكون الصوت الثاني المؤثر واواً أو ياء والصوت الأول المتأثر حركة :

تؤثر الياء الساكنة على الضمة السابقة لها مباشرة فتتحول إلى كسرة ، ثم تصبح الياء الساكنة حرف مد للكسرة السابقة مثل : ( بُيُض وبُيُض ) .

(ج) عندما يكون الصوت الثاني المؤثر حركة والمتأثر هو الواو أو الياء :

١ - تؤثر الكسرة على الياء السابقة لها فينتج كسرة طويلة ، وتنقل هذه الحركة إلى الساكن قبلها نحو : ( يَسِيرُ ويسِير ) و ( مَضِيْب ومَضِيْب ) .

٢ - تؤثر الكسرة على الواو السابقة لها فتتحول إلى ياء ، ثم تتحول الكسرة والياء - كما في الحالة الأولى - إلى كسرة طويلة ، وتنقل إلى الساكن قبلها نحو ( مَضِيوب ومَضِيوب ومَضِيوب ) و ( مَقُول ومَقِيل ) .

٣ - تؤثر الضمة على الواو السابقة لها فينتج ضمة طويلة وتنقل إلى الساكن قبلها نحو ( يَتَقَوَّلُ ويَقُول ) .

٤ - تؤثر الفتحة على الواو أو الياء السابقتين فتبدلها ألفاً نحو ( يَتَقَوَّلُ ويَقَالُ ) و ( أَبِينْ وأَبَانْ ) .

( ١ ) د . عبد الرحمن شاهين ، تصريف الأسماء : ١٩٥ .

هـ - تؤثر الضمة الطويلة ( واو المد ) على الواو السابقة لها فتسقط . وتنتقل الضمة الطويلة ( واو المد ) إلى الساكن قبلها نحو ( مصوون ومصوون ) .

## ثانيا : المخالفة (١) :

تتمثل في نزعة صوتين متشابهين إلى الاختلاف ، وتميل الواو أو الياء إلى قلبهما همزة في اللغة العربية في الأحوال الآتية :

١ - إذا التقت واوان في أول الكلمة ، تخالف الواو الأولى إلى همزة نحو ( وواق وأواق ) .

٢ - الواو المفتوحة أو المكسورة أو المضمومة في بداية الكلمة تخالف إلى همزة عند أهل تميم نحو ( وشاح وإشاح ) .

٣ - الواو والياء المحركة بالكسرة والمسبوقة بفتحة طويلة في صيغة اسم الفاعل تخالف إلى همزة نحو ( قاول وقائل ) و ( بايع وبائع ) وكذلك في المصدر نحو لقاء وبقاء وحياء وذلك عند أهل العالية (٢) .

**ثالثا :** تكون الواو والياء ضعيفتين إذا وقعتا بين حركتين قصيرتين نحو ( قوم وقام ) و ( بينَ وربان ) ، لذلك يميلان نحو السقوط في أوزان صرفية معينة وفي موقع معين ،

إلا أنهما يسلمان إذا ضعفتا نحو سعودي وسوري وعراقي ، ويكثر ذلك في صيغ النسب .

## رابعاً : سبب مقطعي :

إذا وقعت الواو أو الياء في نهاية مقطع مزدوج تميل إلى السقوط لأن اللغة العربية تميل إلى التخلص من هذا النوع من المقاطع نحو ( ليست ولست ) .

وفيما يلي دراسة مفصلة عن إعلال الواو والياء وفق أسس ثلاثة هي :

- ١ - قوانين التطور .
- ٢ - الصيغ التي يحدث فيها الإعلال .
- ٣ - الموقع الذي يحدث فيه الإعلال .

وسنقسم هذه الدراسة إلى قسمين : القسم الأول ، وهو خاص بالواو أو الياء الساكنتين ، والقسم الثاني خاص بالواو أو الياء المحركتين .

## القسم الأول : الواو والياء الساكنتان :

الواو والياء الساكنتان المسبوقتان بحركة قصيرة

تسبق الواو والياء بحركة قصيرة قد تكون فتحة أو كسرة أو ضمة .

### ١ - الفتحة

للموقعية والوزن الصرفي أثر في حدوث الإعلال أو عدم حدوثه .

( ١ ) بقصد بالمخالفة إبدال الحرف حرفاً يخالف الأول تمام المخالفة كقلب الواو همزة ، فالهمزة تخالف الواو تماماً .

( ٢ ) المقصود بأهل العالية هو نجد . قال الأصمعي نقلًا عن ابن الأعرابي نجد ريسان : السافلة والعالية ، فالسافلة مولى العراق والعالية مولى الحجاز وتهامة ( اللججيات في التراث : ٩ )

من حيث الموقعية : أولاً في وسط الكلمة.

من حيث الصيغة الصرفية :

هناك ثلاث حالات هي :

( أ ) سقوط الواو والياء .

( ب ) المحافظة على الواو والياء .

( ج ) تحويل الواو ياء .

( أ ) سقوط الواو والياء :

تسقط الواو والياء في صيغة المضارع على وزن ( يَتَفَعَّلُ ) نحو وَعَدَ فأصل صيغة المضارع ( يَوْعَدُ ) وأصبحت ( يَعْدُ ) وكذلك زاد، أصل صيغة المضارع ( يَزِيدُ ) وأصبحت ( يَزِيدُ ) . وسار ، أصل صيغة المضارع ( يَسِيرُ ) وأصبحت ( يَسِيرُ )<sup>(١)</sup> .

( ب ) المحافظة على الواو والياء :

يحافظ على الواو والياء في الأوزان الصرفية الآتية :

١ - فَعَّلَ نَحْوَيَوْمَ وَصَوْمَ وَسَوَّوْ بِئِيتَ وَسِيرَ .

٢ - فَعَلَّاتٍ نَحْوَ عَوْرَةٍ وَبَيْضَةٍ .

٣ - مَفْعِلٍ نَحْوَ مَوْعِدٍ وَمَوْقِعٍ .

٤ - مَفْعُولٍ نَحْوَ مَوْثُوقٍ .

٥ - صيغة المضارع ( يَتَفَعَّلُ ) نحو بَيِّبَسَ .

٦ - صيغة استفعَّل نحو استَوَلَى .

٧ - صيغة أَفْعَلْ نَحْوَ أَيْقَنَ وَأَيْقَظَ وَأَوْعَدَ .

٨ - صيغة فَعَّلَ نَحْوَ حَوَّقَلَ وَشَيَّطَنَ .

٩ - صيغة تَفَعَّلَ نَحْوَ تَوَكَّيَدَ ، وقد تقلب الواو همزة عند بعض العرب فيقولون تَوَكَّيَدَ (٢) .

( ج ) تحويل الواو إلى ياء :

تتحول الواو إلى ياء في حالتين :

( أ ) إذا تبعث الواو بالياء نحو ( رَوَّيَانُ وَرَيَّانُ ) .

( ب ) إذا وقعت رابعة أو خامسة نحو ( أَعْطَوْتُ وَأَعْطَيْتُ ) و ( زَكَّوْتُ وَزَكَّيْتُ ) و ( تَعَاوُتُ وَتَعَاوَيْتُ ) وعلى هذا النحو تركَّيْتُ وَتَسَاوَيْتُ واستدعيت .

ثانياً : في طرف الكلمة :

تسقط الواو والياء ، وتندثر فتحة طويلة ( أَلَفٌ مَدَّةٌ ) في الأفعال والأسماء ، ومع الأسماء المنونة تنحصر الفتحة الطويلة إلى فتحة قصيرة نحو ( عَصَوُ وَعَصَاً الْوَلَدُ ) ومع التنوين عَصَاً ) و ( قُرِّيَ وَقُرِّيَ ) ومع التنوين قُرِّيَ وبالمثل ( خُطِرَ وَخُطَا ) و ( شَتَّى وَشَتَّى ) و ( عَفَى وَعَفَاةً ) و ( أَعْمَى وَأَعْمَى ) ، ( مُسَمَّوٌ وَمُسَمَّى ) . ويرى النحاة أن الواو والياء هنا حركتان على أساس وجود حركة الإعراب ، وبالتالي تكون الواو أو الياء قد تحركتا وانفتح ما قبلهما فقلبتا ألفاً ( أى فتحة طويلة ) ، ولكننا نرى

(١) د . إبراهيم هلال في الواق الحديث في التصريف : ١٧٧ - ١٨٧ .

(٢) ابن السكيت ، إصلاح المنطق : ٥٩ .

أن الإعراب لا يظهر في الكلمات المفردة البعيدة عن التراكيب ، لهذا نرى أن الكلمات هنا ساكنة الآخر .

## ٢ - الكسرة

من حيث الموقع :

أولاً : في وسط الكلمة .

تؤثر الكسرة على الراء التالية لها فتستبدل ياء من باب المماثلة التقديمية ، ثم تتحول الياء إلى حرف مد للكسرة السابقة . أما الياء فتتحول إلى كسرة طويلة ( حرف مد للكسرة السابقة ) .

من حيث الصيغة الصرفية :

تطبق القاعدة السابقة على الصيغ الآتية :

١ - فِعْلٌ نَحْو ( طَيْبٌ وَ طَيِّبٌ ) و ( دِيكٌ وَ دِيَاكٌ ) .

٢ - فِعْلَانِ نَحْو ( ثِيْرَةٌ وَ ثِيْرَةٌ ) .

٣ - فِعْلَانِ نَحْو ( خِيْلَانٌ وَ خِيْلَانٌ ) و ( جِيْرَانٌ وَ جِيْرَانٌ ) و ( جِيْوَعَانٌ وَ جِيْعَانٌ ) .

٤ - مِفْعَالٌ نَحْو ( مِيْوَعَادٌ وَ مِيْعَادٌ ) و ( مِيَوْقَاتٌ وَ مِيَقَاتٌ ) و ( مِيَوْزَانٌ وَ مِيزَانٌ ) .

٥ - إِفْعَالٌ نَحْو ( إِيَوْقَادٌ وَ إِيَقَادٌ ) .

٦ - اسْتِفْعَالٌ نَحْو ( اسْتِيْثَاقٌ وَ اسْتِيْثَاقٌ ) (١)

و ( اسْتِيْلَاءٌ وَ اسْتِيْلَاءٌ ) ، يقول اللغويون ؛ تتحول الواو إلى ياء لوقعها ساكنة إثر كسرة (٢) . وشرح سيديويه انقلاب الواو ياء فقال في باب ماقلب فيه الواو ياء: وذلك إذا سكنت وقبلها كسرة : فمن ذلك قولهم الميزان والميعاد ، وإنما كرهوا ذلك كما كرهوا الواو مع الياء في لَيْسَ وَسَيِّدٌ ونحوهما ، وكما يكرهون الضمة بعد الكسرة حتى إنه ليس في الكلام أن يكسروا أول حرف ويضموا الثاني نحو فِعْلٌ ، ولا يكون ذلك لازماً في غير الأول أيضاً ، إلا أن يدركه الإعراب ، نحو قولك : فخذ . وترك الواو في مِوزَانٌ أثقل ، من قِبَلِ أنه ساكن فليس يحجزه عن الكسر شيء ، ألا ترى أنك إذا قلت وتيدة (٣) قوى البيان للحركة ، فإذا أسكنت التاء لم يكن إلا الإدغام ؛ لأنه ليس بينهما حاجز ، فالواو والياء بمنزلة الحروف التي تتداني في المخرج ، لكثرة استعمالهما إياها ، وأنهما لا تخلو الحروف منهما ومن الألف ، أو بعضهن ، فكان العمل من وجه آخر أخف عليهم ، كما أن رفع اللسان من موضع واحد أخف عليهم في الإدغام ، وكما أنهم إذا أدنوا الحرف من الحرف كان أخف عليهم ، نحو قولهم ازدان واصطبر ، فهذه قصة الواو والياء (٤)

(١) استوثاق صيغة استفعال من الفعل استوثق والفعل المجرد منه وثق .

(٢) د . عبد الرحمن شاهين ، تفسيريف الأسماء : ١٦٥

(٣) وتدة مصدر من الفعل وتد .

(٤) الكتاب : ٤ / ٣٣٦ و ٣٣٧ تحقيق عبد السلام هارون .

ثانياً : في طرف الصيغة :

تؤثر الكسرة على الواو التالية فتتحول إلى ياء ثم تصبح ياء مد للكسرة السابقة ، أما الياء فتتحول إلى ياء مد للكسرة السابقة ، وتميل الكسرة الطويلة إلى التقصير مع التنوين نحو (غَازِيٌّ وَغَازِيٌّ وَمَعَ التَّنْوِينِ غَازِيٌّ) وَمُتَهَدِّئٌ وَمَعَ التَّنْوِينِ مُتَهَدِّئٌ. يقول اللغويون استثقلت الضمة أو الكسرة على الواو أو الياء فحذفت ، فالتقى ساكنان ، الواو أو الياء والتنوين ، فحذفت الواو أو الياء وبقي التنوين (١).

### ٣ - الضمة

سندرس الواو مستقلة عن الياء هنا :

الواو :

من حيث الموقع :

في وسط الكلمة .

تؤثر الضمة على الواو التالية فتتحول إلى حرف مد للضمة السابقة ( ضمة طويلة ) ، وذلك عند بعض التباثل العربية نحو (مُؤَصِّدَه وَمُؤَصِّدَةٌ) ، وتتحول إلى همزة عند بعض آخر من التباثل العربية نحو (مُؤَصِّدَةٌ) .

جاء في إصلاح المنطق : أنشدنا أبو عمرو عن الكسائي :

يَحْنُ إِلَى أَجْيَالِ مَكَّةَ نَاقِي

وَمِنْ دُونِهَا أَبْوَابُ سِنْعَاءَ مُؤَصِّدَةٌ (٢)

الياء :

هناك حالتان من حالات المماثلة .

الحالة الأولى : وفيها تؤثر الضمة على الياء التالية لها فتتحول إلى واو من باب المماثلة التقديمية ، ثم تصبح الواو حرف مد للضمة السابقة ( ضمة طويلة ) .

الحالة الثانية : وفيها تؤثر الياء على الضمة السابقة فتتحول إلى ياء من باب المماثلة الرجعية ، وتصبح الياء حرف مد للكسرة السابقة .

وفيما يلي دراسة مستقلة عن هاتين الحالتين :

الحالة الأولى : وفيها تؤثر الضمة على الياء التالية لها فتتحول إلى واو ، ثم تصبح الواو حرف مد للضمة السابقة ( ضمة طويلة ) ويقول اللغويون : تبدل الياء واواً لوقوعها ساكنة بعد ضمة .

من حيث الموقع :

أولاً : في وسط الكلمة .

من حيث الصيغة :

يحدث هذا الإعلال في الصيغ الآتية :

١- اسم الفاعل مُفْعِلٌ نحو (مُفْعِلِينَ وَمُفْعِلِينَ)

و (مُفْعِلِينَ وَمُفْعِلِينَ) .

٢- فُعْلَى عندما تكون اسماً نحو (ضُفْيَى

وضُفْيَى) و (كُفْيَى وكُفْيَى) ، و (طُفْيَى

وطُفْيَى) (٣)

(١) د . عبد الرحمن شاهين ، تصريف الأسماء : ١٨٤ (٢) إصلاح المنطق : ١٥٩ و ١٦٠ (٣) أما إذا كانت صفة فتحدث الحالة الثانية ، وفيها تؤثر الياء على الضمة السابقة فتتحول إلى كسرة ، ونصبح الياء حرف مد للكسرة السابقة فيقال ضيق وكيسى صفتين ( الكتاب : ٤ / ٣٣٨ و ٣٣٩ تحقيق عبد السلام هارون ) وهذا يعني أن الحالة الأولى تحدث في صيغ صرفية معينة ، والحالة الثانية في صيغ صرفية أخرى ، أما ما ذهب إليه جان كانتنيو من أنه يجوز أن نغلب الياء واواً أو أن تسلم فهذا غير مقبول في نظرنا ، لهذا نؤيد ما ذهب إليه سيوبه من أن القلب قاصر على الأسماء ، وعدم القلب قاصر على الصفات ( راجع علم الأصوات العربي لجان كانتنيو : ١٣٩ والكتاب : ٤ / ٣٣٨ و ٣٣٩ )

ثانياً : في طرف الكلمة :

من حيث الصيغة :

١ - في صيغة الفعل الماضي فَعَلَّ إِذَا كانت لامها ياء نحو ( قَضَى وَقَضَوْ ) .

٢ - إِذَا وقعت الياء قبل تاء التأنيث نحو ( مَرْمِيَّةٌ وَمَرْمُوءَةٌ ) .

٣ - إِذَا وقعت قبل زيادتي فعِلَانْ نحو ( رَمِيَانْ وَرَمُوءَانْ ) .

٤ - إِذَا كانت الياء لاسماً لا اسم على وزن فَعْلَى نحو ( تَقْمِي وَتَقْمُوءَى ) ، وذلك للتمييز بين الاسم والصفة . فَإِنْ كانت صفة لم تقلب .

الحالة الثانية : وفيها تؤثر الياء على الضمة السابقة . فتتحول الضمة إلى كسرة ، وتصبح الياء حرف مد للكسرة السابقة .

من حيث الموقع :

أولاً : وسط الكلمة

من حيث الصيغة : يحدث ذلك في الصيغ الآتية :

١ - صيغة فَعْلَى عندما تكون صفة نحو ( ضَيْقِي وَضَيْقِيَّ ) و ( كَيْسِي وَكَيْسِيَّ ) .

٢ - صيغة فَعْل جمع أفعال نحو ( هَيَاءٌ وَهَيْمٌ وَهَيْمٌ ) و ( بَيْضَاءٌ وَبَيْضٌ وَبَيْضٌ ) .

ثانياً : طرف الكلمة

من حيث الصيغة :

يحدث ذلك في صيغة تَفَاعُلْ نحو ( تَوَاتَى وَتَوَاتَى ) .

الواو والياء الساكنتان المسبوقتان بحركة طويلة :

قد تسبق الواو أو الياء بحركة الفتحة الطويلة ( أَلْفُ الْمَدِّ ) أو الكسرة الطويلة ( يَاءُ الْمَدِّ ) أو الضمة الطويلة ( وَائِ الْمَدِّ ) ( أ ) الفتحة الطويلة « أَلْفُ الْمَدِّ » :

من حيث الموقع : طرف الصيغة .

من حيث الصيغة : صيغة فَعَالْ أَوْ فَعَالٍ .

نُتِبَتِ الْوَائِ أَوْ الْيَاءُ عِنْدَ تَمِيمٍ فَيُقَالُ : حَيَّأَيَّ وَكَيْسَيَّ وَبَيْنَيَّ وَرِدَيَّ ، وَفِيدَيَّ وَعَلَاوُ وَتُخَالَفُ الْوَائِ أَوْ الْيَاءُ إِلَى هَمْزَةٍ عِنْدَ أَهْلِ الْعَالِيَةِ ( أَهْلُ نَجْدٍ ) لِذَلِكَ يُقَالُ : عَلَاءٌ وَحَيَّاءُ وَكَيْسَاءُ وَبَيْنَاءُ وَرِدَاءُ وَفِيدَاءُ ، ثُمَّ شَاعَ ذَلِكَ فِي الْعَرَبِيَّةِ الْفُصْحَى .

( ب ) الكسرة الطويلة :

من حيث الموقع : طرف الصيغة .

من حيث الصيغة : صيغة فَعِيلٍ . ( ياء مد ) .

تتحول الواو الساكنة المسبوقة بكسرة طويلة إلى ياء لتناسب الكسرة ، ثم تقصر الكسرة الطويلة لينشأ مقطع قصير ؛ لأن اللغة العربية لا تفضل المقطع الطويل في طرف الكلمة ، ويؤدي تقصير المقطع الطويل إلى تضعيف الياء ، يقول اللغويون . اجتمعت الواو والياء وسكنت الأولى فقلبت الثانية ياء

وَأُدْنِمَتْ فِي الْيَاءِ<sup>(١)</sup> نَحْوُ (جَلِيٍّ وَجَلِيٍّ) وَهِيَ صَيَغَةُ فَعِيلٍ مِنَ الْفَعْلِ جَلَا يَجَاوُ .

(ج) الضمة الطويلة :

من حيث الموقع : طرف الصيغة .

من حيث الصيغة : صيغة فَعُولٍ أَوْ فَعُولٍ .

(أ) إذا سبقت الواو بضمة طويلة (واو مد) : تقصر الضمة الطويلة إلى قصيرة وتضعف الواو نحو (عَدُوٌّ وَعَدُوٌّ) .

(ب) إذا سبقت الياء بضمة طويلة (واو مد) : تؤثر الياء عليها ، فتتحول الضمة الطويلة (واو المد) إلى كسرة طويلة (ياء مد) ثم تقصر إلى كسرة قصيرة وتضعف الياء نحو (مُضَوٍّ وَمُضَوٍّ) و (عُصَوٍّ وَعُصَوٍّ) و (دَلَوٍّ وَدَلَوٍّ) يقول اللغويون : قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء وكسر ما قبل الياء المشددة .

القسيم الثاني :

الواو أو الياء المتحركتان إذا سبقتا بحرف

ساكن :

١ - تُعَلِّقُ الْوَاوُ أَوْ الْيَاءُ بِوَجْهِ عَامٍ إِذَا وَقَعَتْ فِي وَسْطِ الْكَلِمَةِ حَسَبِ التَّفْصِيلَاتِ

المقبلة . ولكنهما يسلمان في الصيغ الآتية :

(أ) الفعل المضاعف نحو ابْيَاضَ وَأَسْوَدَ .

(ب) صيغة أفعِل من المعتل الفاء نحو أَوْفَى وَأَيْقَنَ .

(ج) صيغة التعجب نحو : مَا أَبْيَنَ وَمَا أَقْوَمَ<sup>(٢)</sup> .

٢ - تحول الواو أو الياء إلى حركة طويلة . وتنقل إلى الساكن قبلها ، وبالتالي سيحدث تغيير في التركيب المقطعي للكلمة ، فمثلا (يَهْيَبُ) تتكون من ثلاثة مقاطع : الأول مغلق (يَهْيَبُ) . وكل من الثاني والثالث مفتوح (يَهْيَبُ) . وبعد الإعرال ستتحوّل المقاطع الثلاثة إلى مقاطع مفتوحة هي : (يَهْيَبُ) ، وهذا الإعرال خاص بصيغ معينة .

٣ - تسقط الواو أو الياء ، ويستعاض عنها ببناء التانيث المربوطة : ويحدث هذا في صيغ المصادر نحو إقوام (وهي الصيغة الأساسية للمصادر التي على وزن إفعال) . وإقامة .

وسندرس فيما يلي بالتفصيل أحوال إعرال الواو أو الياء المتحركتين والمسبوفتين بحرف ساكن :

قد تكون حركة الواو أو الياء فتحة قصيرة أو كسرة قصيرة أو ضمة قصيرة أو فتحة طويلة أو ضمة طويلة .

(١) د . عبد الرحمن شاهين ، تصريف الأسماء : ٢٤١

(٢) ابن عقيل : ٢ / ٥٧٢

( ١ ) الواو أو الياء المحركتان بالفتحة القصيرة :

من حيث الموقع :

أولاً : في وسط الكلمة

من حيث الصيغة :

( أ ) تسقط الياء أو الواو وتنشأ فتحة طويلة

( ألف مد ) في الصيغ الآتية :

١ - صيغة الفعل المضارع ( يَفْعَل ) نحو

( يَقُولُ وَيُقَالُ ) و ( يُسْأَلُ وَيُسَالُ ) .

٢ - صيغة الفعل الماضي ( أَفْعَل ) نحو

( أَقْوَمَ وَأَقَامَ ) و ( أَبَانَ وَأَبَانَ ) و ( أَعْوَدَ

وَأَعَادَ ) .

٣ - صيغة الفعل الماضي ( اسْتَفْعَلَ ) نحو

( اسْتَعْوَذَ وَاسْتَعَاذَ ) و ( اسْتَشَوَّرَ وَاسْتَشَارَ )

واحتفظت قبيلة تميم بالصيغة الأصلية نحو

اسْتَعْوَذَ وَاسْتَشَارَ وَاسْتَشَوَّرَ .

٤ - صيغتا ( مَفْعَلٌ وَمَفْعَلَةٌ ) نحو ( مَسْرُوقٌ

وَمَسْرَاقٌ ) و ( مَمْنُونٌ وَمَمْنَانٌ ) و ( مَسْنُونٌ

وَمَنْأَمٌ ) و ( مَطِيرٌ وَمَطَارٌ ) و ( مَكْشُورَةٌ

وَمَكَاذَةٌ ) .

٥ - صيغة ( مَفْعَلٌ ) نحو ( مَقْنُومٌ وَمَقْنَمٌ )

و ( مَعْوُذٌ وَمُعَاذٌ ) .

٦ - صيغة ( مُسْتَفْعَلٌ ) نحو ( مُسْتَشَوَّرٌ

وَمُسْتَشَارٌ ) و ( مُسْتَعْوَنٌ وَمُسْتَعَانٌ ) .

( ب ) تمتاز أبنية المصادر بأن ألف الملة المنقلبة

عن واو أو ياء - كما في الحالة السابقة -

تسقط ويستعاض عنها بتاء مربوطة في

طرف الصيغة نحو ( إقوام وإقام وإقامة )

و ( إبيان وإبان وإبانة ) .

( ج ) تقلب الواو ياء في الصيغ الآتية :

١ - الصفات التي على وزن «فُعْلَى» لتمييزها

عن الأسماء التي على نفس الوزن ، ويحدث

هذا القلب عند أهل تميم نحو ( عُلُوٌّ وَعُلْيَا )

و ( دُنُوٌّ وَدُنْيَا ) أما حِزْوَى وقُصْوَى فهما

اسمان عند أهل تميم ويستعملهما أهل الحجاز

صفتين .

٢ - صيغ التصغير التي تقع فيها الواو

بعد الياء نحو ( جَرَّوْ وَجَرَّيْوْ وَجَرَّيْ ) يقول

النحاة في تفسير هذا الإعلال : اجتمعت

الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت

الواو ياء وأدغمت الياء في الياء .

٣ - لا يحدث إعلال في صيغة ( افْعَلَّ )

نحو اغْيَيْمٌ (١) .

ثانياً : في طرف الكلمة :

تسلم الواو والياء نحو عَدُوٌّ وَرَمَى وَصِنُوٌّ .

( ٢ ) الواو والياء المحركتان بالكسرة القصيرة :

١ - تؤثر الكسرة على الواو - من باب

المماثلة الرجعية - فتتحول الواو إلى ياء :

ثم تصبح حرف مد للكسرة السابقة نحو

( مضروف ومضيف ) و ( مقول ومقيل ) .

( ١ ) ابن عقيل : ٥٦٥/٢ ، نصريف الأسماء : ١٦٦ .

٢ - تثبت الياء وتصبح حرف مد للكسرة التالية (كسرة طويلة) نحو (مُبِينٍ ومُبِينٍ) و (يَبِينٍ وَيَبِينٍ) و (يَسِيرٍ وَيَسِيرٍ) .

٣ - إذا وقع قبل الواو ياء ، تدغم في الياء المنقلبة عن واو مثل (سَيُودٍ وسَيِيدٍ وسَيِيدٍ) و (مَيُوتٍ ومَيُوتٍ) (١) .

(٣) الواو المحركة بالضمة القصيرة :

تتحول إلى ضمة طويلة ، وتنتقل إلى الساكن قبلها نحو (يَقُولُ وَيَقُولُ) .

وفي صيغ جموع التكسير تخالف الضمة إلى همزة عند بعض القبائل العربية نحو (أَدُورُ وأَدُورُ) و (أَنُورُ وأَنُورُ) .

(٤) الواو والياء المحركتان بالفتحة الطويلة (ألف المد) :

من حيث الموقع : وسط الكلمة .

من حيث الصيغة :

(أ) المصدر :

تسقط الواو أو الياء وتنشأ ألف مد (فتحة طويلة) فيلتقي ألفا مد (فتحتان طويلتان) فتنتقل إحداهما إلى الساكن السابق ، ويستعاض عن الأخرى بتاء مربوطة في نهاية الصيغة (٢) ، وعكس النحاة هذا الإعلال بقولهم : تحركت عين المصدر بحسب الأصل وفتح ما قبلها بحسب الآن ، فقلبت الواو أو الياء

ألفاً ، فالتقى ساكنان ، الألف الجديدة التي هي عين الكلمة وألف المصدر ، فحذفت إحداهما ، وعرض عنها تاء ، نحو (استَعْوَاذ واستعاذه) و (استَعْوَام واستقامه) و (إقْوَام وإقامة) و (إضْبَاف وإضافة) .

(ب) أبنية جموع التكسير :

لا يحدث فيها مثل هذا الإعلال ، وإنما تسلم الواو أو الياء نحو (صَوْتُ وأَصْوَات) و (قَوْتُ وأَقْوَات) و (بَاب وأَبْوَاب) و (موت وأموات) .

وإذا سبقت الواو ياء ساكنة تقلب الواو ياء وتدغم في الياء الأولى نحو (يَوْم وأَيَّام وأَيَّام)

(٥) الواو والياء المحركتان بالضمة الطويلة (واو المد) :

تخافظ تميم على الواو والياء المحركتان بالضمة الطويلة نحو مَبِيع ومَكِيل ومَدِين ومَعِين ومَصُون ومَقُون قال ابن جني : بنو تميم - فيما زعم علماؤنا - يتمون مفعولاً من الياء فيقولون : ثوب مخيوط ويسرة مطبوبة أما أهل الحجاز فيحذفون الواو وتنتقل حركتها إلى الساكن قبلها نحو ثوب مصون وقول مقول ، وفرس مقود ، ذكر ابن خالويه : ليس في كلام العرب من ذوات الواو معقول نخرج على أصله إلا في حرفين ،

(١) الكتاب لسيبويه : ٣٦٥/٤ تحقيق عبد السلام هارون ، وابن عقيل : ٥٦٦/٢

(٢) هناك خلاف بين البصريين والكوفيين حول أي الألفين تحذف .

(٣) ويعوض عنها بتاء مربوطة في طرف الصيغة (راجع شرح المنصل : ٦٠/١٠ وما بعدها)

يقال مسك مدووف وثوب مصوون ، وحكى الكسائي خاتم مصووغ ، وفرس مقوود<sup>(١)</sup> .

جاء في اللسان : رجل معود ومَعْرُود ، الأخيرة شاذة ، وهي تميمية ، ومسك مدووف وهي تميمية . قال ابن الأعرابي : ثوب مصون على النقص ومَصُونٌ على التمام . الأخيرة نادرة وهي تميمية<sup>(٢)</sup> ، قال اللحياني قول مقول ومَقْوُول . قال والإتمام لغة أبي الجراح ، ولعله أبو الجراح العقيلي . جاء عن الفراء عن الكسائي أن بني يربوع وبني عقيل يقولون حل مصووغ ومسك مدووف وثوب مصوون وفرس مقوود وقول مقوول ، أما البصريون فلا يعرفون ذلك<sup>(٣)</sup> . وبني يربوع بطن من حنظلة من تميم كما جاء في نهاية الأرب ، وأما عزوها لعقيل ، فعقيل غير تميم<sup>(٤)</sup> .

ومن الأمثلة العامية في نجد « أم البيض مَقْوُوقَرَادَة »<sup>(٥)</sup> قتادة الآية الكريمة : «لَشُوبَة» من عند الله خير» (البقرة: ١٢٥) في حين أن قراءة الجمهور «لَشُوبَة» : هذه إذن صيغة قديمة ولوجارت التطور لأصبحت بمثابة كما في لهجة كلاب . حكى ابن منظور قول السكلايين : « لانعرف المَشُوبَة ولكن المَشَابَة » .

أما الياء المحركة بالضممة الطويلة عند أهل الحجاز ، فإن الضمة الطويلة ( واو الله ) تسقط ويحافظ على الياء ثم تتحول إلى كسرة طويلة ( ياء مد ) ، وتنتقل إلى الساكن قبلها نحو مبيوع عند أهل تميم ومبيع عند أهل الحجاز ، وبالمثل يكون مَصْيُوب ومَصْيِب ، مكيول ومكيل ، معنى هذا أن اللغة تحافظ على الضمة الطويلة مع الواو إشارة إلى الأصل الواوي ، وتحافظ على الكسرة الطويلة مع الياء إشارة إلى الأصل اليائي . وفسر النحاة هذا الإعلال فقالوا : « إن أصل مبيع هو مبيوع ، ثم نقلت حركة الياء إلى الساكن الصحيح قبلها ، فسكنت الياء ، فالتقى ساكنان الياء والواو ، فحذفت الواو على رأى سيديويه ، ثم قلبت الضمة كسرة لمناسبة الياء فصار مبيع » .

### القسم الثالث :

#### الواو أو الياء المتحركتان في أول الكلمة :

١ - الواو أو الياء المتحركتان بالفتحة القصيرة :

تقلب الواو أو الياء عند القبائل الشرقية من الجزيرة العربية همزة ، وثبتت عند القبائل العربية نحو وجم وأجم وناة وأناة ، وسادة ، وإسادة ، وتشبه اللهجات الشرقية في هذا اللغة الأكادية التي تميل إلى تحويل الواو أو الياء في أول الكلمة همزة فمثلا يَوْمُ فيها أم (umu)<sup>(٦)</sup>

(١) الخصائص: ٣٧٠/١ ، اللهجات في التراث : ٤١٦

(٢) اللسان: ١١٨/١٧ ، اللهجات في التراث : ٤١٧

(٣) أدب الكاتب : ٤٧٧

(٤) (ترجمتي الخاصة) Rabin, Ancient West Arabian. P. 160

(٥) اللهجات في التراث : ٤٣١

(٦) (ترجمتي الخاصة) Rabin, Ancient West Arabian. P. 84

ولكن يبدو أن هذا القلب ليس مطرداً كما وصفه سيديويه<sup>(١)</sup> غير أن الواو المحركة بالفتحة القصيرة تقلب همزة باطراد إذا تبعته بواو أخرى محركة بفتحة طويلة (متبوعة بألف مد) نحو (وولهد وأواعد) و (وواصل وأواصل).

هذا بالنسبة إلى الواو ، أما بالنسبة إلى الياء فإنها كالواو نحو (يلك وألك) وتنسب الأخيرة إلى هذيل ، وهذيل من قبائل الجزيرة العربية الشرقية و (يرقان وأرقان) و (يبد وأد) وتشبه اللهجات الغربية في ذلك اللغات السامية الغربية .

## ٢ — الواو أو الياء المحركتان بالكسرة القصيرة :

تثبت عند القبائل العربية في غرب الجزيرة العربية مثل وسواس ، وسام ، وشاح ، وعاء ، وتقلب همزة عند القبائل في شرق الجزيرة العربية ، وعزى ذلك إلى قبيلة هذيل ، فتقول في وشاح إشاح ، وفي وعاء إعاء . جاء في إصلاح المنطق : وكاف وإكاف ، وإلاف وإلاف ، وسادة وإسادة<sup>(٢)</sup>.

يقول سيديويه : « ولكن ناساً من العرب يجرون الواو إذا كانت مكسورة مجرى المضمومة ، فيهمزون الواو المكسورة إذا

كانت أولاً . كرهوا الكسرة فيها كما استثقل في يبيجل وسيد وأشباه ذلك »<sup>(٣)</sup> .

## ٣ — الواو أو الياء المحركتان بالضمة القصيرة :

تثبت عند بعض القبائل ، وتستبدل همزة عند بعضها الآخر ، مثل وجوه وأجوه ، حكى الفراء حتى الوجوه وحتى الأجوه<sup>(٤)</sup> ، ومثل : ولید وألید<sup>(٥)</sup> ، يقول سيديويه : « اعلم أن هذه الواو إذا كانت مضمومة فأنت بالخيار إن شئت تركتها على حالها . وإن شئت أبدلت همزة مكانها وذلك نحو قولهم في ولید أليد . وفي وجوه أجوه ، وإنما كرهوا الواو حيث صارت فيها ضمة كما يكرهون الواوين فيهمزون نحو قؤول وموثة ، وأما الذين لم يهمزوا فلأنهم تركوا الحرف على أصله ، كما يقولون قؤول ، ومع أن هذه الواو ضعيفة تحذف وتبدل ، فأرادوا أن يضعوها مكانها حرفاً أجلد منها ، ولما كانوا يبدلون في مفتوحة في مثل وكاة وأناة ، كانوا في هذا أجدر أن يبدلوا حيث دخله ما يستثقلون ، فصار الإبدال فيه مطرداً حيث كان البديل يدخل فيما هو أخف منه<sup>(٦)</sup> »

أما الياء المضمومة فتثبت نحو يبيوسة<sup>(٧)</sup> :

- (١) الكتاب : ٢٣١/٤ تحقيق عبد السلام هارون  
(٢) الكتاب : ٣٣١/٤ تحقيق عبد السلام هارون .  
(٣) الكتاب : ٣٣١/٤ تحقيق عبد السلام هارون .  
(٤) إصلاح المنطق : ٦٠  
(٥) الكتاب : ٣٣١/٤ تحقيق عبد السلام هارون .  
(٦) الكتاب : ٣٣١/٤ تحقيق عبد السلام هارون  
(٧) تصريف الأسماء : ١٦٠

#### ٤ - الواو المحركة بالفتحة الطويلة ( المتبوعة )

بألف مد :

تبدل الواو المتبوعة بألف مد في لهجة كنانة ياء نحو يازع بدلا من وازع ، وتشبه هذه الظاهرة ما في العبرية والآرامية ؛ إذ أن الواو في أول الكلمة تبدل ياء فيها نحو ولد فلانها تصبح يولد .

#### القسم الرابع :

#### الواو والياء بين حركتين في وسط الكلمة

تحرك الواو أو الياء بالفتحة القصيرة أو الكسرة القصيرة أو الضمة القصيرة أو بأى حركة طويلة .

#### ( أ ) الواو والياء المحركتان بالفتحة القصيرة :

قد تسبق بفتحة قصيرة : تسقط الواو أو الياء ، وتنشأ فتحة طويلة ( تنقلب ألفاً ) في الصيغ الآتية :

١ - فَعَلَّ فِعْلاً أو فَعَّلَ اسماً ، ونرى أن الإعلال يقع في الاسم والفعل على حد سواء ؛ لأنه لن يؤدي إلى لبس في الصيغتين ، ذلك أن اللغة تميز بين الفعل والاسم في الصيغة الواحدة عن طريق الإعراب أو البناء ، فعندما تكون ( فَعَّلَ ) اسماً تعرب ، وعندما تكون فعلاً تنبى .

وأمثلة وقوعه في الأفعال : ( قول وقال ) و ( يبيع وباع ) ، ( يسير وسار ) .

ويحدث هذا الإعلال في طرف الفعل كذلك نحو ( سَوَى وسَوَى ) و ( نَدَوَ ونَدَا ) و ( نَجَوَ ونَجَا ) .

وتبقى الفتحة الطويلة في المقطع المفتوح وفي المقطع المعلق تقصر الفتحة إلى فتحة قصيرة ولكنها تستبدل بحركة تجانس عين الفعل ، فإن كانت عين الفعل واواً استبدلت الفتحة ضمة نحو ( قُمْتُ ) وإن كانت ياء استبدلت الفتحة كسرة نحو ( سِيرْتُ ) وبالتالي تدل حركة فاء الفعل على أصل العين<sup>(١)</sup> .

أوضحنا أن الإعلال يحدث في صيغة ( فَعَّلَ ) أما صيغة ( فَعَّلَ ) فإنه لا يحدث وخاصة إذا كان الإعلال سيؤدي إلى خلط الصيغة الناتجة بصيغة ( فَعَّلَ ) نحو ( عَوَّرَ وعَارَ ) و ( صَيَّدَ وصَادَ ) ، فلو حدث الإعلال في ( فَعَّلَ ) هنا لاختلطت بصيغة ( فَعَّلَ ) ، ومن هنا نرى أن الإعلال مرتبط بالصيغة الصرفية ، وعدم حدوث الإعلال في هذه الأمثلة لا يكون من باب الشواذ ، على أن للخليل رأياً آخر ، فهو يرى أن الذي يسلم هو باب ( فَعَّلَ يَفْعَلُ ) أما باب ( فَعَّلَ يَفْعِلُ ) فإن الواو أو الياء تعتل فيه نحو ( طاح يطيح ) و ( تاه يته )<sup>(٢)</sup> ومما يؤيد ما ذهبنا إليه قول سيبويه في شرح ذلك : « وأما قولهم : ( عَوَّرَ يعوِّر ) و ( حَوَّلَ يحوِّل ) و ( صَيَّدَ يصيد ) فإنما جاءوا بهن على الأصل ، لأنه في معنى ما لا بد له من أن يخرج على الأصل ،

(١) (ترجمتى الخامسة) P. 119 O'leary, Comparative Grammar of the Semitic Languages

(٢) الكتاب : ٢٤٤/٤ تحقيق عبد السلام هارون

نحو (اعْمُورَزْتُ) و (احْوَلْتُ) . . . فلما كنَّ في معنى ما لا بد له من أن يخرج على الأصل لسكون ما قبله تحركن ، فلاو لم تكن في هذا المعنى اعتلت ، ولكنها بنيت على الأصل إذ كان الأمر على هذا <sup>(١)</sup> .

أمثلة وقوعه في الأسماء :

١ - وزن فعل نحو (بَوَّبَ وبَابَ) .

٢ - وزن مُفاعلة نحو (مُتَاجِرَةٌ ومُتَاجِرَةٌ) و (مُتَاجِرَةٌ ومُتَاجِرَةٌ) .

٣ - وزن فُعلة نحو (قُضِيَّةٌ وقُضِيَّةٌ) و (رُمِيَّةٌ ورُمَاةٌ) و (رُعِيَّةٌ ورُعَاةٌ) و (حُدُوَّةٌ وحُدَاةٌ) .

الواو أو الياء إذا سبقتا بكسرة قصيرة :

من حيث الموقع :

في وسط الكلمة : يحافظ على الواو نحو حَوَّجَ وخاصة إذا أدى الإعلال إلى الاختلاط بطبيعة (فَعَل) .

في طرف الكلمة : تتحول الواو إلى ياء نحو (رَضُو ورَضَى) و (قَوَّو وقَوَّى) <sup>(٢)</sup> .  
وتتحول الواو إلى ياء إذا وقعت قبل تاء التانيث نحو شَجِيوَةٌ وشَجِيَّةٌ ، وبالمثل باقية وداعية وعادية <sup>(٣)</sup> .

أما الياء فيحافظ عليها نحو لَقِيَ .

الواو أو الياء إذا سبقتا بضم قصيرة :

تسلم الواو والياء في الصيغ الآتية :

١ - صيغة فَعَل الدالة على جمع التكسير نحو (نوب) .

٢ - صيغة مَفْعَل نحو (مُوقَد) <sup>(٤)</sup> .

٣ - صيغة المضارع المنصوب نحو (لن يَغْزُو) و (لن يَرْمَى) .

٤ - صيغ الأسماء المنصوبة نحو (رأيت القاضي) <sup>(٥)</sup> .

الواو أو الياء إذا سبقتا بفتحة طويلة

(ألف مد)

من حيث الموقع :

أولا : في وسط الكلمة :

يحافظ عليها عند بعض القبائل العربية نحو : بايع وسائر وتجاوز ، وتسقطان ويستعاض عنها بتضعيف الخرف التالي عند بعض آخر من القبائل نحو (تجاوز وتجاوز) <sup>(٦)</sup> .

ثانيا : في طرف الكلمة :

يحتفظ بها عند بني تميم سواء أكان ذلك في المصدر أو الجمع نحو لِقَايَةٍ وصلابة ، أما أهل العالية (أهل نجد) فيحولونها

(١) الكتاب : ٣٤٤/٤ تحقيق عبد السلام هارون

(٢) تصريف الأسماء : ٢٣٤

(٣) علم الأصوات العربي : ١٣٨

(٤) تصريف الأسماء : ١٦٤ وعلم الأصوات العربي : ١٣٨ والنحو المقارن : ١١٩

إلى همزة نحو مُشَاء وبُكَاء ودُعَاء ووعاء،  
ولقاءة وعباءة<sup>(١)</sup> ويقول النحاة إذا تطرفت  
الواو أو الياء بعد ألف زائدة قلبت همزة<sup>(٢)</sup> .

(ب) الواو أو الياء المحركتان بالكسرة  
القصيرة :

قد تسبقان بفتحة قصيرة أو بضمة  
قصيرة .

١ - عندما تسبقان بفتحة قصيرة :  
تؤثر الفتحة على الواو أو الياء والكسرة  
فيسقطان وتنشأ فتحة طويلة ، أو كما  
يقول النحاة ، تحركت الواو أو الياء  
وفتح ما قبلهما فقلبتا ألفا<sup>(٣)</sup> نحو (مُخْتَبِرٌ  
وَمُخْتَارٌ) و (مُنْقَوِدٌ وَمُنْقَادٌ) و (خَوْفٌ  
وَحَيَافٌ) و (نَوْرٌ وَنَسَارٌ) .

٢ - عندما تسبقان بضمة قصيرة :  
تؤثر الكسرة على الواو والضممة السابقة  
فتنشأ كسرة طويلة أو ياء مد نحو (قَوْلٌ  
وَقِيلٌ) و (سَيْرٌ وَسَيْرٌ) :

٣ - عندما تسبقان بفتحة طويلة  
(ألف مد) :

تتحولان إلى همزة في الصيغ الآتية :  
(أ) اسم الفاعل نحو قاوم وقاثم ،  
قاول وقائل ، يقول النحاة وقعت الواو

عينا لاسم الفاعل فقلبتم همزة لوقوعها  
إثر ألف زائدة :

(ب) صيغة جمع التكسير فعائل نحو  
(سَحَابٌ وَسَحَابٌ) (عَجَازٌ وَعَجَازٌ)  
ويقول النحاة : وقعت الألف وهي حرف  
زائد بعد ألف الجمع فقلبتم همزة ، وإن  
كانت المادّة أصليّة لم تقلب نحو مُصَيِّبَةٌ  
وَمَصَابِيْبٌ .

(ج) صيغ المصادر (فَعَالٌ وَفِعَالٌ وَإِفْعَالٌ)  
نحو (قَضَايٌ وَقَضَاءٌ) و (نَمَاوٌ وَنَمَاءٌ)  
و (شَقَايٌ وَشَقَاءٌ) و (إِرْضَايٌ وَإِرْضَاءٌ)  
(ج) الواو أو الياء المحركتان بالضممة القصيرة :

قد تسبق الواو أو الياء بفتحة قصيرة  
أو كسرة قصيرة أو ضمة قصيرة .  
(أ) عندما تسبقان بفتحة قصيرة :  
تؤثر الفتحة على الواو أو الياء والضممة  
القصيرة فتحذف الواو أو الياء والضممة  
وتنشأ فتحة طويلة أو كما يقول النحاة :  
تحركت الواو أو الياء وانفتح ما قبلهما  
فقلبتا ألفا نحو (طَوِيلٌ وَطَالٌ) و (يُسْنَدُو  
وَيُسْنَدَى) .

(ب) عندما تسبق الياء بكسرة قصيرة :  
تسقط الضمة وتتحول الياء إلى حرف  
مد للكسرة السابقة نحو (يَرْمِي وَيَرْمِي) ؟

(١) اللهجات في التراث : ٢٦٤

(٢) تصريف الأسماء : ١٦٧ و ١٦٨ و ١٨٨

(٣) تصريف الأسماء : ١٦٤

(ج) عندما تسبق الواو بالضممة القصيرة  
تسقط الضمة وتنحول الواو إلى حرف  
مد للضممة السابقة نحو (يَمْنَدُو وَيَمْنَدُو)  
(يَغْزُو وَيَغْزُو) .

### (د) الواو أو الياء المحركتان بحركة طويلة (بحرف مد أولين) .

١ - الواو أو الياء المحركتان بفتحة طويلة  
(ألف المد) :

تسبق الواو أو الياء بالفتحة القصيرة أو  
الكسرة القصيرة .

(١) عندما تسبق الواو أو الياء بالفتحة  
القصيرة : — يحافظ عليهما مثل : صَوَّأَ عَق .

(٢) عندما تسبق الواو أو الياء بالكسرة  
القصيرة : تقلب الواو ياء في الصيغ الآتية :

(أ) صيغة المصدر فيَعَال من الفعل الثلاثي  
فَعَلَ عند أهل الحجاز نحو (قام قياماً)  
(وصام صياماً) و(حال حياً) (٢) أما إذا  
كانت فعَال مصدرًا لفعل على وزن  
فاعل فإنها تثبت ، وذلك للتمييز بين  
مصدر الفعل المجرد (فَعَلَ) ومصدر  
الفعل المزيد (فَاعَلَ) ، نحو (لاوذ  
ليوآذاً) و (جَاوَرَ جِوَاراً) (٣) .

(ب) صيغة جمع التكسير (فعال)  
نحو (سَوَّط وسياط) و (ثَوَّب وثياب)  
(و) روضة ورياض) و (دار وديار) .  
يقول النحاة في تفسير ذلك : وقعت الواو  
والياء عينا في جمع التكسير وبعدها ألف  
الجمع وقبلها كسرة فقلبت ياء (٤) : وشرح  
سيبويه أسباب قلب الواو ياء فقال  
في باب : « هذا باب تقلب الواو فيه ياء  
لا لياء قبلها ساكنة ولا لسكونها وبعدها ياء ،  
وذلك قولك : حاولت حياً وإنما قلبوها  
حيث كانت معتلة في الفعل فأرادوا أن  
تعتل إذا كانت قبلها كسرة ، وبعدها حرف  
يشبه الياء ، فلما كان ذلك فيها مع الاعتلال  
لم يقرروها ، وكان العمل من وجه واحد  
أخف عليهم وجروا على ذلك للاعتلال ،  
ومثل سَوَّط وسياط ، وثَوَّب وثياب  
وروضة ورياض ، لما كانت الواو مَبْتِئَةً  
ساكنةً شهوها بوأو يقول لأنها ساكنة  
مثلاً ولأنها حرف الاعتلال (٥) » .

ونرى أن سبب القلب يرجع إلى المشابهة  
التقدمية ، فقد أثرت الكسرة على الواو  
التالية لها فحولتها إلى ياء ، ومن المعروف —  
كما قال ابن جني — أن الحركات أبعاض  
حروف المد واللين وهي الألف والياء

(١) (نجمتي الخاصة) O'leary, Comparative Gr. of the Semitic Languages P. 119.

(٢) تثبت الواو عند أهل تميم فيقولون قوام وصوام وحوال وعوار وبالتالي لا يكون ذلك من باب الشذوذ  
كما ذهب النحاة (انظر أوضح المسالك : ٤٠٢/٢)

(٣) تصريف الأسماء : ٣٠١

(٤) الكتاب : ٣٦٠/٤ تحقيق عبد السلام هارون .

(٥) سر صناعة الإعراب : ١٩/١ تحقيق مصطفى السقا وآخرين .

والواو ، أى أن الكسرة بعض من الياء  
وهذا بالطبع قاصر على وزن صرفي معين ؛  
أما الياء فتثبت نحو حياكة .

( ٣ ) عندما تسبق الواو أو الياء بالضممة  
القصيرة : يحافظ عليها مثل خُوَار ومُوَالِ  
٢ - الواو أو الياء المحركتان بالكسرة  
الطويلة ( ياء المد ) تسبق الواو أو الياء  
هنا بالفتحة القصيرة : تسقط الكسرة  
الطويلة ( ياء المد ) وتستخدم الواو أو الياء  
في غلق المقطع ، أى أنها تستسكن نحو ( تَنْسِيْنِ  
وتَنْسِيْنِ ) و ( تَرْضَوِيْنِ وترضون ) .  
٣ - الواو أو الياء المحركتان بالضممة  
الطويلة ( واو المد )

( أ ) عندما تسبقان بالفتحة القصيرة :  
من حيث الموقع

أولا : في وسط الكلمة :

تثبت عند بعض التباثل العربية ، وتستبدل  
همزة عند بعضها الآخر ، نحو ( قَوُول  
وقَوُول ) و ( صَوُول وصَوُول ) ،  
ويفسر النحاة ذلك بقولهم : قلبت الواو  
الأولى همزة لوقوعها مضبوطة ضمة لازمة  
غير مشددة (١) .

ثانيا : في طرف الكلمة :

تسقط الضمة الطويلة ( واو المد )  
وتستخدم الواو في غلق المقطع نحو ( غَزَوُوا  
وغَزَوُوا ) .

( ب ) عندما تسبقان بالكسرة :

تسقط الضمة الطويلة ( واو المد )  
وتستبدل بالكسرة الضمة نحو ( رَضِيُوا  
ورَضِيُوا ورَضُوا ) ومع الياء تستبدل  
الواو ياء وتصبح ياء مد للكسرة السابقة نحو  
( رَاضِيُون ورَاضِيُون ورَاضِيْن ) .

( ج ) عندما تسبقان بالضممة :

تسقط الضمة الطويلة ( واو المد ) وتصبح  
الواو الأولى حرف مد للضممة السابقة نحو :  
( يَغْزَوُون ويغزؤون ) ( ومع إلزام يَغْزَوُوا (٢) ) .  
الخاتمة :

درست في هذا البحث تكوين الواو  
والياء ، ووظيفة كل منهما في اللغة  
العربية ، وانتهيت من هذا إلى أن للواو  
والياء طبيعة انتقالية ، فالواو تسهل الانتقال  
بين الضمة والفتحة نحو لن يَدْعُوَ، والياء  
تسهل الانتقال بين الكسرة والفتحة نحو  
لن يَرْمَى .

بعد ذلك انتقلت إلى شرح معنى الإعلال  
فأوضحت أنه ضرب من التطور اللغوي .  
واستدللت على ذلك بوجود صيغتين للكلمة  
الواحدة ، الأولى لم تُعَلَّ فيها الواو أو الياء  
والثانية اُعْتُلت فيها الواو أو الياء ، وأكدت

(١) تعريف الأسماء : ١٨٨

(٢) علم الأصوات العربي : ١٣٨ .

أن الصيغ التي لم تُعَلَّ فيها الواو أو الياء ليست شاذة كما ذهب الصرفيون ، بل لأنها تمثل الصيغ الأصلية قبل أن ينتابها التطور ، من هنا تتبع موطن الصيغ الأصلية ، وموطن الصيغ التي انتابها الإعلال ، فمثلا عندما وجدت صيغتين لاسم المفعول من الفعل ( خاط ) وهما مَخْيُوطٌ ومَخِيْطٌ ، أرجعت الأولى إلى تميم وأرجعت الثانية إلى أهل الحجاز ، وهكذا استطعت إرجاع كل الصيغ التي وصفها الصرفيون بالشذوذ إلى مواطنها الأصلية ، ولهذا أرى أن السبب الذي جعل الصرفيين يحكمون على صيغة مثل مخيوط بالشذوذ هو تطبيق نظرية القياس دون مراعاة اللهجات العربية القديمة المختلفة .

شرحت بعد ذلك أسباب الإعلال فأثبت أن الإعلال لا يرجع إلى مجرد قوانين مهملات قيدت بشروط دقيقة ، بل رأيت أن الإعلال يرجع إلى عدة أسباب مجتمعة هي خصائص المقطع العربي وموقع الواو أو الياء في الكلمة ونوع الصيغة الصرفية ، ولأوضح أهمية كل هذه العوامل في حدوث الإعلال تتبع الواو أو الياء عندما يكونان ساكنين تارة وعندما يكونان محركين تارة أخرى ، وتتبع تأثير الحركة السابقة على الواو أو الياء عندما يكونان ساكنين أو عندما يكونان محركين . . . وقد اقنعت بذلك إثر سيبويه في دراسة الإعلال .

## المراجع

### أولا : المراجع العربية :

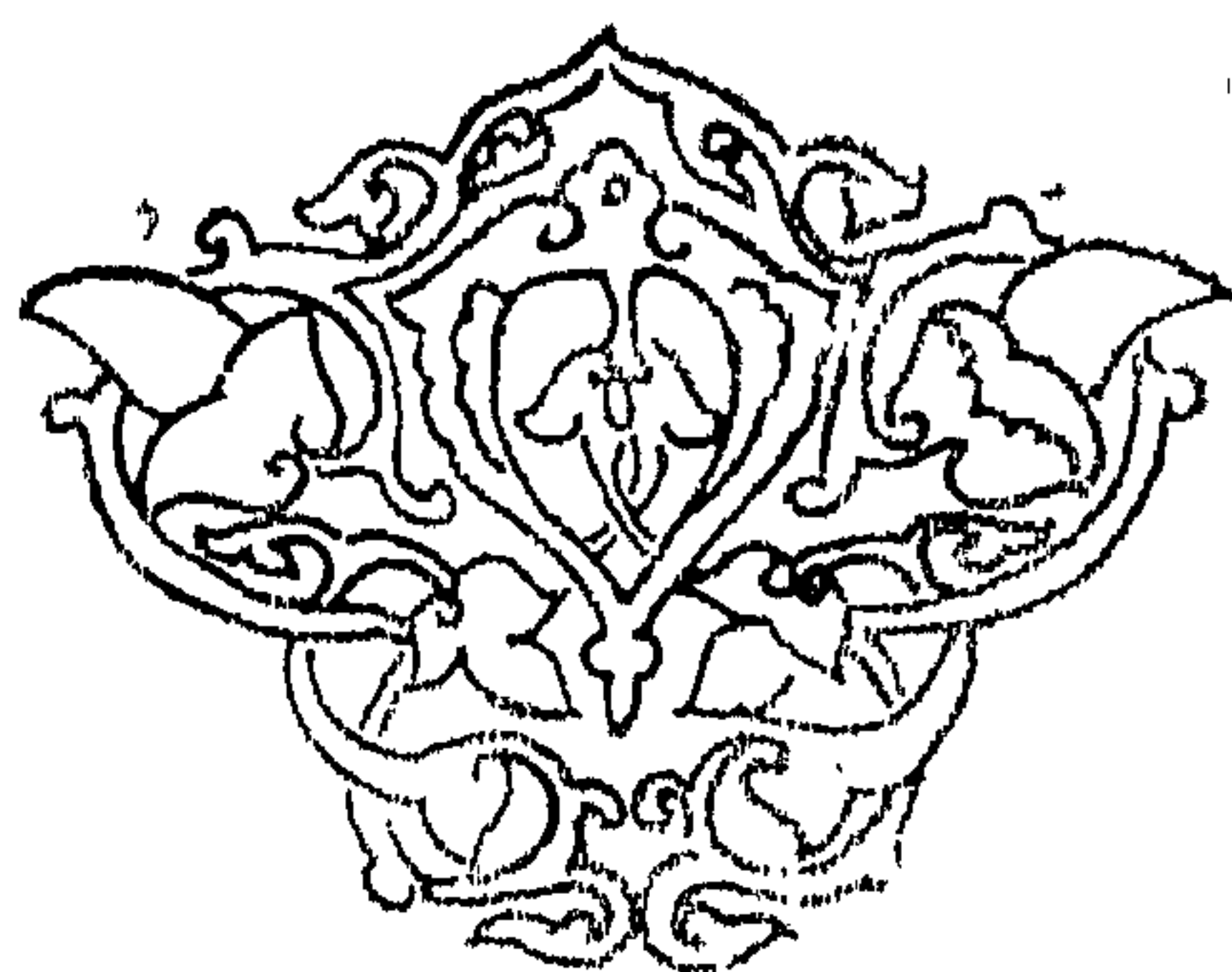
- ١- ابن الجزرى ، النشر فى القراءات العشر دمشق سنة ١٣٤٥ هـ .
- ٢- ابن جنى ، الخصائص ، تحقيق عبد الحليم النجار . القاهرة سنة ١٩٥٢
- ٣- ابن جنى سر صناعة الإعراب . تحقيق مصطفى السقا وآخرين . القاهرة سنة ١٩٥٤
- ٤- عبد الصبور شاهين ، المنهج الصوتي للبنية العربية . بيروت سنة ١٩٨٠ .
- ٥- محمود السمران ، علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربى . الإسكندرية سنة ١٩٦٢
- ٦- ابن يعيش ، شرح المفصل .
- ٧- سيبويه ، الكتاب تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة .
- ٨- كمال بشر ، علم اللغة العام ( الأصوات ) . القاهرة ١٩٧٠ .
- ٩- علم الدين الحندى ، اللهجات فى التراث . القاهرة ١٩٦٥ .

- ١٠- عبد الرحمن شاهين ، تصريف الأسماء : القاهرة ١٩٧٥ .
- ١١- إبراهيم هلال ، الوافي الحديث في التصريف . منشورات جامعة بنغازي ليبيا سنة ١٩٧٤ .
- ١٢- ابن السكيت ، إصلاح المنطق . القاهرة سنة ١٩٦٥ .
- ١٣- ابن عقييل . شرح ابن عقييل على الفية ابن مالك . تحقيق محي الدين عبد الحميد .
- ١٤- ابن قتيبة ، أدب الكاتب .
- ١٥- ابن هشام ، أوضح المسالك . تحقيق محي الدين عبد الحميد ، بيروت سنة ١٩٧٤ .
- ١٦- جان كانتينو ، علم الأصوات العربي . منشورات الجامعة التونسية سنة ١٩٦٦ .
- ١٧- كارل بروكلمان ، فقه اللغات السامية . منشورات جامعة الرياض سنة ١٩٧٧ .

#### ثانيا : المراجع الأجنبية :

1. Gesenius, Hebrew Grammar. Oxford 1949.
2. Dilmann, Ethiopic Grammar. London 1917.
3. O'leary, Comparative Grammar of the Semitic Languages London 1937.
4. Rabin, Ancient West Arabian, London 1960.
5. Von Soden, Akkadischen Grammatik. Roma 1979.
6. Moscati, An Introduction to the Comparative Grammar of the Semitic Languages' WIESBADEN 1969.

صلاح الدين صالح حسنين



# شعراء قوص

## في القرنين السادس والسابع الهجريين

### دكتور محمد عبد الباقى

مفت

مصر في القرنين  
السادس والسابع

المصريين في ظل الأيوبيين والمماليك بكثرة من الأدباء ، لا سيما الشعراء ، وكانت هذه الكثرة تفيض في جنبات الوادى من شماليه إلى جنوبيه الأقصى ، لا تكاد تخلو منطقة من شعراء ، كما لا تكاد تخلو مدينة من شاعر أو اثنين ، إن لم يكن أكثر ، لا سيما المدن الكبرى التى كانت أشبه بالقاهرة التى كانت مراكز لتلك المناطق التى كانت أشبه بالمديريات أو المحافظات ، فكان فى الإسكندرية مثلاً شعراء ينسبون إليها ، وكان فى القاهرة أيضاً شعراء ينسبون إليها ، وكان فى إسناء شعراء ينسبون إليها ، وكان فى إدفو شعراء ينسبون إليها ، وكان فى أسوان شعراء ينسبون إليها ،

وهكذا عاش هؤلاء الشعراء ينسبون إلى مدينتهم الأولى ، على الرغم من أن كثرة منهم نزلت إلى القاهرة التى كانت ميدان الأدب العام حيث الحياة الفكرية أشد رواجاً وأكثر شيوعاً ،

وعلى الرغم من هذا الإغراء ، أضحى الإغراء القاهري ، فلقد بقي جملة من هؤلاء الشعراء حيث نشأوا ، وكان تمسكهم بأرضهم أو بوطنهم الأول أسباب منها ما هو مادي ومنها ما هو معنوي ، ولكنهم على هذا كانوا موصولين بمركز الأدب العام ، أضحى القاهرة ، فكانت أخبارهم تنقل إلى ذلك حيث مقر الحكم ، وحيث المطمع فى جاه أو شهرة ، ومن لم يكن منهم تكتب له الشهرة فى القاهرة فلا شهرة له إلا شهرة محدودة ،

ولكن المؤرخين الذين سجدوا للحركات الأدبية وللحركات العلمية لم يفهم تقصى الأخبار حيث كانت ، يمحضون وراء استيعابها هنا وهناك لا يثنيهم أن يكون بينهم وبين ما يريدون من التقاطه سافر طويل أو رحلة شاقة ،

وما فعله الثعالبي فى كتابه اليتيمة من جمعه لشعراء مصريين وغير مصريين فى شتى البلاد ونواحيها المختلفة يدل على شيء من

ذلك ، ثم ما فعله العماد الأصفهاني في كتابه :  
« خريدة القصر » وتقسيمه الشعراء على  
مواطنهم حيث كانوا وأننى نزلوا بذلك أيضاً  
على العناء والجهد المبذول .

ولست أعنى أن ما جمعه هذا أو ذاك ،  
أعنى الثعالب والعماد الأصفهاني كان كله  
عن رحلة ونقلة ، بل منه أى من هذه  
الأخبار ما نقل عن سالف لها ، ولكن الذى  
لا شك فيه أن من هذه الأخبار أيضاً كان  
عن معاينة ومشاهدة تلمزمهما نقلة ورحلة .

ولقد جاء غير هؤلاء المؤرخين الذين كان  
منهجهم التعميم ، أعنى النظرة إلى الساحة  
العربية كلها كإقليم واحد اختلفت أسماؤه  
فألفوا كتبهم هذا التأليف العام الذى ضربت  
لك منه هذين المثلين .

أقول : إنه كان إلى جانب هذا التأليف  
الأدبى العام تأليف أدبى أو شبه أدبى يخص  
يختص بإقليم بذاته أو بمدينة بذاتها ، من  
هؤلاء فى العصر الذى نحن بصددده وهو العصر  
الذى شمل القرنين السادس والسابع الهجريين  
الإدفعوى صاحب « الطالع السعيد » حيث  
جمع فى كتابه ما يخص شطراً من وادى  
الذيل ، وهو الشطر الجنوبي ، فجمع أدباءه  
وعلماءه وفقهاءه ونجباءه يخص ولا يعمم .

ورأينا فى العصر الحديث من ينهج هذا  
النهج الخاص فيخصص إقليم الحلة من العراق  
بكتاب يجمع شعراء الحلة يقع فى خمسة أجزاء  
ليست بالصغيرة ولا بالكبيرة .

وفى الحق نحن أخرج ما نكون فى عصرنا  
الحديث إلى أن ننحو نحو هذا النحو الخاص  
فنخصص كل إقليم أو كل مدينة إن أمكن  
بجمع أخبار من نشأوا فيه أو فيها على أن  
يكون لكل فرع من فروع الحياة الفكرية  
مؤلف خاص به يجمع آثار من نشأوا فيه  
جمعاً مستوعباً .

فما من شك فى أن لكل بيئة مهما صغرت  
وضاقت حياتها ومنطقها وأسلوبها والأدب  
من بين الاتجاهات الفكرية كلها هو الناطق  
عن البيئة المترجم لها المتحدث عنها .

ونحن حين نسجل هذا لبيئة بغينها إنما  
نضع لبنة فى الحياة الأدبية العامة ، ومن هذه  
اللبنات مجتمعة يكون الحكم العام الذى تسبقه  
الأحكام الخاصة التى لا غنى للدارس عنها  
ولا معدل له عن أن ينظر إليها أولاً قبل أن  
ينظر فيما فوقها أعنى الحياة الشاملة .

والإقليم الذى أتحدث عنه هنا هو بلاد  
لنا معروف فى صعيد مصر ، وكان فى ظل  
هذين القرنين اللذين نخصصهما ، أعنى  
القرن السادس والقرن السابع الهجريين محط  
رحال التجار القادمين من الأقطار العربية  
الشقيقة ، وكانت قوص لهذا ذات حركة  
دائبة موفورة الرزق واسعة الرخاء مما حجب  
إلى أهلها استيطانها لا يبنون بها بدلاً ، لهذا  
كان الشعراء الذين نشأوا فيها آثروا المقام  
بها يكفيهم أن فى هذا الحضم من يسمع لهم ،  
ويكفيهم أنهم واجدون من هذه الحضارة

مادة تغريهم بالقول ، وحسبهم أن الخارجين عنها سيكونون السبب المعبرة عما يقولون يذيعون ويشيعون وكأنهم الصحف السائرة .

وما أظن كتاباً سبق للتعريف بهذه البيئات الخاصة حتى الإدفوى في كتابه ، الطالع السعيد ، فلقد كان جامعاً لرقعة أفسح ومدى أوسع ، والذي أدعو إليه هو هذا التخصيص في الجمع والأخبار لما له من هذه الفائدة في الحياة الأدبية التي أشرت إليها قبل ذلك بقليل .

ولقد آثرت اختيار قوص لتلك الحضارة التي عاشتها قوص في هذين القرنين ثم لأنها بلد كان معناً في الجنوب ، والجنوب كما عهدنا ونعهد مقطوع الصلة بالشمال يكاد يظن به أنه لا نصيب له من أدب ولا مشاركة في حياة فكرية .

لهذا ولما راقني من نتاج شعري لقوص آثرتها بالحديث وآثرت شعراءها في هذين القرنين بالكلام عنهم والتعريف بهم وعرض نماذج من شعرهم ولأكون بهذا قد مهدت الطريق لأن نخلص ولا نعم في مؤلفاتنا عن البيئات ، فنحن بحاجة إلى هذا الأدب الخاص قبل حاجتنا إلى الأدب العام .

ومن هؤلاء الشعراء القوصيين الذين وقعوا لي في تنقيبي : أحمد بن موسى القوصي

الدار والوفاة ، ولقد كان إلى جانب نبوغه في الشعر فقيهاً . من أجل هذا كانت إليه نظارة الدواوين بمدينة قوص . وما أحب أن أسترسل في الكلام عن حياة الرجل ، فالحديث عنه كثير ، فلقد تكلم عنه ابن حجر في كتابه : « الدرر الكامنة »<sup>(١)</sup> كما تكلم عنه الإدفوى في كتابه : « الطالع السعيد »<sup>(٢)</sup> ، كما عرض له البغدادى في كتابه : « هدية العارفين »<sup>(٣)</sup> ، ولم يفت ذكر صاحب معجم المؤلفين<sup>(٤)</sup> ولا الزركلي في كتابه : « الأعلام »<sup>(٥)</sup> ، فلقد نقل بعضهم عن بعض يزيدون وينقصون ، يعرفون بحياته وعجائبه مرة ويسوقون شعره مرة أخرى ويتكلمون عن مؤلفاته مرة ثالثة .

والذي يعنني هنا والباب معقود لشعراء وشعرهم أن أسوق جملة طيبة من شعر هذا الشاعر القوصي الذي كان يكنى بابن قرصة ، وهذه الكنية لم تفت رجلنا أن يحدثنا عنها ويجلو السبب الذي من أجله كنى بها ، فهو يقول :

لا تحقرن من الأعداء من قصرت  
يداه عنك وإن كان ابن يومين

فإن في قرصة البرغوث معتبراً  
فيها أدنى الجسم والتسميد للعين

(٢) ص ١٤٥ - ١٤٩

(٤) ج ٢ ص ١٩٠

(٥) ج ٥ ص ١٠٢

(١) ج ١ ص ٣٢٠

(٣) ج ٤ ص ٢٤٧

ويبدو أن هذين البيتين كانا السبب الذي جعل الناس من حوله يكتونه بابن قرصة ، فانظر كيف كان الناس موصولين بالشعراء ، وكيف كان الشعراء موصولين بالناس ، يعنى الشعراء أمر الناس ويعنى أمر الناس الشعراء ، يتلقف الشعراء عن الناس حكمة أو رأياً أو فلسفة أو أمراً اجتماعياً فيصوغونه شعراً ، ويرى الناس في شعر الشعراء ما داو بخلداهم من حكمة أو فلسفة أو مثل لم يستطيعوا الإفصاح عنه فيرتاح الشعراء لأنهم قد ترجموا للناس ما تنطوى عليه أنفسهم ويرتاح الناس لشعر الشعراء لأنهم قد قرأوا فيه ما تحتلج به نفوسهم ،

وما ترجم به ابن قرصة حياة بيثته في ذلك العصر الذي عاشه شيء كان لا بد شائعاً في عصر ابن قرصة وهو زواج الشيب من الغانيات الصغيرات ، ويبدو أن هذا كان أمراً شاع في عصر ابن قرصة وذاع وكان لا بد أن يحرك في نفسه شاعريته ، ما أظن عن مجازاة ، فالشاعر مستقل الفكر ، ولكن الذي أظنه كان عن رأى خاص بابن قرصة ، فنقرأ له في هذا المعنى يقول :

إذا تزوج شيخ الدار غانية  
مليحة القصد تزهى ساعة النظر  
فقد توافع في أحواله وأتمت  
قاف القيادة تستقصى عن الخبر

وفي البيت الثاني من هذين البيتين تحذير  
أي تحذير لمن يسلك هذه السبيل ، فقد يهترق

الشيخ الغانية الصغيرة لما لا تحمد عقباه ،  
وكأنى بابن قرصة بعد هذا يؤكد ما يكون  
مع الشيب من سوء حال وبعد عن الراحة  
وترد في المتاعب والمصاعب فيقول :

الشيب عيب ولكن عينه قلعت  
بالشين من شدة فيه وتعذيب  
والشيب شين ولكن نونه حذفت  
ببلاء بعد عن اللذات والطيب

ألا ترى معي كم أبدع ابن قرصة ، وكم  
ورى تلك التوريات اللطيفة ، وكم أدى ذلك  
الأداء السهل الممتنع .

ووجدت لابن قرصة أيضاً من شعره الذي  
فاتنا أكثره هذه الأبيات التي يوازن فيها بين  
الخير والشر ، وإذا هو قد أفلح وأجاد حين  
صور الشر بالسواد والخير بالبياض ، وذلك  
حيث يقول :

يا من يعسذب نفسه في صورة  
سوداء مظلمة كفحم النار  
أتعبت نفسك في سواد مظلم  
إن السواد يضر بالأبصار  
فإذا عدلت عن البياض وحسنه  
ماذا تؤمل في سواد القمار

وأحب أن أختتم الحديث عن ابن قرصة  
بهذين البيتين اللذين فيهما التسليم بقضاء الله  
وقدره ، واللذين جيود فيهما ابن قرصة أيما  
تجويد ، يقول :

نحن نسعى والسعى غير مفيد  
إن أراد الإله منع الضاع

وإذا ما الإله قسار شيئاً

جساء سعياً إلى الفتى وهو نائم

والبيتان إن نطقا بسكون حرف الروى  
فلا عيب ، وإن تحرك حرف الروى فجاء  
الروى الأول مكسوراً والروى الثانى مضموماً  
كان فى الشعر إقواء ، وهو عيب ، كثيراً  
ما وقع فيه فجول الشعراء .

ولقد كان هذا الشاعر الأديب الفقيه  
مؤلفاً فى فروع مختلفة فله مؤلفات فى الفقه ،  
وأخرى فى النحو ، وثالثة فى اللغة ورابعة فى  
الأدب . وحسبنا من هذه المؤلفات كلها  
كتابه الذى فى الأدب : نتف المذاكرة  
وتحف المحاضرة ، وعنوانه يغنى عن ذكر  
محتوياته ، ولقد ذكره صاحب الكشف  
باسم : نتف المحاضرة ، ناسباً إياه لمؤلفه ،  
ولم يزد ، ولكن الكتاب ، كما قلت ،  
على عنوانه ما فيه الغناء عن التفصيل .

ولقد كانت وفاة ابن قرصة ، كما ذكره  
ابن حجر والإدفعوى وحاجى خليفة والبغدادى  
فى شهر ذى الحجة من سنة إحدى وسبعمئة  
سنة ( ٧٠١ هـ ) ولا يعيننا ما جاء فى معجم  
المؤلفين والأعلام للزركلى من أن وفاته كانت  
سنة سبعمئة وعشر ( ٧١٠ هـ ) ، فلقد أخذ  
أحدهما عن الآخر ، ولا أدري من الآخر  
ولا من المأخوذ عنه .

وغير ابن قرصة من شعراء قوص كان  
إسماعيل بن هبة الله القوصى الأديب الشاعر .

اختصه الإدفعوى فى كتابه الطالع السعيد  
بترجمة قصيرة ويكاد يكون الإدفعوى هو  
الوحيد الذى ترجم لابن هبة الله هذا . وكان  
ما ذكره عنه كما لم يسق له غير بيتين من  
الشعر فى الشباب والشيب . يقول فيهما :

يا شباهى أفسدت صالِح ديني  
يا مشيبي نغصت لذة عيشي

فعلوان أنتم لا صديقا  
ن تلاعبتما بحاجي وطيشي

وأنت ترى معي أنه لا غبار على شعر  
الشاعر ، وما من شك فى أن هذا القليل يشير  
إلى كثير غيره على مثل هذه الجودة ومثل  
هذه الإبانة .

ولعل الإدفعوى وهو الوحيد الذى ترجم  
له ، فلقد فاتته معاصرة هذا الشاعر ، كما  
فاته أن يجد من يعي له فينقل عنه ، يدلنا على  
هذا سياق السند الذى قدم به الإدفعوى لصاحب  
هذه الترجمة ، وذلك حيث يقول : روى  
عنه شيئاً من شعره الحافظ أبو الفتح محمد  
ابن على بن وهب القشيري والفقير عبد الملك  
ابن أحمد الأرمني ، أنشدنا شيخنا أثير  
الدين أبو حيان ، أنشدنا الشيخ تقي الدين  
أبو الفتح القشيري ، أنشدنا القاضي إسماعيل  
ابن هبة الله .

فأنت ترى معنى من هذا السند أن بين  
الإدفعوى وبين صاحب هذه الترجمة نحو  
من ثلاثة شيوخ ، وإذا علمنا أن وفاة الإدفعوى

كانت سنة ثمان وأربعين وسبعائة ، كدنا ندرك أن وفاة إسماعيل بن هبة الله صاحب هذه الترجمة كانت في النصف الأول من القرن السابع إن لم تكن قبل ذلك ، وهذا يعنى أن الإدقوى لم يعاصره ، وأنه نقل عنه يتوسط بينه وبينه مشايخ ثلاثة ، لذا كانت هذه القلة في التعريف بالرجل والقلة في الشعر المروى له .

وبأتى بعد هذين شاعر قوصى آخر هو حيدرة بن الحسين ويعرف بابن الغمر .

وكان حيدرة هذا حاكماً بالأعمال القوصية ، ولقد عاش حيدرة هذا في القرن السادس الهجرى ، ويكاد هذا القرن ، أعنى القرن السادس يضم ميلاده ووفاته . فلقد روى من روى عنه ذاكراً أن ما رواه عنه أى عن ابن الغمر كان في الخامس من شوال سنة ثلاث وثلاثين وخسمائة .

وعلى الرغم من بعد ما بين ابن الغمر والإدقوى الذى انفرد للتعريف بابن الغمر وإيراد ترجمة له ، غير أنه أورد له الكثير من الشعر . ويبدو أن الذى يسر للإدقوى هذا على الرغم من أنه لا معاصرة ، أنه أعنى الإدقوى وجد بين يديه كتاباً يترجم لمن بصعيد مصر خاصة ، وهذا الكتاب هو : « المفيد في ذكر من كان بالصعيد » لمؤلفه أبى جعفر محمد بن عبد العزيز بن أبى القاسم الإدريسى .

وفى هذا الكتاب الذى نفقده والذى وقع للإدقوى لا شك الكثير من أخبار أهل الصعيد ، ولقد كانت وفاة مؤلفه الإدريسى سنة تسع وأربعين وسبعمائة ( ١٠٤٩ هـ ) كما يقول صاحب كشف الظنون الذى أورد الكتاب باسم : المفيد في أخبار الصعيد<sup>(١)</sup> .

وهذه تنضم إلى ما ذكرته قبل من العناية بالمؤلفات الخاصة التى أدعو إليها اليوم .

والغريب أنك سوف تقرأ معى فى شعر هذا الشاعر حيدرة وصفاً صريحاً للحياة الاجتماعية التى كان يعيشها حيدرة ، فلم يفته أن ينزل إلى الحياة العامة ويصف ما فيها ، من ذلك قواه فى رثاء قزاز وهو النساج ، يقول :

تبكى المواسير والألطاخ والبكر  
على ابن سمرة لما اغتاله القندر  
والمشط يندب والمتيت يسفده  
وحق للنول أن يبكيه والحضر  
إذا استوى فوق ظهر النول وانبسطن  
رجلاه فى الزرزرايا وهو متر  
وسايزت يده المكوك واعتقلت  
يسراه مقبضها والنير منحدر  
فن مهلهل أو سيف بن ذى يزن  
أو من ربيعة فى الهيجاء أوزفر  
كأنما مغزل الألطاخ فى يده  
إذا تنسأله صمصامة ذكر

(١) كشف الظنون ص ١٧٧

فانظر معى كيف نزل حيدرة القوصى  
إلى حانوت هذا النماج ، وتناول نوله قطعة  
قطعة ، وكأنه عارف بوظيفة كل قطعة ،  
وهو بهذا قد أحيا أسماء كادت أن تندثر :  
ثم انظر معى كيف ساق عمل النماج عملا  
عملا هذا المساق اللطيف الظريف :

ثم انظر معى كيف عقد هذه التشبيهات  
البديعة جاعلا من النماج ما يشابه به مهلهل  
الشاعر أو سيف بن ذى يزن أو ربيعة أو زفر .  
وهو بهذا يدلنا وإن كان شاعراً من شعراء  
القرن السادس الهجرى غير أنه لم تفته نظرات  
منه إلى ماضيه الأول بترائه الحالد .

وكما فعل حيدرة هذا فى رثاء هذا القزاز  
فعل مثل ذلك فى رثاء ملاح ، حيث يقول :

من بحر اللبان فى الثقلين  
ولإلقا المرسى على الأنبطين  
واعتقال المدرا وقد سكن الري  
بح برغم السفار فى تشرين  
والجناديف من بها مستقل  
بعد ما قد أذاك ريب المنون

من يلالى لصحبة كل وقت  
بنشيد جزل وصوت حزين  
تطرب الأروع الحليم فيلهو  
وتسلى بالحب لب الحزين  
تهتدى فى الظلام بالقطب والحد  
ى وفى الصبح بالضياء المبين

فتشتى البحصار فى الليل شتما  
حركات تولدت من سكون  
كانت المركب التى أنت فيها  
حرماً آمناً كحصن حصين

فهى اليوم بعد فقدك عطل  
بل حطام ملقى ليوم الدين  
وهكذا ترى معى فى هذه الأبيات تعرف  
الشاعر للملاح وعمله وأجزاء سفينته يخرج  
من وصف جزء إلى جزء آخر فى ذلك  
الأسلوب السهل والمنطق المبين ، وكأنه واحد  
من هؤلاء الملاحين .

وكما كانت لهذا الشاعر القوصى هذه  
الحولات الميدانية ، كان له فيما فوق هذا  
جولات أخرى ، يقول فى مدح الأمير  
موساك وكانت قد نابته خطوب :

إذا حاربتك صروف الزمان  
بجناديها المتلف المهلك  
فما للخطوب إذا أظلمت

سوى الملك المتقى موساك

هذه نماذج قليلة من شعر شعراء قوص  
فى هذين القرنين السادس والسابع الهجريين ،  
ولو أن هناك للإطالة فسحة لأطالت ، ولكنى  
اجتزأت بهذا القليل الذى يغنى عن الكثير  
راجياً به أن ألقت النظر إلى أنه ثمة شعر  
للمصريين الذين نأت بهم مواطنهم الخاصة  
عن القاهرة موطن الأدب والأدباء لا يقل  
جودة وأداء عن شعر العاصمة المتحضرتين  
القاهرة والأسكندرية ، ثم لأدعو ثانية بهذا  
الأدب الخاص فנסجل لشعراء المدن على  
اختلافها خاصين كل مدينة بشعرائها فى  
هذا ، كما قلت قبل العرض التمهيدى عند  
الكلام عن الأدب العام .

محمد قنديل البقل